

الدكتور
مصطفى البقا
كلية الشريعة - جامعة دمشق

حاضر

العقائد الإسلامية

لطلاب السنة الأولى

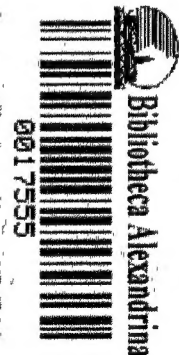
الطبعة السادسة

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق

١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ

١٩٩٨ - ١٩٩٩ م

مكتبة



الدكتور
مصطفى البغب
كلية الشريعة - جامعة دمشق

حاضر
العلم لله سلمي
لطلاب السنة الاولى

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين •

وبعد فهذه بحوث في حاضر العالم الاسلامي ، جمعتها على عجل كي تتمكن

من وضع مرجع في المقرر بين يدي الطلاب في مطلع الفصل الدراسي ، ولضيق

الوقت لم يكن لي فيها الا الجمع وبتصرف يسير في بعض البحوث لا يكاد يذكر

ولذا كان فيها بعض جوانب نقص ، اهمها انها موضوعات كتبت في فترة

مضى عليها على الاقل عشرون عاما ، وعنوان البحث يوحي ان المضمون قد

كتب حديثا وتناول واقع العالم الاسلامي حتى اليوم الذي كتبت فيه •

إله تعالی نسأل ان توفي بنصيب كبير من الغرض المقصود بهذا المقرر،

أن تسنح الفرصة لكتابة كاملة وواقعية ، انه اكرم مسؤول •

بدأ الاسلام في بقاع مكرمة تقع في الجانب الغربي من الجزيرة العربية ، ولكن هذه المنطقة الضيقة ما لبثت ان اتسعت ، وانتشر نورها حتى شمل الجزيرة العربية برمتها شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا . ومن هذه الجزيرة انتقل الاسلام الى شتى الاقطار والامصار في العالم . ففي آسيا شمل بلاد الشام والعراق وما اليهما في الشمال ، ثم اتجه الى الشرق حتى عمّ ايران ، ومن الجزيرة العربية كذلك وغيرها من الاقطار الاسلامية حتى بلغ الهند والصين واندونيسيا والملايو واليابان .

وفي افريقيا شملت الدولة الاسلامية مصر والسودان والحبشة وغيرها ، كما شملت طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكثيرا من الاقطار في شرق افريقية وغربها .

وفي اوربا امتد الاسلام عبر جبل طارق في اسبانيا حتى وصل الى جنوب فرنسا ، ثم الى البلقان وسواحل اوربا من طريق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة ، كما نفذ اليها من طريق سيبريا الغربية حين تدفقت الشعوب التركية والمغولية الاسلامية ، وسيطرت على الاناضول وحوض الفولجا وسهولها والطرف الجنوبي الشرقي من روسيا والسواحل الشمالية لبحر قزوين والبحر الاسود . وما لبث نور الاسلام ان عم اكثر جزر البحر الابيض المتوسط ، وفي مقدمتها صقلية ومالطة وكريت وقبرص ورودس . وكذلك دخل الاسلام امريكا الشمالية ، وامريكا الجنوبية ، وانتشر في شتى البقاع والاصقاع .

وستناول في هذا البحث الاسلام في مختلف القارات ، مبينين فضله على الحضارة الاوروبية ، واثار علماء الاسلام وفلاسفته وحكائمه

وعباقرته في الثقافة الغربية .

وجد يربا بالذكر ان الاسلام دين الحرية والاخاء والمساواة ،
لا يعرف الظلم الى مبادئه سبيلا ، ولا الطغيان الى تعاليمه طريقا .
فهو دين السماحة وسجاجة الخلق وصفاء الطبع ونقاء الطوية ، ولم يكن
حد السيف أو أسنة الرماح سببا لانتشاره في يوم من الايام . فالرسول
قد كتب الى مختلف الملوك والاقبال والامراء يدعوهم الى الاسلام .
ويقال ان الكتاب الذي ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى
هرقل كان كما يلي :

" من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل ، السلام على من
اتبع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم
تسلم ، وأسلم يؤئك الله اجرک مرتين فان توليت فان عليك اثم اليريسيين .
« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا
الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ،
فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .
اما كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك الفرس
فقد جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من
اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله ، واني
رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا . أسلم تسلم ، فان أبیت
فعليك اثم المجوس "

كما ارسل الرسول الكريم الى النجاشي ملك الحبشة كتابا آخر ،

وهكذا تبين لنا ان الرسول الكريم لم يكن يفرض الاسلام على الناس فرضا ، انما كان يدعوهم بالتى هي احسن . . . بل انسه — صلوات الله عليه — قاسى من اجل هذه الكتب التى ارسلها الى الملوك والاقبال ضروبا من الهوان ، وصنوبا من العذاب . ومن ذلك ان كسرى فارس ثارت ثائرتة ، واشتد ضيقه ، وعظم حنقه عندما تسلم كتاب الرسول ، وارسل الى عامله على اليمن — وهو " باذان " — يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل ، وجاء في انذاره " ابعت الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدتين فليأثبا لي به " .

وارسل " باذان " امثالا لامر كسرى ، رسولين من قبله الى الرسول يدعوانه الى المثل بين يديه ، ووصل الرسولان الى الطائف ، وقابلا نفرا من قريش ، فسألاهم عن الرسول : فأخبرهما احدهم انه بالمدينة . واستبشر الجمع بما ينوى كسرى فارس صنعه ، ورفع احداهم صوته قائلا : " ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل " .

وحضى الرجلان بضربان في فجاج الارض حتى وصلا الى الرسول الكريم فأخبراه ان كسرى يطلب مقابلته ، ويرقب في حضوره . فصرهما الرسول على ان يلتقي بهما في الغد . وهبط الخبر من السماء على رسول الله المصطفى ان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله . وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول الكريم . ولشدا كانت دهشتهم عندما فاجأهما بحصر كسرى بيد ابنه شيرويه ، فطار لهما وطاش عقلمهما ، وكادا يصعقان من هول المفاجأة . . . وملك احدهما اعصابه ، وقال موجها الخطاب الى النبي الكريم :

" انا قد نقمنا عليك ما هو ايسر من هذا ، افنكتب هذا عنك ونخبـر به الملك ؟ " . فأجاب النبي محمد(ص) " اخبراه ذلك عني ، وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى . . . وقولا له انك ان اسلمت اعطيتك ماتحت يدك ، وملكتك على قومك من الابدناء " .

فرجع الرسول ان الى باذان ، واخبراه بما قصه عليهما الرسول . فاشتدت دهشة باذان ، وتطكه الذهول واستبد به العجب ، وقال : " والله ما هذا بكلام ملك ، واني لا رى الرجل نبيا كما يقول . ولننظر فيما قال ، فلئن كان هذا حقا فانه لنبي مرسل ، وان لم يكن فسنرى فيه رأينا " .

ولم تلبث الايام ان جعلت الخبر المسموع حقيقة ملموسة ، تراها العين كما تسمعها الاذن ، ووافى باذان كتاب " شيرويه " وفيه يقول : " أما بعد ، فاني قد قتلت كسرى ، ولم اقتله الا غضبا لفارس لما استحل من قتل اشرافهم . فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه اليك (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام) فلا تهجه حتى يأتيك امرى فيه " . فلمّا إنتهى كتاب شيرويه الى باذان قال : " ان هذا الرجل لرسول " . أسلم واسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .

وهكذا كان الرسول الكريم يرسل الكتب الى الملوك والاكاسرة لاقبال من اجل هداية الناس ونشر الاسلام ، ولم تكن هذه الكتب اثل عنف وارهاب ، او ذرائع للبطش والتنكيل ، انما كان يدفع بالتي احسن ، بل كان — كما اسلفنا القول — يتحمل ألوانا من العسف نسيق ، وضروبا من الوعيد والتهديد من جانب هؤلاء القوم .

وكان صلوات الله عليه يقابل هذا كله بصدر رحب ونفس راضية مَرْضِيَّة ، تستمرى العذاب في سبيل الاسلام ، وتحمل الصعاب في سبيل نشر الرسالة الربانية بين العالمين . وقد كان عليه الصلاة والسلام ينتصر على خصومه بما أوتي من طهارة نفس وصفاء قلب . وكان سبحانه وتعالى ينفث فيه سره ، فاذا العَصِيُّ من الامور سهل ، واذا الْقَضِيُّ من الطَّلَابِ دَانٍ ، واذا الحق منتصر على الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

وتقول بعض الروايات العربية ان هرقل ملك الروم كان يميل الى الاسلام ، ومن ذلك ما رواه الطبري في الجزء الثالث من تاريخه ، من انه لما وصل اليه كتاب الرسول ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينية ، جمع الروم وقال لهم :

" يا معشر الروم ، اني عارض عليكم امورا فانظروا فيما قد اردتها . قالوا : وما هي ؟ قال : تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل . انا نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهل فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فقالوا : نحن نكون تحت يدي العرب ، ونحن اعظم الناس ملكا واكثرهم رجالا وافضلهم بلدا ؟ قال : فهل فأعطيهم الجزية في كل سنة أكسر عني شوكتهم ، وأستريح من حربه بمال اعطيه اياه . قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار بخراج يأخذونه منا ، ونحن اكثر الناس عددا واعظمهم ملكا وامنعهم بلدا ؟ لا والله لا نفعل هذا ابدا . قال : فهل فلأصلحه على ان اعطيه ارض سورية ويدعني وأرض الشام . فقالوا له : نحن نعطيهم ارض سورية ، وقد عرفت انها سرّة الشام ؟ والله لا نفعل هذا ابدا ، فلما أبوا عليه قال : أما والله لترون انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . ثم جلس على بغل له ، فانطلق

حتى اذا اشرف على الدرب استقبل ارض الشام ثم قال : السلام عليكم ارض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية " .

وقد تمشت هذه الكتب مع ما جاء في القرآن الكريم من دعوة الى نشر الاسلام بين العالمين ، كقوله تعالى : " قل يا ايها الناس الى رسول الله اليكم جميعا " ، وقوله : " وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون " . وقوله تعالى : " ومن احسن ديننا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا " . والرسول — قبل هذا كله وبعد هذا كله — لم يجبر غيـر المسلمين على الاسلام اجبارا ، انما جعل لهم الخيار بين الاسلام او دفع الجزية . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : " ولا يجبرنكم شأن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى " . فأرست هذه الآية الكريمة اساس التزام عام شامل يقضي بتحري العدالة المطلقة مع غير المسلمين على وجه عام ، سواء كانوا اصدقاء ام اعداء ، من اهل الذمة ام من المحاربين .

وجاء في آية اخرى " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " . ومعنى هذا ان على المسلمين ان يلتزموا اذق قواعد العدالة والانسانية والاستقامة حتى في قتالهم مع من يعتدون عليهم للقضاء على الاسلام نفسه .

ويروى ان النبي عندما ارسل احد جيوش المسلمين الى القتال قال : " انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا وصوا غنائمكم واصلحوا ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين " .

وفي حديث آخر نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الكهنة

والرهبان المتعبدون في الاديرة والصوامع .
وبذلك تنحصر اباحة القتل في رجال العدو والقادرين الذين
يدخلون بالفعل الى ميدان القتال ، والقتال نفسه لم يكن المسلمون
ينفرون اليه الا تأمينا لدعوتهم ، او درءا لخطر داهم او شك ان
يحقيق بهم ، ويهدد مصالحهم ، ويكاد يعصف بحياتهم ، ويدمر
بيوتهم ومساجدهم . ومخافة ان يتمكن العدو منهم فيستبيح اموالهم
ومحارمهم ، وينهب ديارهم ومنازلهم .

وعندما وقع الرسول الكريم الصلح مع يهود خيبر اعطاهم صحائف
التوراة معززة مكرمة ، مما يدل على كرم خلاله وحسن سجاياه ، وتزوج
من صفية بنت حيي بن اخطب حفظا لكرامتهم ، واستبقى اليهود في
الارض ، وحقق دماءهم ، وعاملهم معاملة طيبة .

وعندما بعث ابو بكر الصديق الجيوش لفتح الشام تحت امرة
اسامة بن زيد ، عملا بوصية الرسول الكريم ، امر الجند بتجنب السلب
والمخادعة ونقض العهد والتمثيل بأحد ، واوصاهم الا يقتلوا طفلا
او شيخا فانيا او امرأة ، والا يجتثوا النخيل ولا يحرقوه ، ولا يحطموا
اية شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا جملا الا لصد غائلة
الجوع ، واخبرهم انهم سيجدون رهبانا يتعبدون في اديرتهم ، وامرهم
ان يتركوهم وشأنهم ولا يمسهوهم بسوء .

اما عمر بن الخطاب فقد منح اليهود حماية دينهم ، وامنهم
على حياتهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . فلا تهدم كنائسهم ،
ولا تتخذ منها منازل ، ولا يحسبها احد بسوء ، وكل ماورد في هذا
المعهد مخفور باسم الله ورسوله وخلفائه والمسلمين عامة ، على شرط
ان يدفع الناصر الجزية بانتظام .

وعاهد خالد بن الوليد اهل الحيرة في جو من الحرية ، بلا تهديد ولا وعيد ، فحاء في هذا العهد : " هذا ما عاهد عليـه خالد بن الوليد نقباء اهل الحيرة ، ورضي بذلك اهل الحيرة وامرهم به . عاهدهم على مائة وتسعين الف درهم تقبل في كل سنة جزاء على ايديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسسهم ، الا من كان منهم على غير ذي يد ، حببسا عن الدنيا تاركا لها . وعلى المنعة ، وان لم يمنعهـم فلا شيء عليهم حتى يمنعهـم " .

ولم يكتف بذلك بل قال : " وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل او اصابته آفة من الاقات ، ان كان غنيا فافتقر ، وصار اهـل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت المسلمين وعياله ما اقام بدار الهجرة ودار الاسلام " .

ويذكر التاريخ ان المسلمين كانوا يعوضون الناس عن الضرر الذى يلحقهم خطأ من المسلمين . ومثال ذلك ان ذميا جاء السى عمر بن الخطاب في اثناء فتوح الشام ، وشكا اليه ان بعض المسلمين قد قطعوا عنبا من كرومه دون اذن منه ، فخرج عمر من المعسكر فاذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على درعـه ، فصاح به في غضب وحدة : " وانت ايضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات ؟ " . فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك الا لاشـتداد جوعه ، فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من عنبه حتى ارضاه . وعند ما شرع عمر بن الخطاب ينظم ادارة العراق عقب فتحها ، استدعى زعماء البلاد غير المسلمين الى المدينة ليستشيرهم ويستأنس بآرائهم . وجاء في المفريزى انه كان يفعل كذلك فيما يتعلق بمصر . فاستشار المقوفس عظيم القبط في امور شتى .

وعند ما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح اهل " ايلياء " ، وامن
اهلها على انفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، واعطاهم عهدا
بذلك ، وهو المعروف بالعهد العُمري ، وقد اوردها محمد بن جرير
الطبري في تاريخه ، وهذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله عمرا ميمر
المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لا نفسهم واموالهم ،
ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيهم وبريئها وسائر ملتها : انه لا تسكن
كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم
ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد
منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود .

" وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن ،
وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن
على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه
مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير
بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم
وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا ما منهم ، ومن كان بها من اهل
الارض ، فمن شاء منهم قعدو عليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية
ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله ، وانه لا يؤخذ منهم
شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة
رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .
وقد كتب هذا العهد في العام الخامس عشر للهجرة ، وشهد
عليه : خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ،
معاوية بن ابي سفيان .

وعندما انتشر نور الاسلام الى شتى الاقطار والامصار ، كانت الشريعة الاسلامية كعادتها تكفل لغير المسلمين كافة الحقوق . فالاسلام لا يعرف التعصب ولا الظلم ، بل يفسح صدره للاقلييات التي لا تدين به ، ويأمر برعايتها وحمايتها .

وهذه الحقائق كلها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام لم يضطهد في وقت من الاوقات المسيحية او اليهودية او غيرهما من الاديان ، انما كان يرعى معتنقيها ، ويعاملهم باللين والرفق والعدل ، ولم يستخدم يوما وسائل العنف او القسوة مع اصحاب المذاهب الاخرى ، بل على العكس من ذلك كان يستعين بهم في كثير من الامور والمهام ، ولم تكن هذه الامور بسيطة او طفيفة ، انما كانت احيانا امورا تتصل بالوزارة او الولاية او نحو ذلك من المناصب الكبرى في الدولة .

ولم تكن الضريبة التي يدفعها المسيحيون واهل الذممة في صورة (جزية) تعني فرض سلطة القوى على الضعيف ، او الظافر على الخاسر ، او المنتصر على المخدول ، انما كانت تدفع مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين . ولما قدم اهل الحيرة هذه الجزية ذكروا صراحة عند تقديمها انهم انما دفعوا الجزية على شريطة (ان يمنعونا هم واميرهم البغي من المسلمين وغيرهم) . وكذلك سجل خالد في المعاهدة التي ابرمها مع بعض اهالي المدن المجاورة للحيرة قوله : " فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا " .

وقد حدث ان رفع هرقل راية العصيان ضد المسلمين ، ورغب في الانقضاء عليهم واخذهم بالغدر والخيانة ، فلما علم ابو عبيدة قائد العرب بذلك ، كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام

يأمرهم برد ما جبي من الجزية في المدن ، وكتب الى الناس يقول :
" انما ردونا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم
قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لانقدر على ذلك . وقد ردونا
عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم
ان نصرنا الله عليهم " . وبذلك ردت بالغ طائلة من مال الدولة ،
فدعا المسيحيون بالتبركة لروءساء المسلمين وقالوا : " ردكم الله علينا
ونصركم عليهم (اي على الروم) ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ،
واخذوا كل شي " بقي لنا " .

وليس من شك في ان هذه القصة التي رواها ابو يوسف في
كتاب الخراج ، تدل دلالة واضحة على ان المسلمين لم يكونوا يبنون
للمسيحيين او غيرهم من الطوائف شرا ، ولم يكونوا ينهايون منهم
اموالهم ، او يستلبون منهم حقوقهم ، انما كانوا يفرضون الجزية عليهم
حتى يدافعوا عنهم ، ويحموا جانبهم من غارات المعتدي الاثيم ،
ويقفوا لاعدائهم بالمرصاد ، فكانوا يحصنون المدن والشور ، ويبنون
القلاع والحصون ، ويرابطون في عدتهم وسلاحهم للدفاع عنهم ، وحماية
حقوقهم بالنفس والنفس .

والسيف لم يكن مصلتا على رأس احد من الناس ليكون مسلما ،
ولم يكن المسلمون يلجأون الى وسائل التعذيب التي لجأ اليها
المشركون لصرف الناس عن الاسلام ، لم يكن المسلمون يصنعون صنيع
المشركين عندما أحضروا بلالا مؤذن الرسول والقاء خلف الجمحى في
الرمضاء على وجهه وظهره في وقدة الظهيرة ، ثم امر بالصخرة الكبيرة
فألقيت على صدره ووقف يتشفى فيه قائلا له : " هكذا حتى تموت ،
او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى " . وكان ورقة بن نوفل يمو به وهو

يقول : " احد . احد " ، فيقول ورقة : " احد . احد والله يابلال " ولم يزل على هذا العذاب الاليم حتى اشتراه ابو بكر واعتقه .

ولم يصنع المسلمون بمخالفهم في الدين صنيع المشركين — بعمار بن ياسر وابويه ، ان كانوا يخرجونهم الى الاسطح اذا حميت الرضاء ويعذبونهم بحرهما ، فيمر بهم الرسول فيقول : " صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة " . ولما مات ياسر من العذاب اغلظت امرأته سمية القول لابي جهل ، فطعنها بحربة قضت عليها ، فكانا اول شهيدين في الاسلام ، ثم امعن المشركون في تعذيب ابنيهما عمار بالحر تارة ، وبوضع الصخرة على صدره تارة ، ثم بالتفريق تارة اخرى .

ولم يكن المسلمون يفعلون مع المذاهب الاخرى ما فعلت — قريش مع المسلمين من اجل الايمان بالاوثان ، وعبادة الاصنام ، والكفران بالواحد القهار ، بل كانوا على النقيض من ذلك كما رأينا ، يتخذونهم اخوانا ، ويعاملونهم معاملة طيبة كريمة .

وكل هذه الحقائق تنهض ادلة ناصعة ، وحججا دامغة على ان الاسلام لم يكن في فترة من الفترات دين عنف او قسوة ، او بغى وتسلط . حقا كان لابد للمسلمين ان يعملوا على نشر الدعوة ، وحقا كان لابد لهم من حماية جانبهم ، وصيانة موقفهم والذود عن حياتهم ومن اجل ذلك قاموا ببعض الفتوح ، بيد ان هذه الفتوح كلها لم تكن للبطش والارهاب ، وانما كانت للهداية والايمان .

وجدير بالذكر ان الحزبة التي كان يدفعها اهل الذمة في هذه الفتوح كانت تعفيهم — فضلا عن النواحي سالفة الذكر — من الخدمة العسكرية الاجبارية التي كانت فرضا واجبا على المسلمين الذين يؤدون في الوقت نفسه فرض الزكاة من امواصهم . وهذا دليل

فاطع على ان الاسلام لم يحاب فريقاً دون فريق . وكانت الزكاة تنفق في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وابناء السبيل ، ولم يعف الاسلام قادراً من ادائها .

فالمسلمون لم ييح لهم ان ينعموا ويفنموا في الوقت الذي يتعذب فيه اخوان لهم . والمسلمون لم ييح لهم ان يسعدوا ويهنأوا في الوقت الذي يشقى فيه اخوان لهم ، لان الاسلام دين التعاطف والتآلف والاخوة والمودة والتراحم . وهذه الضريبة كان يدفعها اهل الذمة مساهمة في توطيد اركان هذا الصرح العظيم ، صرح الانسانية التي ترغب في بناء عزتها ومجدها على اسس من التضامن الاجتماعي ، والتواصل الروحي ، والترابط الاخوي بين الطوائف المختلفة دون ضمن ولا بخل ، ودون تردد ولا احجام .

وهنا يجب ان نوضح ان الاسلام لم يهدف الى الاستعباد والاستعمار ، انما كان يهدف الى حماية الحقوق وصيانة الحريات ، فهو يحتم على المسلم ان يدافع عن الذمي ويحميه — ولو ببذل نفسه — من غير ان يتعرض الذمي لخطر ولا قتال ، ولا يكلف هذا الذمي سوى قليل من المال على هيئة جزية . وشتان بين ما يلجأ اليه الاستعمار في العصر الحديث وما اتبعه الاسلام من نظم سوية وقوانين عادلة ، فالاستعمار في العصر الحديث يعتمد الى تجنيد اهل المستعمرات وتعريضهم للاخطار ، ويرغمهم على القتال دفاعاً عن مستعمرى بلادهم . الاستعمار الاوربي يضحى بالقادرين من اهل مستعمراته دفاعاً عن نفسه ، وليبقى اهل المستعمرات خاضعين له . فهو يذلهم ويستعبدهم في سبيل تفوقه وانتصاره ، وتحقيق اهدافه ، والوصول الى اغراضه . اما الاسلام فلم يكن ولن يكون فيه شيء من

هذا ، فهو يسوى بين المحكومين والحاكمين في الحقوق والواجبات .
لا يعرض اهل الذمة لخطر ولا لقتال ، ولكن يدفع عنهم الخطر ، ويبعد
عنهم الاذى ، ولا يكلفهم الا دفع ضريبة ضئيلة ، مساهمة فـي
الاستعداد لدرء الخطر ، وسياسة امور الدولة ، واقامة حدود الله
بين الناس في ظل المحبة والعدل والرحمة ، دون كبر ولا استعلاء ،
ودون عجرفة ولا رياء ، ودون امتهان القوى للضعيف ، واحتقار
الغني للفقير .

وقد ظل الاسلام راسخا في البلاد التي اخذته مأخذ العقيدة
والايمان ، فآمنوا به بعد بحث طويل ، ونظر عميق ، وتأمل كثير ،
ولكنه انحسر عن البلاد التي لم يأخذها اهلها مأخذ الجد . زد
على ذلك ان قوى الشر قد تضافرت على محاربة الاسلام ، فما لبثت
ان انسحب من صقلية وايطاليا واسبانيا ، بيد انه ترك فيها حتى
اليوم آثارا هيبات ان تمحوها الايام .

وقد توغل الاسلام في اوروبا عن طريق صقلية والاندلس . وضرب
المسلمون في هذه البلاد المثل الاعلى للسماحة ونبل الخصال ،
وعدم التعصب او الانحياز . وقد ذكر الكونت " هنرى دى كاستر " ^١
في كتابه " الاسلام : خواطر وسوانح " ان محاسنة المسلمين
للمسيحيين زادت في بلاد الاندلس حتى صار سكانها في حالة اهناء
من التي كانوا عليها منذ ايام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين الذين
يقال لهم (القوط الغربيون) .

ويقول دوزى : " ان هذا الفتح لم يكن مضرا بالاندلس
وما حصل من الاضطراب والهرج بعده لم يلبث ان زال باستقرار
الحكومة الاسلامية في تلك البلاد . وقد ابقى المسلمون سكانها

على دينهم وشرعهم وقضائهم ، وقلدوهم بعض الوظائف ، حتى كان منهم
موظفون في خدمة الخلفاء ، وكثيرون منهم تولوا قيادة الجيوش . وتولد
عن هذه السيادة الرحيمة ان انحاز عقلاء الامة الاندلسية الى المسلمين
وحصل بينهم زواج كثير . وكم من اندلسي بقي على دينه ، ولكنه
اعجبه طلاوة التمدن العربي فتعلم اللغة العربية وآدابها ، واصبح
القس يلومونهم على ترك ألحان الكنيسة والتعلق بأشعار الفاتحين .
” وكانت حرية الاديان بالغة منتهىها ، لذلك لما اضطهدت
اوربا الموسويين ، لجأوا الى خلفاء الاندلس في قرطبة ، ولما دخل
الملك كارلوس الى سرقسطة امر جنوده بهدم جميع معابد اليهود
ومساجد المسلمين ، قال : ونحن نعلم ان المسيحيين ايام الحروب
الصليبية ما دخلوا بلادنا الا واعطوا السيف في يهودها ومسلميها ،
وذلك يوئيد ان اليهود انما وجدوا مجيرا وملجأ في الاسلام ، فان
كانت لهم بقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين
جانبهم ” .

وقد تمكن الاسلام من التغلغل في افريقيا لانه لم يفرق بين
الابيض والاسود ، فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط . ولم
يتخرج المسلمون من الزواج من الزنجيات ، وانجبوا منهن عددا كبيرا
من الاطفال المسلمين الذين لم يكادوا يبلغون سن الشباب حتى
ازدادت حميتهم ، واشتد دفاعهم عن الاسلام . وذهب بعض
الزنج الى ان الاسلام دين السود ، وان المسيحية هي دين البيض .
وقد جاءهم هذا الاعتقاد لان الاسلام سهل لهم امور العبودية ،
ومكنهم من الوصول الى ارقى الدرجات .

وورد في القرآن ما يفيد ان بعض الانبياء كانوا سود الوجوه .

ومن ذلك موسى عليه السلام الذى جاء في وصفه في سورة طه —
" واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء " ، كما جاء في
سورة الاعراف " ونزع يده فاذا الهى بيضاء للناظرين . قال الملا —
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم " . وقد اثر عن الرسول صلى الله
عليه وسلم انه قال : " اسمعوا واطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشي " .
وكان من نتيجة دخول الاسلام في افريقيا الاستوائية أن تهذبت
نفوس الزوج ، وامتنع المسلمون منهم عن اكل لحم البشر ، وارتدوا
ما يستر عوراتهم ، والا هالي الذين لم يكونوا يغتسلون قط اقبلوا على
التطهر والاغتسال ، وكان الوضوء من الاسباب الداعية الى نظافتهم .
زد على ذلك ان الشعور بالقيم الاخلاقية بدأ بتجسم ويتضح ، واختفت
وسائل السلب والنهب التي كانت متفشية بين القبائل الزنجية ،
واصبح المسجد قبلة انظار الزوج يوءدون فيه فرائضهم ، ويصلون
فيه صلواتهم الخمس في جو يسوده الجلال والوقار .
وقد كتب " ميك " في كتابه " قبائل نيجيريا الشمالية " يقول :
" ان الاسلام لم يترك اثرا عميقا في التركيب الجنسي لهذه الشعوب
فحسب ، بل انه جاء بحضارة جديدة اتاحت للشعوب الزنجية
طابعا حضاريا متميزا لا يزال واضحا حتى اليوم ، موثرا في نظمهم
السياسية والاجتماعية ، ذلك ان الاسلام حمل الحضارة الى القبائل
المتبررة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبيا ،
وجعل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورة ، فقد وسع آفاقهم ،
ورفع من مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعي ارقى ، وخلع على اتباعه
الكرامة والعزة واحترام المنايا واحترام الآخرين . لقد ادخل الاسلام
فن القراءة والكتابة ، وحرم الخمر واكل لحوم البشر والاخذ بالثار ،

هذا النبأ بمسامح الناس ، تقدم الهندوس زرافات ووحدا ، وسمح لهم بأن ينالوا شرف الاسلام ، ومن ثم اخذوا ينثالون من كل حدب وصوب . ولما اعتنقوا الاسلام اعفوا من الجزية ، ومنحوا الهدايا ومظاهر التكريم " .

وهكذا كان للامراء والحكام دور كبير في نشر الاسلام بين الرعية زد على ذلك ان كثيرا من النفوس تفتحت لعقائد الاسلام الشريفة ، وعرفت مزاياء الكثيرة ، واستجابت لدعوة الداعين اليه فغنعت بما كفله للمسلمين من حقوق رفيعة .

فالمسألة لم تكن مسألة هزيمة ولا اندحار ، انما كانت مسألة استمالة واقتناع اولا وقبل كل شيء ، ذلك ان السيف لو استطاع ان يترك اثرا فان اثره لا يلبث ان يندمل او يسلم الى الهلاك . والدين الذي يتوارثه الناس كابرا عن كابر ، وجيلا بعد جيل ، لأبد انه متغلغل في القلوب ، مستقر في النفوس ، وانه يسرى في الصدور مسرى الدماء في العروق . وقد استقر الاسلام في آسيا وغيرها من القارات عشرات القرون ، ولو كان السيف وسيلته لاختفى باختفاء السيف ، ولزال بزوال السلطان .

فالدليل على انه عقيدة وايمان انه استمر هذه المئات من السنين دون ان يعثر به ضمور ولا اضحلال ، ودون ان يدركه فتور ولا خور ، او تزعه اى قوة وتطوح به ، بل على النقيض من ذلك نجده في الهند والصين واندونيسيا وغيرها من البلاد الآسيوية مسلمين يمسكون بالعقائد الاسلامية تمسكا شديدا ، ويعانون المشاق والمتاعب من اجل السفر الى بيت الله الحرام وتأدية فريضة الحج ،

وهم لا يعبأون بما يتجشمون من صعب ، وما يكابدونه
من آلام ، لانهم يعتقدون كفيهم من المسلمين في الثواب
والعقاب ، ويؤمنون بأن في اداء هذه الفريضة ثوابا
عظيما واجرا جزيلا .



لمحة تاريخية

ابتعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . والناس في جاهلية جهلاء مابين وثني عاكف على أصنامهم يسألها العون ويطلب منها فصل الخطاب ، وكتابي مشرك أضاع معالم دينه واتخذ احباره ورهبانه أربابا من دون الله . والنغوذ السياسي في العالم مقسم بين د ولتين ، بين أكاسرة الفرس في الشرق ، وقيصرة الروم في الغرب . وقد جهدت كل من هاتين الدولتين الا تدع بقعة من البقاع المعهورة في القارات الثلاث بعيدة من سلطانها أو قادرة على عصيانها . والصحراء الجرداء التي كانت بين هاتين الدولتين امتد سلطان كل منهما الى الجانب الذي يليه منها فاتخذت فيها اتباعا يطيعونها ويحتنون بها ويلوذون بجوارها كما سنرى ذلك فيما بعد . فارس تسيطر على الحيرة واليمن وروميمنة تسيطر على أرض غسان والبتراء وبدأ رسول الله - صلوات الله عليه - دعوته في مكة لاعادة بناء الحضارة النبوية وبناء الانسان الكامل بدأ يبنى بمفرده وجميع من حوله هدامون وكانت سلسلة من الوقائع الظافرة والصبر الطويل والخلق العظيم لا ينتهي الناظر من تلخيصها وفهم اسرارها ومراميها على صفحات السيرة النبوية الرائعة رفما اختار الله تعالى نبيه الى جواره حتى كانت الجزيرة العربية قد دخلت في الاسلام وتتابع من بعده - صلوات الله عليه - أصحابه واتباعه من المسلمين الاوائل على حمل المشعل بارادة قوية وعزم جهار فهبوا كالأعصار الهائل مكتسحين الطرد الفارسي في الشرق فسادوا بلاد فارس ، وموغلين في الفتح الاسلامي في بلاد الروم . ولا سباب هذه الفتوح وهذا الصمود حديث سنعرضه عليكم في محاضرات قادمة - ولستم تستطيعون امجاد فارس ولا حول الروم ان تصدهم عن غايتهم .

ومن ثم أخذ المسلمون ينتشرون انتشار البرق فلم يمض قرن واحد على وفاة الرسول الكريم حتى كانت دمشق والقدس وبابل والمدائن

واصفهان والاسكندرية وطرابلس وقبرص وكثير غيرها تتداعى وتسقط عند
اقدام المسلمين . وسريعا ما تبعتها تونس والجزائر والمغرب مستسلمة
للمسلمين الفاتحين .

وبعد أن وصل المسلمون الى شواطئ "الاطلسي" انقلبوا شمالا ونزلوا
بقيادة القائد العظيم طارق بن زياد عند ذلك الجبل الاسباني الذي لا
يزال يحمل اسمه حتى الآن ثم نواهم بعد ذلك بغزة وجيزة يكتسحون جبال
البرانس . بل يتوغلون في أرض الفرنجة . ولولم يصد هم شارل مارتل عن
توغلهم هذا في سنة / ٧٣٢ / لاستطاعوا بسط سيطرتهم على القسارية
الاوروبية بأسرها .

أما بالجانب الشرقي فنجد المسلمين يحتلون ترانسوكسانيا ويصلون
الى نهر الهندوس ومع ان رقعة الدولة لم تتسع اتساعا كبيرا في ايام
العباسيين - ٢٥٠ - ١٢٥٨ م - فان النشاط الاجتماعي والثقافي
ازدهر اياما ازدهار في امان حكمهم الذي دام خمسة قرون وانتشرت الصناعات
العقلية بشكل لم يعهده تاريخ الانسانية من قبل وعندها سقطت الخلافة
العباسية استولى على العالم الاسلامي زعمراؤه .

وبسبب من اتساع رقعة الدولة وضعف الخلفاء الذين جاؤا فسي
أواخر العهد العباسي ظهر عدد من السلالات والخلفاء فاستغل المغول
نواحي ضعفها المتعددة وقضوا قضا تاما على حكم العباسيين . وهدموا
حاضرة الخلافة العباسية (بغداد) واستمرت أعمال الابداء والافناء فسي
جميع الولايات الاسلامية الوسطى طيلة أربعين عاما ولكن المماليك الذين
كانوا يحكمون مصر يومئذ وتقدموا بشجاعة وبأس ووقفوا المغول عند حدود
فلسطين ولولا هم لوصل المغول بنارهم وسيوفهم الى قلب مصر وإلى البلدان
الاسلامية الاخرى في افريقيا وهكذا نرى أن تبقى المماليك وتنتهزم
وشجاعتهم قد انتقدت المسلمين في افريقيا من اجتياح المغول ووحشيتهم

وفظاظتهم .

وبينما كان العباسيون يلقون الهزيمة على أيدي المغول كانت الخلافة الاموية في اسبانيا تزداد قوة وبأسا . كما كانت تهبط سلطتان مدنيتهما على أوربا وبفضل عظمة غرناطة ومنجزات قرطبة الثقافية أضحت الاندلس هي المستوى الامثل لطالبي العلم والمعرفة. في تلك الايام الغابرة المجيدة التي بلغت فيها الاندلس عز مجدها الاسلامي كانت كلمة التعدن مرادفة لكلمة الاسلام " وكان على الانسان ليكون متعدنا أن يكون مسلما .

وهكذا كان تأثير المسلمين الثقافي العظيم في تلك الأيام التي كان الفاطميون يبنون دولتهم في مصر ويزيدون من قوتها وبأسها لقد أنشأوا مدينة القاهرة وبنوا فيها الجامع الأزهر الشهير وكان المسلمون في الفترة نفسها يثبتون اقدامهم في صقلية وجنوب ايطاليا. وفي القرى الحادى عشر الميلادى كان القائد المقدام محمود الغزنوى ينشر لواء الاسلام في البلدان النائية الممتدة من جزيرة الملح الكبرى غربا عبر نهر الاندوس الى بلاد البنجاب وبلتان والسند وغوجارت شرقا. وقد أدت هذه الفتوحات بالنتيجة الى قيام عدد من الدول والسلالات في الهند وفي هذا القرن كذلك - الحادى عشر - اكتسح السلاجقة جميع المنطقة الواقعة بين دلهي وسمرقند والبحر الابيض المتوسط ومن هذه القبيلة السلجوقية انحدر العثمانيون بعد ذلك بقرنين اثنين .

* الحروب الصليبية :

ثم رمت أوروبا العالم الاسلامي عن قوس واحدة في حرب صليبية غشوم دامت بضعة قسرون وصمد لها العالم الاسلامي وخرج من الهجوم كما خرج من قبل في حروبه مع المغول والتتار وقد استطاع الصليبيون بفضائل جهودهم المشتركة وبفضل تخاذل المسلمين أن يحتلوا القدس سنة (١٠٩٩)م

ولم يقو الخليفة العباسي على مقاومة هذه الحملات الغازية واستطاع ذلك
الايوبيون المستقلون الى أن جاء المجاهد صلاح الدين آخر الأمر وأنجز
بالصليبيين وعلى رأسهم رجال بارزون من أمثال ريتشارد قلب الأسد الهزيمة
والعار واستطاع صلاح الدين ذلك القائد المسلم العظيم أن يتخذ القدس
من أيدي وحوش الصليبيين في سنة (١١٨٧) م.

✽ الأندلس :

وازدهر الاسلام في اسبانيا طيلة سبعة قرون وكانت اسبانيا
مركزاً طليعياً للإسلام في أوروبا والمؤرخون من مسلمين وغير مسلمين متفقون
على أن حكم المسلمين في اسبانيا قد غمر البلاد بالسلام والأمن والحبوحة
وان المسلمين قد بدأوا في تلك البلاد عهداً من الحضارة لم تعهده من
قبل في أنشأوا المدارس والجامعات واستحدثوا محاصيل زراعية جديدة وطوروا
صناعات لم تكن معروفة من قبل ، اما اسهام المسلمين في ميدان الفنون
والعمارة فقد كان اسهاماً رائعاً الى أبعد الحدود وليس قصر الحمراء
في غرناطة والقصر في اشبيلية إلا بعضاً من الأمثلة على اسهامهم النبيل
في ميدان الجمال المعماري .

وفي سنة ١٤٩٢ وهي السنة التي اكتشف بها كولومبس العالم
الجديد بدأ فصل جديد بالنسبة الى بلدان أوروبا الغربية ، الا أنه
في السنة نفسها مع الأسى والأسف سقطت غرناطة في أيدي الاسبان النصارى
فكان ذلك بداية النهاية بالنسبة لحكم المسلمين في اسبانيا .

صقلية :

امتد سلطان المسلمين على صقلية أكثر من مائتي عام منذ بداية القرن
التاسع حتى منتصف القرن الحادي عشر . وفي صقلية أنشأ المسلمون ثقافة
لم تستطع الا أن تهبط نفوذها على أوروبا عامة وإيطاليا خاصة .

الهند :

واذا وصلنا الى الهند وجدنا " باهر " يضع أسرا امبراطور هينة جديدة ودولة حديثة هي دولة مغول الهند . وفي امان حكم المسلمين كانت الهند تتصف بالتقدم والازدهار، وكانت مركزا للفنون والعلوم. وقد عرف مغول الهند بعد لهم وللحرة الاولى في تاريخ هذه البلاد الطويل : توحدت الهند تحت أمراورانك زيب، ولكن الانحلال والتفكك مالم يأت فعلها بعد موته . وبدأ الانكليز بدهاثم ومكرهم يشبتون اقداسهم فسي الهند متبعين قاعدة بفرق تسد. وافلحوا أخيرا في خلع آخر أباطرة مغول الهند في سنة ١٨٥٧ .

وبعد تسعين سنة من جهاد المسلمين في الهند اضطرت انكلترا الى الرحيل، وظهرت دولة باكستان على خريطة العالم كوطن اسلامي جديد .

الملايو واندونسيا :

وكانت الملايو واندونسيا على الطرق التجارية للمسلمين . ذلك أنها تقع على الطريق البحري بين الاراضي الاسلامية والصين . وهكذا ظهر الاسلام في تلك الاصقاع وكما جاء الانكليز الى الهند تجارا وكذلك جاء الهولنديون الى اندونسيا في مطلع القرن السابع عشر ثم استعبدوا أهلها وظلموا فيها الى أن طردوا منها آخر الأمر في سنة ١٩٤٩ . لتصبح اندونسيا جمهورية مستقلة .

الدولة العثمانية :

اما الدولة العثمانية فقد وضع أسسها في مطلع القرن الرابع عشر أمير سلجوقي يدعى عثمان، وقد تمكن العثمانيون كما هو معروف من فتوح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية، واسمها اسلامبول أي مدينة السلام، وعرفت فيما بعد باسم استانبول، ولم يلبث العثمانيون أن احتلوا البلاد العربية وبقيادة السلطان سليمان - من أعظم سلاطينهم - افتتحوا اندريجان وتونس وليبيا وبساريا . وغيرها وحاصروا اترك مدينة فيينا .

حاضرة العواصم الأوروبية - أول مرة سنة ١٥٢٩ . ثم حاصروها للمرة الثانية سنة ١٦٢٣ ولكن القوى الأوروبية المتضافرة أنقذت فيينا . ومنذ ذلك الحين لم يحرز الاتراك أى تقدم جديد في أوروبا .
ايران ومصر :

وفي ايران كان الصفويون قد وطدوا سلطتهم في سنة ١٥٠٠ ولكن ايران لم تصبح دولة قوية الا في عهد السلطان عباس (١٦٢٩) ومصر التي كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، خضعت حيناً من الدهر للحكم الفرنسي أيام نابليون الا أنها حققت استقلالها في مطلع القرن التاسع عشر بزعامة محمد علي وزاد فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ من مكانة مصر وأهميتها .

الاسلام في افريقيا :

ان افريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم لأن (١٥٠) مليون نسمة من مجموع سكانها البالغين (٢٥٠) مليوناً هم مسلمون ولأن ما يقرب من ثلثي دولها المستقلة أغلبية سكانها من المسلمين ولأن غالبية سكانها الى الشمال من الصحراء الكبرى مسلمون ، كما أن في جنوب هذه الصحراء نسب متفاوتة منهم .

وقد بدأ اتصال الاسلام بافريقيا في حياة الرسول الكريم نفسه صلى الله عليه وسلم . وذلك عندما لجأ بعض المسلمين بناءً على أوامره الى الحبشة - وكان الاستقبال الحسن الذي لقيه المسلمون من ملك الحبشة - النصراني - هو الذي جعل هذا العطف في قلوب المسلمين عليها وفي الوقت الذي بسط فيه المسلمون سلطانهم على السودان فسي الجنوب بعد فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحوا كذلك ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فان الحبشة دخلت في الاسلام دون فتح وبعد هذه الفتوحات في القارة الافريقية انحدر قسم من

المسلمين من المغرب شمالا الى اسبانيا وانحدر قسم آخر جنوبا فاكثسحوا بحيرة تشاد ودارفور وكرد فان وكانوا وادية النيجر والسنغال ومتجاوزين اقتحام الحبشة .

وقد ظلت هذه المناطق في افريقيا الغربية مرتبطة حتى القرن السادس عشر بأوثق الروابط مع افريقيا الشمالية المسلمة ومع اسبانيا المسلمة كذلك . وقد ازدهر في افريقيا في تلك المناطق مملكة سنغهاي وازدهر الى جانبها ممالك اسلامية أخرى هي غانا ومالب وهورنو . وكانت هذه الدول ذات الحضارات العربية الزنجية تضارع أكثر دول أوروبا الغربية تقدما . وكانت تيمبكتو - عاصمة سنغهاي تفتخر بتجاريتها المزدهرة ومؤسساتها التربوية العديدة ومبانيها الجميلة . عندما سقطت اسبانيا فقدت بلدان افريقيا الغربية المسلمة تلك الصلة التي كانت تستمد منها طاقتها واندفاعها . وقد جاء الدفع الديني العظيم في القرن الحادي عشر عندما شق داعية مسلم عظيم يدهي ابن ياسين طريقة بين البربر في الجنوب فسي البلاد التي تعرف حاليا بـموريتانيا وقد قام تلاميذه ونشروا رسالة الاسلام في جميع المنطقة الغربية التي تشمل حاليا السنغال ومالي والمناطق المجاورة لها . وكانت الامبراطورية الزنجية الكبرى هي امبراطورية مالي التي ازدهرت بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر والتي تبعتها مملكة سنغهاي في افريقيا الغربية (١٤٦٨ - ١٥٩١) وهاتان المملكتان كان لهما الفضل في اعطاء الاسلام مكانة ومنزلة ساميتين في جميع هذه البلدان الواقعة في افريقيا الغربية .

وعلى الجانب الشرقي نرى أن الاسلام قد عبر البحر الاحمر وتغلغل في جميع المناطق الساحلية بما فيها ارتيريا والحبشة والصومال وتجاوزها الى عدد من البلدان في الجنوب . وقد سقطت بوابة افريقيا الشرقية ومعني بها (موماسا) في ايدي

المسلمين سنة ١٦٩٦ وما ان حل عام ١٧٨٧ حتى كان امام مسقط قد استولى على جزيرة زنجبار ومن هذه الجزيرة الصغيرة بدأ الاسلام توغله في افريقيا الشرقية وخاصة تانغانيقا التي مازال عاصمتها دار السلام تشهد باسمها على مؤسسي هذه المدينة الساحلية المهمة. ومنذ سنة ١٧٦٥ حتى ظهور البرتغاليين على المسرح كان الشاطي* الافريقي الشرقي يأكله تحت سيطرة المسلمين وأمة السلطنات الاسلامية المختلفة التي كانت تعرف مجتمعة بامراطورية الزنج وكان الشاطسي* الشرقي يرمته يعرف لدى المسلمين بزنجبار أو الشاطي* الأسود .

الاستعمار الاوروبي لأفريقيا :

بدأ أولا اوروبيون بأفريقيا في القرن الخامس عشر . وكانست صلاتهم هذه تزداد عمقا وقوة قرنا بعد قرن الى أن بدأ الاوروبيون تسابقهم على المستعمرات في افريقيا في القرن التاسع عشر .

ففي القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر انهمك الاوروبيون (البرتغاليون والبريطانيون والهولنديون والفرنسيون وغيرهم) الى حد كبير في تجارة الرقيق التي كانت تعود عليهم بأكبر الربح . وكان الاوربيسون يتخذون من المناطق الساحلية (السنغال - غينيا - سيراليون وغانا الخ) مركزا لنشاطهم . وكان البريطانيون منهم بصورة خاصة يرسلون السفن معبأة بالعبيد لا فارقة الى مستعمراتهم الجديدة في امريكا .

كانت افريقيا الغربية هي المعين الذي كان الاوروبيون يستقون منه العبيد الذين كانوا يصطادونهم للعمل في مزارعهم والقيام بسائر الأعمال في العالم الجديد . وكان الرق هو التجارة التي تد ر أعظم الربح على أولئك الذين رُمعوا فيما بعد أن الله تعالى قد حطهم عبء الرجل الأبيض لتمدين العالم .

ومن الأمور الجديدة بالاعتبار هنا قبل متابعة البحث أن مفهوم الرق

عند الاوربيين مرتبط بسواد البشرة روان السبيل الى استرقاق هؤلاء الذين هم أحرار كالموا الحرية ، والمسلمون منهم متحضرون أكثر من السادة البيض هو القرصنة والخطف من الشواطئ . . والكلام على (الرقيق الأبيض) في نظام الاسلام ومقارنته بهذا الاسترقاق الاوربي البشع آخر غير هذا الموضوع . وبلغت تجارة الرقيق اوجها في القرن الثامن عشر والى البريطانيين يعود الفضل في أنهم سبقوا الأمم الاخرى وقادوها في هذه التجارة القبيحة الشنعاء ولقد قيل استناد الى مصادر موثوق بها أن السفن البريطانية وحدها قد نظمت بين عامي ١٦٨٠ - ١٧٨٦ مليونين من العبيد - او بتعبير أدق من السود المخطفين من افريقيا الغربية الى مستعمراتهم في امريكا . ويعترف المؤرخون بأن الشحنات السنوية في السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر قد بلغت مائة ألف . وانه حتى في النصف الاول من القرن التاسع عشر كانت الشحنات تبلغ قرابة خمسة وثمانين الفا في السنة . هؤلاء الملاكيد من بني البشر الذين كانوا يشترون بأبخس الاثمان أو يصطادون صيدا كما يصطاد الحيوان . وكانوا يباعون في امريكا ويشترى بأثمانهم الغراء والسكر والعسل الاسود والخشب وسواها من المواد الأخرى التي كانت تباع بأثمان فاحشة في أوروبا وأسواق العالم كان هؤلاء العبيد يحشرون كالسردين في سفن العبيد وكانوا يعطون من الزاد ما يكفي لسد رمقهم . بل لا يقاتلهم على قيد الحياة فحسب . وكانوا يجلدون لا يما تقصير أو خطأ يرتكبونه فلا عجب اذا مات أكثرهم على الطريق وعند ما بدأ بعضهم في القاء أنفسهم في البحر تخلصا من ذلك العذاب شرع أسيادهم في ربطهم بالسلاسل منعا لهم من الهرب والحق ان بإمكان الباحث أن يكتب المجلدات اذا ما أراد أن يصف بالتفصيل الطريقة التي كان أولئك العبيد يعاملون بها بعد صيدهم من البائعين والمشتريين على حد سواء . ان الطريقة التي كانوا يساقون بها بعد صيدهم

في ظل بنادق أسياهم - البيض المتحضرين . . . أو علائهم الى الشاطئ حيث يحشرون في السفن حشرا تشكل هي أيضا فصلا من فصول التاريخ التي تترى بمخازي التتر والمغول واحزابهم .

وما ان أطل القرن العشرون حتى كان الاوربيون قد اقتسموا افريقيا كلها تقريبا باستثناء جمهورية ليبيريا الصغيرة ونالت حصة الاسد كل من بريطانيا وفرنسا فقد حصلت كل منهما على مناطق بلغت مساحتها ثلاث ملايين ميل مربع .

وقد استولت الدول الأوروبية على هذه المساحات الشاسعة تسارة بالحروب وطشورا بالخيانة وعن طريق الحصول على تواقيع الرؤساء البسطاء الاميين على معاهدات بيضاء .

وتحت تأثير الاستعمار الغربي فرضت خريطة جديدة على القارة الافريقية عندما شرعت هذه الدول المستعمرة في خلق بلدان جديدة عن طريق رسم حدود اعتباطية بين المناطق - المختلفة - ولم تكن افريقيا من قرن في ظل الامراء المسلمين تعرف الحدود - واوجدت فيها الى جانب ذلك طبقة خاصة من النخبة التي تدور في فلكها وكان معظم هذه الطبقة من النصارى وأصبح التعليم هو السلم الحقيقي للوصول الى مرتبة الزعامة وكانت الارسلات المسيحية تحتكر العلم والتعليم في جميع هذه الجيوب الاستعمارية تقريبا مما يفسر كون السياسة والاقتصاد في أيدي هذه النخبة المسيحية الجديدة . حتى في المناطق التي تقطنها أغلبية مسلمة .

"الاسلام والمسلمون في القرن التاسع عشر"

انتهى الاسلام في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد الى نهاية جزره من القوة النفسية والقوة المادية لأنه تلى عن القرون الأربعة السابقة أثقالاً من المتاعب والأزواء لم تحتج أمة من قبله بمثلها وكان بعضها كافياً للقضاء على دولة الفراعنة والأكاسرة في الزمن القديم. وان هذا المبدأ من مبادئ المقارنة التاريخية لغارقاً بيد ولنا في كثير من الصورتين عظمة الدين وعظمة السياسة فإن دول السياسة تذهب ولا تعود ولا يوجد بعدها من يحاول اعادة تها ولكن دولة الدين - أو على الأصح قوة الدين تبقى من وراء الأمم والحكومات كأنها القوام الذي تتعاقب عليه بنية في أثر بنية . وهو باق يتجدد ولا يتسلم للفناء ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الاسلام بعدما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر الى القرن التاسع عشر للميلاد وانما الغريب عندهم هو تلك القوة المنيرة التي صابرها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة انسيبلية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الامم ولا تزال على أمل وثيق في المزيد وتستطيع أن تتخيل تلك القوة المنيرة بنظرة سريعة نعرض فيها طائفة من الكوارث والشدائد التي صابرتها وصبرت عليها وهي محيطة بها من خارجها وناجمة من داخلها وبين ظهرانها فقد مضت القرون الأربعة بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر في منازلة الجيوش الصليبية ولم تكد هذه الحروب تنتهي حتى خلفتها حروب " المسألة الشرقية " وهي التي وقفت فيها الدولة العثمانية - وكانت يومئذ دولة الخلافة تناهض غارة بعد غارة من غارات الأوروبية التي تألبت عليها وأطلقت عليها اسم " الرجل العريض " لأنها كانت تتنازع ميراثه وهو يقيد الحياة ولم تكد حروب المسألة الشرقية تنتهي بتنافس السورثة على بقية الميراث حتى اعقبتها حملات الشركات وأصحاب الديون ومعها حملات الاستعمار والتبشير .

وقبل الحروب الصليبية وبعد ها كان العالم الاسلامي عرضة لاهوال الغارات من قبل آسيا الوسطى التي كانت ترسل الفوج من عشائر التتر والمغول بقيادة جنكيز خان وهولاكو وفاران وتيمورلنك واتباعهم من القادة والامراء وهم لا يفهمون معنى الخلية الا أنها قدرة على الفتك والتدمير وان أعظم المنتصرين من يقاس انتصاره بعدد من قتل من المحاربين وغير المحاربين وعدد ماضرب من المدن والقرى في الطريق ومنهم من كان يظهر الاسلام ويغير على ممالكه لانها في زعمه تساس على خلاف الشريعة الاسلامية وفي خلال ذلك جميعه كانت الدولة الاسلامية تتسع وتمتد حتى ينقطع ما بينها من الصلة ويتعذر على القائمين بها ان يجمعوها الى حكومة واحدة وكان اتساع الافاق بصحبة اختلاف المواقع واختلاف السكان واختلاف المصالح والاهواء فلا تثبت أن تتمزق ثم تتماهى على البغي والعبد وان . ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة أو الدولة التي سميت بالامبراطوريات في الزمن القديم .

الحروب الصليبية وأثرها على العالم الاسلامي :

ولقد رأينا كثيرا من المؤرخين يوازنون بين اخطار هذه الضربات ويجعلون الحروب الصليبية في مقدمتها أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ماتعاقب بعدها من الاخطار أو الاخطاء. وهذه الحروب ولا نكران كانت من أعظم الاخطار التي امتحنت بها الامم الاسلامية ولكننا نعتقد أن الخطر فيها انما كان على نقيض المفهوم من هذا الخطر في عرف الجملة من مؤرخيها لأنها في الواقع لم تنهك قوة الامم الاسلامية ولم تتركها موقته بالهزيمة في نظر نفسها .

١- بل تركتها وقد اورثتها افراطا في الثقة برجحانها وافراطا في سوء الظن باعدائها وقد كان هذا هو باب الخطر الجسيم الذي عدة قرون .

- ٢- ومن آثار الحروب الصليبية التي لا تفوت أحدا من المؤرخين إنها جاءت بالترك العثمانيين من أواسط آسيا الى أرض الروم ودفعتهم الى مقابلة الغارة بمثلها في صميم الديار الأوروبية .
- ٣- وإنها ايقظت الشرق الاسلامي كله من تخوم الصين الى جوف الصحراء الكبرى في القارة الافريقية ، وان أحقق الحمقى من الصليبيين كان أنفعهم وأقدرهم على انكاس الحمية في نفوس الامراء والسلاطين وان منهم لمن شغله الملك فوق اشتغاله بالدين .
- وقد كان وصف صلاح الدين بطل الحروب الصليبية غير مدافع فسي نظر الاوروبيين والشرقيين ولكن الصفة التي كانت غالبية عليه ولا شك هي صفة الحلم الراجح والناة الهادئة وايتار الكسب بالسلم والمطاوله على الكسب بالعنف والهجوم. الا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائره حتى الجنون حين سمع بعزم (ارنولد) صاحب الكرك على فتح الحجاز واعداده العدة في البر والبحر لاقتحام المدينة والمساس بالقبر الشريف. وسرى وعيد ارنولد في المشرق كله فنسى الخصوم خصومتهم والطامعون مطامعهم وأقسم صلاح الدين ليقطن (ارنولد) بيده فكانت موقعة حطين التي تعد من وقائع التاريخ الحلية وظفر صلاح الدين بشرذمة من الملوك والامراء عفا عنهم جميعا الا (ارنولد) هذا فلم يقل فيه شفاعه من أحد وتناول سيفه وضرب عنقه بيده وهو يقول : برئت من شفاعه محمد ان قبلت في هذا الأحمق شفاعه شفيح. واستنكر الصليبيون أنفسهم حماقة (ارنولد) هذا لانهم ادركوا أنها استتارت من نفوس المسلمين كل قوة كامنة واكسبتهم وقعة (حطين) بعد هزيمتهم في الوقائع التي سبقتها .
- والأمة الاسلامية قد أنكرت على الاوروبيين الذين قدموا في جيوش الصليبيين ضروبا من الخشونة والجلافة حسبتها من البربرية التي تعافها وتشمئز منها. ورسخ في نفوسهم ان هؤلاء القوم ليسوا بالمسيحيين لأنهم لم

يعملوا بوصية واحدة من وصايا المسيح التي يحفظها المسلمون .
وكان أنكر ما استنكروه سماحهم بجلب النساء من بلادهم لمعاشرة
الجند معاشرة الأزواج بغير زواج . وكان أشد من ذلك نكر أن يعظموا
الصور والتماثيل عباد الأصنام للطواغيت والأوثان فلم ينظروا اليهم نظرة
الاعمى الى الأذنين وحسب بل وقرت في اخلاصهم سخافة ما يدعون من حق
المطالبة بشيء قط باسم المسيح عليه السلام رفهم في دعواهم مهملون وهم
غير أهل لتلك المطالبة لو كانوا صادقين . مثل هذا الشعور قد يحييك
صدور الامم في أوقات كثيرة فلا يضرها بل يمدّها في قوتها اذا خسرتها في
إبان النمو والصمود ولكن الظروف التي تطورت اليها الحروب الصليبية
لم تكن من هذه الاوقات بل صادفت على النقيض فترة ذات وجهين من قبل
الشرق ومن قبل الغرب فكانت في الشرق فترة هبوط في النهضة العلمية
وكانت في الغرب فترة صعود في النهضة العلمية الحديثة قامت بعدها
أوروبا مقام القيادة على هذه النهضة وتغلب الشرق زمنًا عن اللحاق بها وليس
أخطر على الأمن الاكثفاء بالذات والاعتزاز بالرجحان في أمثالهم
الظروف .

تطور الظروف في أوروبا والعالم الاسلامي بعد الحروب الصليبية :

هبطت النهضة العلمية في الشرق بعد القرن الثاني عشر على أشرف
الغارات التي تعاقبت في كل مكان وانصبت كوارث هذه الغارات خاصة على
معاهد العلم والمكتبات فعصفت بالعشرات من مابين بخارى وسمرقند ومرو
وبغداد ودمشق وحمص وسائر المدن التي اشتهرت بمعاهدها ومكتباتها
في الزمن القديم . ويخصى عدد الكتب التي احترقت خلال غارات التتر والمغول
وغارات الصليبيين ، مئات الألوف وعدد المعاهد والمكتبات بالعشرات
والمئات وانصرف الأمراء وطلاب العلم عن العناية بالمدارس والمصنفات
الى التأهب والاستعداد لدفع المغيرين ممن كانوا يتوقعون غاراتهم واحدة

تلو الأخرى بغير انقطاع وكثرت مطالب الحكام من المحكومين اضطرابا فسي
أول الأمر ثم اختيارا واعتسافا مع تعادى الزمن حتى ساءت الصلة بين الحاكم
ومحكوميه وتراخى الزمن على أثر الحروب الصليبية واستقرت الأحوال بعض
الاستقرار فعادت البلاد الإسلامية الوسطى شيئا من رخائهم على طريق
التجارة الهندية ثم انقطع هذا الطريق واتجه الورد إلى غيره من الطرق
حول القارة الأفريقية فاجتمع سوء الحكم إلى سوء الحال وشاعت الشبهة
عن حق وعن باطل بين الرعاة والرعية .

"أعراض الشرق الإسلامي من العلم والمعرفة"

وهذه هي الفترة التي كان ينبغي فيها للشرق الإسلامي أن يطلب
المعرفة وبه من ضرورة العمل في التقدم أو يوء من بمزايا العلم الحديث ولكنها
كانت بحكم هذه الظروف جميعا هي الفترة التي اعرض فيها الشرق من كسل
حديث وهو يأتي على الخصوص من قبل القارة الأوروبية فتأخر عن ركب الحضارة
العصرية زهاء قرن كامل لو أنه استفاد ناهضا ومجاريا للنهضة في مضارها لما
قصر عن اللحاق بالسابقين .

سوء الظن بالمدارس العصرية :

وجاءت المدارس العصرية من جانبين كلاهما معطنة للتهمة وكلاهما
موضع للحذر والالتقاء وجاءت المدارس العصرية على أيدي الحكومات التي بلغ
التنافر بينها وبين المحكومين حد العداوة والاثام بغير بحث ولا روية
فكان الناس يحسبون التلميذ المطلوب للمدرسة كالعامل المطلوب للمسخرة
أو كالجندي الذي يساق إلى المشقة والوبال في غير مصلحة ولا كرامة .
وجاءت المدارس العصرية أيضا على أيدي إرساليات التبشير التي صارحت
الناس في ظل الامتيازات الأجنبية بغرضها من فتح المدارس وقبول التلاميذ
بغير أجر في كثير من البلدان فاحجم المسلمون عن تعليم أبناءهم في مدارسها
وجاوزوا ذلك إلى سوء الظن بالعلم نفسه وسوء الظن بينه المعلمين وایمان
المتعلمين .

٤- وانقطع ما بين المسلمين وعلومهم الاولى فنذر فيهم من كان يتعلم
النافع منها كاللغة واللغة والادب والرياضة وانقطع ما بينهم وبين
العلوم العصرية فنظر الكثيرون منهم الى علوم الجغرافية والطبيعة
والكيمياء كأنها الكفر البواح أو السحر المزيف واتصل ما بينهم وبين
الخرافة والجهالة بهذا الانقطاع بينهم وبين العلم الصحيح قد يمه
وحد يثرفا صطنع فهمهم للدين بصيغة الجهل والتحريف وطلبوا
الخلاص من غير بابيه وتوسلوا للعمل فيه بغير أسبابه واتهموا
الناصحين واسلموا قلوبهم للمدجلين والمحتالين .

في هذه الفترة كان الاسلام كما يفهم الجهلاء - والجهلاء هم
الاكثرون في سائر الامم مزيجا من الخرافة والشعوذة ومن الطلاسم
والاوهام ومن الوثنية وهباء الموتى .

في هذه الفترة كان بعض المتعالمين من ادعياء المعرفة يحكم
بكفر القائلين بدوران الكرة الارضية ولا يتر في تكفير من يسميها
بالكرة .

وفي هذه الفترة كان طلاب الفتوى من مشارق الارض ومغاربها
يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه وهل يجوز قدح النار منه وطبخ
الطعام على تلك النار وفي هذه الفترة كان السائلون يسألون عن
صناديق التوفير والادخار وعن معاملات التجارة من طريق المصارف
والشركات ويحسبون ان الليان بالاضرحة والتواهي وتربيل الاوراد
والعزائم يغنيهم عن السعي والتدبير وعن الجهاد والاجتهاد
وفي هذه الفترة على الاجمال كان المسلم يعيش في العالم كمن
يعيش في خرابة مظلمة لا يدري من أين تسرى اليه عقاربها وحياتها
ومتى تخرج عليه أشباحها وشياطينها وانقلب معنى الاسلام الى
معنى المخافة والاثام بعد أن كان أول معاني الاسلام الطمأنينة

ابى الخالق وخلقه وكان هذا الاسلام الذى صار اليه المسلمون مخافة لا سلم فيها ولا سلامة واتهاما لا تسليم فيه ولا مسالمة. قلنا: ان الافراط بالثقة بالنفس والاكتفاء بها كان فيما بعد الحرب الصليبية مضارعا للافراط في سوء الظن بالاعداء وتوهم الاستغناء عنهم والريية بكل ما يأتي من قبلهم. قلنا: انه اكتفاء بالذات وخيم المغبة في أمثال هذه الأحوال .

ونقول: على الدوام: انه ما من شر يخلو من بعض الخير وما من ضرر مطلق ان كان معنى الضرر المطلق انه لا يقبل الترياق او لا يحتويه في كثير من الاحايين. هذه الفترة من الثقة العمياء لم تخل من فائدها في المقاومة والامل في التدبيل وفي عدل الله بين عباده ولم تك تدلغ أقصى مداها من الاشرار حتى جاءت بعدها نكبة الاستعمار بنقيض العبرة في دروس الحروب الصليبية لانها شككت المسلمين في كفايتهم واستغنائهم وشككتهم في رجحانهم وغلبتهم وقام بين المسلمين من يقول لهم: ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الغربيين نجحوا وتقدموا لانهم أخذوا بالوصاية والاحكام التي كان المسلمون اولى بها لو عقلوا وصايا الدين واحكامه وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

نعم وفي اصطكاك الشرق الاسلامي مرتين بالقارة الأوروبية مصداق لهذه الآيات البينات انه سلم من الحروب الصليبية فاكتفى وقنع عما يحتاج اليه وانهزم في وجه الاستعمار فعرف حاجته وتقيا لنفسه واستقام على النهج الذى لا غنى له عن الاستقامة عليه وعادت به المأساة الى (العقيدة الشاملة) التي ميزته بين عقائد الاديان فهو في مدة اليوم بعيد منتصف القرن العشرين فان لم يبلغ من مدة اليوم ما يرجوه لقصد ترك المرحلة التي انتهت فيها الى جزره في أوائل القرن التاسع عشر وما في ذلك من خلاف .

"العالم الاسلامي"

يمتد العالم الاسلامي في قلب العالم القديم ويغطي رقعة واسعة من قارتي آسيا وافريقيا في المناطق المعتدلة والمدارية وهو يشكل أكبر وحدة بشرية في العالم إذ يزيد عدد المسلمين على ٦٠٠ / مليون نسمة - ويمتاز بقوة الروابط الروحية والفكرية والاجتماعية بين أبنائه كما يفكرته الإنسانية السامية، إنه يجمع في بوتقته عصارة الجهد البشري ونظر الى جنس أولون أو طبقة أولغة. ويلتقي فيه العربي والمجعي والأبيض والأحمر والأسود على كلمة التقوى ومصلحة الجماعة . كما أن العالم الاسلامي يمتاز بأهميته الاقتصادية بما حباه الله من ثروات مادية عظيمة في مجال الصناعة يسلك العالم الاسلامي نسبة كبيرة من المواد الأولية فهو يحتل الدرجة الأولى في انتاج البترول في العالم وفي الاحتياطي منه، وأهم آباره في السعودية والكويت وقطر وامارات الخليج والعراق وايران واذربيجان وداغستان وفي ليبيا والجزائر واندونيسيا .

ويحتل الدرجة الاولى كذلك في انتاج القصدير الذي يستخرج من نيجيريا وماليزيا واندونيسيا بكميات ضخمة. كما يحتل الدرجة الأولى في انتاج الفوسفات واكثرها في مراكش ثم في الجزائر وتونس وفي العالم الاسلامي كذلك كميات كبيرة من النحاس والرصاص والمنغنيز في تركستان ثم المغرب، كما أن فيه الذهب والفضة في السعودية وتركستان .

وانا أصفنا الى ذلك قيمة العالم الاسلامي الاستهلاكية عرفنا أهمية الاقتصادية التي دفعت الدول الصناعية المنتجة الى الاقتتال عليه وحمله مناطق نفوذ لها .

أما الزراعة في العالم الاسلامي فلا تزال أهم الموارد وأهم المنتجات الزراعية القلن في مصر والسودان وسورية والعراق وتركستان واذربيجان والمطاط. في اندونيسيا وانواع الفواكه في لبنان وفلسطين والمغرب وفي كشمير

وتركستان والتمور في العراق ثم الحبوب في أكثر أجزاء العالم الإسلامي وكذلك فقد احتلت بلاد المسلمين منذ القديم مركزا تجاريا هاما بسبب موقعها الجغرافي في قلب العالم القديم وما تمتعت به من أمن وحيوية إبان الحكم الإسلامي المديد . ولما عرف به التجار المسلمون من أمانة وصدق فكانت قوافلهم تحمل البضائع من أقصى البلاد إلى أقصاها ولم يكن للتجارة طريق إلا في بلاد المسلمين إذا كان المحيط الهندي وبحر العرب والبحر المتوسط والجمهر بحارا إسلامية كما كان بيدهم طريق الهند البرى عبر مصر خير إلى خراسان والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب وقد كان للتجار المسلمين فضل كبير في حمل الإسلام إلى أقطار نائية لم تصلها جيوش الفتح فكانوا جنود الحق ورسل الخير .

"قارة آسيا"

آسيا أكبر قارات العالم وتبلغ مساحتها حوالي (٤١٥٠٠٠٠٠) كيلومتر مربع . . . وهي مشهورة بهضابها العظيمة وسهولها الخصيصة وأنهارها الغزيرة وأهم حاصلاتها الزراعية الرز هو غذاء السواد الأعظم من سكانها ثم القمح والدخن والقنب ولكتان والشاي والفواكه وشجر جوز الهند . وتشتهر بحيواناتها ذات الفراء والحيوانات السائمة وآسيا غنية بالمعادن كالذهب والفضة والبلاتين والحديد والرصاص والنحاس والبترو. وآسيا مهد الشعوب القديمة ومرتع حضارتها وفيها ظهرت الديانات السماوية الكبرى المنتشرة في العالم اليوم ويقدر عدد سكان آسيا بـ ١٣٠٠ / مليون نسمة . ويجتمع فيها أكثر الديانات المعروفة اليوم ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي (٤٧٠) مليون نسمة وهم يشكلون الأغلبية في أكثر من (٢٠) دولة آسيوية .

وسنتحدث بشيء من التفصيل عن أهم الاقطار الإسلامية في هذه القارة الآسيوية ونبدأ بلمحة عامة عن البلاد العربية .

خرج المسلمون من جزيرة العرب في القرن الاول الهجرى يرفعون راية الاسلام في أطراف الارض ودخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الدين الاسلامي وانتشرت معه اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولم تعد العربية محصورة في جزيرة العرب وأطراف الشام والعراق وانما امتدت في أقطار واسعة من آسيا وأفريقية فكانت لغة البلاد الاسلامية الممتدة من الهند والصين وبخارى الى صقلية والمغرب والاندلس ثم وقف المد الاسلامي وضعفت العربية بضعفه فانحسرت عن كثير من الاقطار ولم يبق لها الا ما يسمى اليوم بالبلاد العربية .

تقدر مساحة هذه البلاد العربية بـ ١٢ / مليون كم ٢ منها (٣٥) مليون في جنوب غربي آسيا و (٨٥) مليون في شمال افريقيا . ويبلغ عدد سكانها (١٠٠) مليون يدين ٩٦ ٪ منهم بالاسلام والباقيون من النصارى واليهود . نعمت البلاد العربية بنور الاسلام منذ الأيام الاولى فقد دخلت جزيرة العرب في الاسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام قد جهز قبيل وفاته جيشا لقتال الروم " وعقد الراية لاسامة بن زيد رضي الله عنه فحين تولوا أبو بكر رضي الله عنه الخلافة لم يرض أن يحل الراية التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشغله حروب الردة عن فتوح الشام ومضت جنود الله تنطلق من الحجاز وحتى تم لها فتح الشام والعراق ومصر أسهم عمر رضي الله عنه . أما الشمال الافريقي فقد انضم الى الدولة الاسلامية أيام الامويين وهكذا لم يفض القرن الاول حتى كانت البلاد العربية بلادا اسلامية تنطلق منها كتائب الفتح لتحمل نور الاسلام للأرجاء الارض وظلت البلاد العربية قرونا عديدة تحت حكم الخلفاء . وحكم الخلفاء حتى تعرض العالم الاسلامي لموجة الضعف فتوزعت الأيدي الطامعة . ولما حل القرن العاشر الهجرى كانت زعامة العالم الاسلامي بيد

ثلاث دول هي دولة المماليك في مصر والشام والحجاز واليمن ودولة الأتراك العثمانيين في آسيا الصغرى ودولة الصفويين في إيران والعراق. وكان التنافس والنزاع بين هذه القوى الثلاث شديدا ثم تغير الميزان الدولي ولم ينقض هذا القرن العاشر حتى كانت الخلافة العثمانية تهبط نفوذها على معظم البلاد العربية .

فقد انتقلت الشام ومصر والحجاز إلى حكم العثمانيين عندما هزم السلطان سليم جيش المماليك قرب حلب عام ٩٢٢ هـ ثم هزمهم عند القاهرة عام ٩٢٣ هـ وقضى على دولتهم وعند ذلك أعلن حاكم الحجاز ولده للسلطان فقبل السلطان ولاه وثبته في إمارته ، أما اليمن التي كانت للأئمة الزيدية فقد كان العثمانيون ينجحون أحيانا في الاستيلاء على الحواري فيها وعلى صنعاء وينهزمون أحيانا أخرى أمام هجمات الزيدية . وأما العراق فقد استطاع السلطان سليمان سنة ٩٤١ هـ أخذه من الدولة الصفوية الشيعية وجعله ولاية عثمانية ولكن الصفويين عادوا فاستردوه حتى جاء مراد الرابع فأعاد إلى جسم الدولة العثمانية .

كما احتل السلطان سليمان ميناء عدن ومسقط وعمان ثم احتل الأحساء والقطيف والكويت والبحرين ولكن السيادة الفعلية كانت للأمراء وشيوخ القبائل . وأما الشمال الأفريقي فقد حكمت دولة الموحدين حتى سقطت سنة ٦٦٠ هـ هجرى فقامت بعد ذلك دويلات صغيرة لم تصمد لآطماع الأوروبيين الذين احتلوا الشنور فقد احتلت البرتغال شنور المغرب كما احتل الأسبان شنور طرابلس وتونس والجزائر في مطلع القرن العاشر فاستصرخ المسلمون العثمانيين فدخلوها وضموها إلى بلادهم وحملوها من الأوروبيين ثم قامت فيها أسرة حاكمة من أهلها حكمتها في ظل العثمانيين حتى غلب عليها الأوروبيون من جديد واستعمروها وفي هذا القرن الأخير مرت على البلاد العربية أحداث جسيمة متوالية كان لها أثر بالغ في كيانها وأوضاعها الاجتماعية والسياسية .

" المد الاسلامي في آسيا وافريقيا "

* تمهيد :

ان العالم الاسلامي الحديث بأشكاله السياسية المختلفة وبأحواله المعيشية والفكرية والحضارية جاء نتيجة للظروف التي مر بها هذا العالم والعوامل التي تعاقبت عليه منذ اصطدامه مع العالم الاوربي ابان الحروب الصليبية وما اصابه بعد ذلك من أسباب العناء والركود الى أن اصطدم مع هذا العالم مرة أخرى في حروب الاستعمار الحديث ، وما اصابه فيها هذه المرة من (تحدى) الحضارة الاوربية والفكر الاوربي الحديث ثم ما وقي فيه بعد ذلك من (ردود الفعل) المختلفة تجاه هذه الحضارة الغنية التي استطاعت أن تترك على سطحه وفي أعماقه روا سبمختلفة لم يكن عالما هذا بعيدا عنها وهو يحاول تحديد موقفه من هذه الحضارة يضاف الى ذلك ان من أبعد الامور أثرا فيما آل اليه أمر العالم الاسلامي الحديث : الأحوال التي تقلبت فيها الدولة العثمانية خلال خمسة قرون . كانت في بعضها كفوا للدول الاوربية مجتمعات . وكانت في بعضها الآخر (الرجل العريض) كما اطلقوا عليها الذي يحاول (الورثة) ان يقتصموا ميراثه وهو بقاء الحياة . هذا الى جانب التوسع الاقليمي وسعة الانتشار الذي اصابه الاسلام في آسيا وافريقيا في جميع عهد هذه الدولة . وفي بعض جهود الاستعمار أيضا وبخاصة في افريقيا . نظرا لنشاط الدعاة ورجال الطرق ردا على التحدى العنيف الذي أصيب به الاسلام والحضارة الاسلامية وحيث كانت الفرصة مهيأة لان يقارن أدنى رجل افريقي بين حضارة الاسلام وحضارة الرجل الأبيض ؟؟ وان شئت قلت : رسالة الرجل الأبيض وأخيرا ففي الوقت الذي لاننسى الدور البعيد الأثر الذي قامت به الارساليات والبعثات التبشيرية في التخطيط لعالمنا الاسلامي المعاصر بدليل ما نراه الآن في بعض الدول الافريقية التي يدين أهلها بالاسلام

وكيف أنها تدار بسياسة التبشير أو تحكم من قبل بعض المقتصرة فإن
حديثنا في الدرس القادم عن الزحف الاستعماري على العالم الإسلامي
سوف يشمل بالطبع الحديث عن هذه الرسائل لأن التبشير والاستعمار
(كما سنرى) صورتان لحقيقة واحدة وتلازما وتعاوناً كأشد ما يكون التعاون
والتلازم كما مهد كل منهما للآخر ويمكن له وإذا حصل في كثير من الأحيان
أن المباشر كان يقوم بدور المكتشف الذي سار على أثره المستعمر فإن
الاستعمار في الحقيقة أوجد (المناخ) المناسب الذي يستطيع فيه
التبشير أن يؤدى رسالته على (أحسن) وجه بما أمد بعثاته من دعم ومسا
أعطائها من الحماية وحرية العمل وبما أقصد بين يديها من خلق وسخر
من أقلام مستشرقين وباحثين وبما رفع من أقليات وتبع من
سياسات .

وقبل أن نبدأ الحديث عن هذا الزحف الاستعماري على العالم
الإسلامي بوصفه السبب المباشر الذي أثر في العالم الإسلامي الحديث ،
وكيف صمد العالم الإسلامي لهذا الغزو إلى أن تطورت الأوضاع إلى ما هي
عليه الآن لا بد قبل ذلك من الحديث عن أغلبية الإسلام وعوامل
انتشاره في آسيا وأفريقيا .

انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا :

ارتكز المد الإسلامي في العالم كما هو معلوم في مواضعه على مبدأ
نشر الإسلام وتحرير الشعوب من الجاهليات ولقد بلغ هذا المد الموجه
في عصر الفتوحات الأولى يوم قضى المسلمون على الدولة الفارسية
ويوم نزلوا دولة الرومان الشرقية فحرروا بلاد الشام وشمال أفريقيا وعبروا
البحر إلى الأندلس لقد هزمت أمام هذا المد الجديد الدولتان
الكبيرتان اللتان كانتا تتقاسمان العالم المعمور في ذلك الحين دولة
الأكاسرة في المشرق ودولة القياصرة في المغرب وكانت هذه الهزيمة

يومئذ من أعجب العجب في تواريخ الدول لأنها تمت في بضع سنوات
ولأنها جاءت من مكان لا يحسب له في نظرهما أى حساب ؟ جاءت من صحراء
جزيرة العرب التي كانت هاتان الدولتان تحفلان بما يجرى حولها ولا تكثر ثان
لما يجرى في داخلها وقد امتد سلطان كل منهما الى الجانب الذي يليه
فاتخذت فيه اتباعا يطيعونها ويحتمون بها ويلوذون بجوارها فارس تسيطر
على الحيوة واليمن وبيزنطة تسيطر على أرض غسان والبتراء وتهم ان تنصب
لها أميرا على الحجاز يدين لها بالولاء ويحرس لها طريق الشام من أوله
في الجزيرة العربية .

ولهذا لما جاء الى كسرى رسول من قبل هذه الجزيرة وسأل عن شأنه
ف قيل له : انه يحمل رسالة من نبي ظهر في العرب يدعو الى دينه ؟ ضحك
غاضبا أو غضب ضاحكا وأمر من يذهب الي ذلك النبي الجسور فيأتيه به حيا
أو ميتا ليلقى جزاءه على الجسارة التي اجترأ بها على الشاهنشاه ملك
الطوك ولما تسمع القوم في الجزيرة العربية ان ذلك النبي بهم أن يحارب
القيصر في عقر داره سخروا وقالوا عساه يحسبها غزوة من غزوات البادية .
ولكن القوة التي انطلقت لتوقع الهزيمة بالدولتين معا جاءت من حيث
لا تتوقعان جاءت من وراء الرمال وان شئت قلت : جاءت من وراء الغيب .
غلب المسلمون في هذه المدة وانساحت العقيدة الاسلامية تهــزم
امامها عقائد موروثة وقيل في تفسير هذا الغلب ما قيل وظن من ظن
ان الاسلام انتشر في العالم بقوة السيف ونسي أولا ان التمكن الذي
أصابه الاسلام في نفوس معتنقيه والذي ساعده على ذلك الغلب .

وكان السيف في قلب هؤلاء المعتنقين لا في أيديهم يوم كانوا
مضطهدين مطاردين في مكة ونسي معه ان الله تعالى يقول : (لا اكراه
في الدين) .

— ثم نسي ثانيا — وهذا ما يجب تأكيده وفهمه حق الفهم — ان الانتشار .

الاوسع للاسلام في العالم قد تم بعيدا عن الحروب والسياسات بل تم فسي
حال تدهور المسلمين السياسي والاجتماعي ولا بد من التأكيد على هذه
النقطة كما أشرت لفهم حركة التحول الى الاسلام في آسيا وافريقيا حتى فسي
عصور الاستعمار والاحتلال .

يدل على هذا أن البلاد التي قلت فيها حروب الاسلام وانعدمت
هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم وهي بلاد اندونيسيا
والهند والصين وساحل القارة الافريقية ومايليهما من سهول الصحارى
الواسعة فان عدد المسلمين فيها قريب من أربعائة مليون ولم يقع فيها
من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد الا القليل الذي لا يجدى
في تحويل الآلاف عن دينهم ، بل الحلايين .

يقول سير توماس آرنولد في كتابه القيم : (الدعوة الى الاسلام) :
(ولم يكن النشاط الروحي للاسلام كما زعم عدد كبير من الناس متمشيا مع
سلطانه السياسي بل على العكس من ذلك : نجد أن فقدان السلطة
السياسية والانتعاش المادى يعمل على ابراز أجمل الصفات الروحية التي
تعد أصدق البواهرات التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة .

هذا ما قاله آرنولد وهو يعلل نجاح الدعاة المسلمين في افريقيا
وآسيا وفي حمل الشعوب والقبائل على الدخول في الاسلام في القرن التاسع
عشر والقرون السابقة ؟ اى في عصور ضعف المسلمين السياسي وتفرقهم
وعصور الاستعمار الذى اطبق على العالم الاسلامي من أقصاء الى أقصاء ولا
يسد من البحث عن السبب الحقيقي في غلبة الاسلام وقوة انتشاره وهذا
السبب يكمن في العقيدة الاسلامية ذاتها . أى أن السبب الا هم في انتشار
الاسلام هو سبب ذاتي يعود الى الاسلام نفسه وقد يضاف الى هذا السبب
عوامل أخرى طارئة أو مساعدة أو ظروف خاصة لانتشاره في مكان فوق مكان آخر
ولكن يبقى السبب الذاتي السابق هو العامل الاول والا هم في حركة غلبة الاسلام

* السبب الذاتي لانتشار الاسلام :

ان قوة العقيدة الاسلامية وغلبيتها لسائر العقائد والاديان تكمن هنا في نقطتين هما البساطة والشمول .

١- بساطة العقيدة الاسلامية :

تتمثل هذه البساطة في مبدأ الوحدانية الذي يعتبر جوهر الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية والحديث عن ان الاسلام (دين الفطرة) لانه دين الوحدانية بأصغى معانيها وأجلى صورها حديث معروف ولكن بساطة هذا الدين ووضوحه يتمثل - بدوره أيضا - في قدرة أى داعية من الدعاة مهما كانت درجة ثقافته على حملته والدعوة اليه . بل يتمثل في ايمان الناس به وهم يرون مسلما صحيح الاسلام يقوم بفروض هذا الدين وما يوجبه عليه من الاخلاق والمعاملات يقول آرنولد في كتابه المشار اليه آنفا (ان هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة . . . ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية كان من الممكن أن يشرحها أى فرد حتى أقل الناس خبرة بالمعارات الدينية النظرية) ويقول أيضا عن أثر التجار في نشر الاسلام : (واذما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرمان مايلفست الانظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة التي يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائنا خفيا . وان ما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الاهالي الذين تستميلهم هذه الصفات الحميدة والذين يجدون عنده الاستعداد والرغبة في أن يمد لهم بحزايا هذا الدين الذي يتعبد هو على وفق أحكامه . ويقول آرنولد أيضا : فاذا استطاع رينان أن يقول ما دخلت مسجدا قط دون أن تهزني عاطفة حادة أو بعبارة أخرى دون أن يهيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلما كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته وسجده الكثيرة وعبادته

للالة الذي لا يراه في سكينه واستغراق قديوته في الافريقي الوثني .
ان التاجر هنا لم يقم بأكثر من اعطاء صورة علية لوضوح هذه العقيدة
التي يعمتها وبساطتها تاركا لهذه العقيدة نفسها أن تؤدى دورها في
واجب الايمان بها والدعوة اليها .

فانا ذكرنا ان الاسلام ليس فيه هيئة دينية خاصة تكون على درجة
معينة من الثقافة الدينية يناط بها أمر الدعوة الى الدين والتبشير به كما
هي الحال في النصرانية مثلا ونظرنا الى واقع انتشار الاسلام في آسيا
وافريقيا وغلبيته في هذا المضمار على جهود المبشرين الضخمة التي تمولها
وتدعمها أغلب الدول الاوربية بين يدي الاستعمار أو تثبيتا لأركانها . ادركنا
سر العقيدة الاسلامية ذاتها في هذا التوسع والانتشار . يقول القسيس
جون تكل من انتشار الاسلام في الاقاليم الهندية - وكان ذلك في سنة
١٩١١ - ان الاسلام أخذ في الازدياد وان تكن المجهودات التي تبذل
في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم ويقول القسيس زويمر في العام
نفسه في مؤتمر التبشير المشهور الذي عقد في لكهنؤ في الهند (ولا تخلو
بلدة في آسيا وافريقيا من سكان مسلمين وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم
في بعض هذه البلاد الا أن هذه الاقلية في نمو مستمر وفي بلاد التبت
المقفلة أبوابها في وجوه الاجانب عشرون ألف مسلم والاسلام منتشر فسي
الكونغو وبلاد الكاب وهو في نمو مستمر في بلاد الحبشة والمبشرون
المنتشرون على ضفتي النيل وشرقي افريقيا وبلاد النيجر والكونغو يرفعون أصواتهم
بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة في هذه الانحاء ثم يقول وبالرغم من انتشا
في الهند الهولندية قد لقي موانع من مجهودات جمعيات التبشير
الهولندية والالمانية فهو يتوطد ويثبت ففي صومته اكتسح الاسلام الارجاء
الوثنية وفي جاوه ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة
الاسلامية .

وما زال الوطنيون سكان البلاد الا صليون - يدخلون في شبكة الاسلام الى درجة يتمذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجاً . وهذا يفسر الموقف الذي اتخذته كثير من هيئات التبشير المسيحية حيث أخذت على عاتقها إبعاد الناس عن الاسلام حين لم تنجح في حملهم على الدخول في النصرانية .

ب - الشمول في هذه العقيدة :

أما هذه النقطة - او الميزة - فقد حقق بها الاسلام الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على أتم شروطها . فكان بذلك العقيدة المثلى (للإنسان) لانها خاطبت فيه جميع ملكاته ومشاعره الواعية خاطبت فيه العقل والروح والضمير جميعاً كما أنها لم توزعه في الدنيا والآخرة وفرضت عليه أن يستقبل الاولى وهو يولى ظهره للأخرى أو وزعته بين الروح والجسد أو فرقته بين ماله والقيصر ؟؟ لقد خاطبت الانسان على أنه (كل) شامل فاراحته من فصام العقائد التي تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق - كما يقول الاستاذ العقاد رحمه الله وينبغي ألا نغفل هنا عن أثر التبعية الفردية وانكار وجود خطيئة موروثه في هذا الشمول النفسي والقضاء على الفصام السابق .

ان العقيدة الشاملة لا يتجلى شأنها العظيم في شيء كما يتجلى واضحاً قوياً في حمل الفرد في نشر العقيدة الاسلامية (فقد أسلم عشرات الملايين في الصحارى الافريقية وفي الارخبيل الاندونيسي على يدى تاجر فرد أو صاحب طريقة متفرد في خلوته لا يعتصم بسلطان هيكل ولا بحراس كهانة وتصنع هنا قدرة الفرد الواحد مالم تصنعه جموع التبشير ولا صطوة الفتح والغلبة يبرؤك ذلك ان هذا الشمول ليس من البعد والعمق بحيث يحتاج ادراكه الى دراسة وتمحيص يدل يدركه الناظر القريب في أحوال المسلم في معيشته وعبادته ويكفي أن يرى المسلم في أية بقعة من الأرض مستقلاً بعبادته عن الهيكل .

والصنم والا يقرنه والوثن ليعلم الناظر اليه أنه وحدة كاملة في دينه وليعلم من ثم كل مايرغبه في ذلك الدين وهو يرى الدين كله حكرا للكاهن ووقفنا على المعبد وعالة على الشعائر والمراسم .

فانأضفنا الى ذلك ان العقيدة الاسلامية توصف بالشمول لأنها تشمل الأمم الانسانية جميعا كما تشمل النفس الانسانية بجملةتها من عقل وروح وضمير - لان الاسلام ليس دين أمة واحدة ولا دين طبقة واحدة وليس هو للسادة المسلمين دون الضعفاء المسخرين ولا هو للضعفاء دون السادة ولكنه رسالة بني الانسان من كل جنس وقبيل وقفنا على سبب آخر من أسباب غلبة هذه العقيدة أو بعبارة أدق اتضح لنا جانب آخر من جوانب هذا الشمول الذى ساعد على الغلبة والانتشار وأخيرا فان هذه العقيدة الشاملة (هي التي افردت الاسلام بمزية لم تعهد في دين آخر من الاديان الكتابية فان تاريخ التحول الى هذه الاديان لم يسجل لنا قط تحولا اليها من دين كتابي آخر ان كان المتحولون الى المسيحية أو الى اليهودية قبلها في أول نشأتها اما وثنية على الفطرة لا تدين بكتاب ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو الاله الخالق المحيط بكل شيء ولم يحدث قط في أمة من الأمم ذات الحضارات العريقة انها تركت عقيدتها لتتحول الى دين كتابي غير الاسلام انما تفرد الاسلام بهذه المزية دون سائر العقائد الكتابية فتحولت اليه الشعوب فيما بين النهرين وفي أرض الهلال الخصيب وفي مصر وفارس وهي أمة عريقة في الحضارة كانت قبل التحول الى الاسلام تؤمن بكتابها القديم وتحول اليه اناس من أهل الاندلس وصقلية كما تحول اليه اناس من أهل النوبة الذين غيروا على المسيحية أكثر من مائتي سنة ورغبتهم (جميعا فيه : ذلك الشمول الذى يجمع النفس والضمير ويعم بني الانسان على تعداد الاقوام والاطان ويحقق المقصد الاكبر من العقيدة الدينية فيما استازت به من عقائد الاخلاق وآداب الاجتماع) .

* الأسباب الأخرى لانتشار الاسلام :

وينبغي ألا نهمل بعد ذلك الأسباب الأخرى الخارجية والداخلية التي ساعدت على انتشار الاسلام في العالم وبخاصة في افريقيا وآسيا - المجال الطبيعي القريب من مركز الدعوة الاسلامية - كالمساواة العملية الرائعة وفقدان روح السيطرة والاستعمار وحماسة المؤمنين الجدد في التبشيرية والدعوة اليه الخ هذه الأسباب ولكنها في الواقع لا تعدو بأن تكون نهاية المطاف أثرا من آثار العقيدة الشاملة التي تحدثنا عنها آنفا . والأمر الذي يمكن اضافته الى ما قدمناه هو الحديث عن (وسائل) وصول هذه الدعوة الى الناس وهنا تعمل (القدوة الحسنة) عملها في الاقتناع وأفضل ما تكون هذه القدوة حين تترجم للعقيدة السابقة بدقة واخلاص فعل كثير من الدعاة والتجار ورجال الطرق الصوفية . ويمكن القول - على سبيل المثال - ان التجانية نجحوا في نشر الدعوة الاسلامية منذ مستهل القرن التاسع عشر في بعض أجزاء آسيا وفي السودان . وفي افريقيا الفرنسية (سابقا) وبين البدو والمقيمين في أقصى جنوبي المغرب الأقصى . . . وان السنوسية التي أنشأها الفقيه الجزائري سيدي محمد ابن علي السنوسي في سنة ١٨٣٧ متأثرا بالدعوة الوهابية كانت من أقوى الفرق الصوفية أثرا في افريقيا خاصة كما كان لهم أثر بارز في آسيا أيضا كان مركز السنوسية واحة جغبوب في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس وفي هذه القرية كان يتعلم كل عام - في نظام دقيق ديني وعسكري - مئات من الدعاة ثم يرسلون الى كافة أجزاء افريقيا الشمالية وفي أرجاء السودان والحبشة وبنغاليا والصومال كافة وفي بلاد المغرب والعراق - وفي ارجيل الملايو في آسيا .

* الزحف الاستعماري على العالم الاسلامي :

لا حاجة بنا الى الحديث عن ضعف الدولة العثمانية وعن طمع

الدول الأوروبية مجتمعة في ميراثها وهي على قيد الحياة وعن الغزو
الاستعماري للوطن العربي منذ القرن التاسع عشر .
ولما كانت الدولة العثمانية ممثلة الخلافة الإسلامية والحكم الإسلامي
منذ أن تولى العثمانيون قيادة العالم الإسلامي فان انقراض الدول الأوروبية
على (أملاك الرجل المريض) وانتزاعها بالقوة يحمل في طياته معنى
محاولة القضاء على الإسلام والانتصاف من المسلمين وإذا لم يكن في وسعنا
أن نسلل الأحداث التي عصفت بالعالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية
إلى أن تولى العثمانيون قيادة العالم الإسلامي - لأنها معلومة - من
مواقعها في كتب التاريخ - وأن نتحدث عن الدور المجيد الذي قام به
العثمانيون في عهد دولتهم الأولى والذي ردوا فيه الكرة على أوروبا حتى
طرقوا أبواب (فيينا) حاضرة البلاد الأوروبية في ذلك الحين - مرتين -
فان مما تجدر الإشارة إليه والحديث عنه هو اعطاء تفسير علمي لذلك الغزو
الاستعماري الحديث للعالم الإسلامي على ضوء هذه الأحداث وذلك قبل
أن نتحدث عن ألوان هذا الاستعمار في كل من أفريقيا وآسيا والذي يفسر
هذا الغزو أمران : الأمر الأول : انه حلقة من حلقات الصراع بين الحضارة
الإسلامية والحضارة الرومانية وقد كانت الحروب الصليبية الأولى التسي
ابتدأت في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي - حلقة
أخرى من حلقات هذا الصراع الذي كان في هاتين المرتين صراعا عسكريا
شاملا وبعيد المدى ولقد فشلت الحروب الصليبية في القضاء على الإسلام
وأهله أو في تحويل المغول إلى المسيحية دفعة واحدة - حتى تبقى
الأماكن المقدسة في قبضة المسيحية على أقل تقدير - ولكن آثارها المباشرة
استمرت في عهد السياحات البحرية وإلى عهد استكشاف كولومب - كما
يوكد المؤرخون .

ويعود السبب في ذلك إلى أن أوروبا جعلت همها بعد فشل هذه

الحروب في كسب المعركة القادية عن طريق التبشير فوسعت من نطاق
ارسالياتها التبشيرية منذ سقوط ^{آخر} معقل للصليبيين في بلاد الشام عام واحد
وتسعين ومائتين وألف ميلادية حتى القرن الخامس عشر عهد الكشف الذي
ركبت فيه البرتغال مغامرة مخفية لا في سبيل حماية المشرقيين وتأمين سهل
العمل لهم وان كانت لهم ذلك بل في سبيل الوقوف ^{وجه} في العد الاسلامي
الجديد هذه المرة يقول ارنست باركر (فلما اتصلت الارساليات بالحروب
الصليبية اتسعت غايتها حتى تعدت الحدود التي كانت قد رسمت لها .
وظهر أمثال رايمند لل الذي كان ينادى بوجوب استبدال الحملة الصليبية
ببعثة تبشيرية وان يقوم التبشير السلمي مقام الحملة الحربية وبهذا أصبح
تحويل آسيا الى المسيحية فرضا قائما بنفسه .

ويقول ادوين بلس في كتابه (ملخص تاريخ التبشير) ان ريمون رول
الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فسي
مهمتها) وخرجت ارساليات كثيرة على نحو (شاهد على التركيز الوطيسد)
كما يقول باركر الا أن كل ذلك لم يجد نفعا فقد منيت كل هذه المحاولات
أخيرا بالفشل .

يقول باركر (وهكذا نرى أن ذلك المشروع الذي كان يرمي الى
تحويل المفلول الى المسيحية دفعة واحدة فيوجد آسيا المسيحية واوربا
المسيحية حتى يطبقا على الاسلام فلا يصبح الا عقيدة كليلة الانتشار لا وجود
لها الا في جزء من اسبانيا وركن من بحر الروم فقد تضائل واختفى) وذلك
بعد أن عم الاسلام وسط آسيا في منتصف القرن الرابع عشر وبعد أن اقفلت
أبواب الصين في وجه الأجانب سنة ١٣٧٠) فكانت الخاتمة ان قطع السبيل
على المسيحية ومهدا الطريق للاسلام الذي بلغ شأوا بعيدا من الاتساع
وترامت أطرافه بفضل الاتراك العثمانيين) وامام هذه الهزيمة التي منيت
بها حركة التبشير كان لا بد من توجيه ضربة سريعة الى العالم الاسلامي

قبل أن يستفحل الخطر والواقع ان (بارقا آخر لمع في خيال الفسرب) كما يقول باركر (وكان هذا الأمل الجديد آمينا أن يشمل ثورة من أعنف ثورات التاريخ ذلك ان الطريق الارضي وقد قفل فلما اذا لا تسلك المسيحية سبيل البحر لما اذا لا تبحر الى الشرق فتهاجم الاسلام وتستولي على القسطنطينية من الخلف .

(تلك كانت فكرة كبار المسيحيين الذين كانوا يحملون الصليب فوق صدورهم والذين كانوا يعتقدون مخلصين انهم يعملهم هذا يجاهدون لاستعادة الأراضي المقدسة) .

ثم يقول باركر (واذا كان قد قدر لكولومب أن يجد جزائير الكاريبي في طريقه بدلا من كاشاي فاننا نستطيع أن نقول بحق : ان الاسبان الذين عاونوه قد كسبوا قارة جديدة للمسيحية ، وان الغرب استطاع أن يعيد رحبان الميزان لصالحه بسبيل لم تكن تخطر على بال) .

ونضيف هنا ايضا لمقالة المؤرخ الدكتور باركر هذه ان فتش القسطنطينية والقضاء على الدولة الرومانية العتيقة - التي ناصبت المسلمين العداء منذ القرن السابع للميلاد - قد تم على أيدي الأتراك العثمانيين في أواسط القرن الخامس عشر (سنة ١٤٥٣) وان سقوط غرناطة آخر معاقل الاسلام في اسبانيا قد تم سنة ١٤٩٢ في أواخر هذا القرن حين اجتمع على حربها الملك فرناند والملكة ايزابيلا حاكما أكبر الامارات الاسبانية (ارجوان وقشتاله) لقد كان رد الفعل الاوروبي الصليبي قويا وحاسما وفي الوقت الذي اعتذر فيه ملوك اوروبا وامراؤها عن تقديم المعاونة - لكولومب في مشروعه فان الملك فرناند والملكة ايزابيلا تقدمتا لمعاونة هذا المشروع الذي انتهى الى ما انتهى عليه . وغير ميزان القوى كما يقول باركر . ولا نتوسع هنا بمتابعة الحوادث التي انتهت بحروب الاستعمار والدور الذي أدته ارساليات التبشير ولكننا نقول : ان شعبي اسبانيا والبرتغال

الذين زهاهما الانتصار على المسلمين في الاندلس تابعوا رسالتهم السابقة في محاولة تطويق العالم الاسلامي والانتصاف من المسلمين الذين حكموا شبه جزيرة الاندلس (اسبانيا والبرتغال) مدة ثمانية قرون فخرج كبار الملاحين على الصورة التي أشار اليها باركر يبحثون عن مجاهيل الأرض - وهذا ما يفسر كونهم من الاسبان والبرتغال دون الشعوب الاوربية الاخرى (بغية الوصول الى الهند والجزائر الشرقية) اوالى آسيا الاسلامية التي لم تنجح حركة المبشرين فيها في العقود الماضية وحتى يتحول طريق التجارة مع بلاد الشرق عن المرور بمصر والشام (وهذا ما فطن له العثمانيون الاشداء في هذا الوقت فتقدموا لحكم البلاد العربية من يد المماليك سنة ١٥١٧) ونجحوا بذلك في حماية هذه البلاد من الخطر البرتغالي (حتى تضعف هذه البلاد فيعودون الى حكم الاراضي المقدسة من جديد ؟ .

واستطاعت البرتغال المرور حول افريقيا حتى وصلت الى سواحل الهند قبيل مغيب شمس القرن الخامس عشر . أما الدور الذي بدأت تؤديه ارساليات التبشير مع هذه السياحات البحرية فبحسبنا منه ما قاله ادوين بلس في كتابه (ملخص تاريخ التبشير) ، (ان المبشرين الكاثوليك دخلوا ربوع افريقيا منذ أواخر القرن الخامس عشر) أى في (أثناء الاكتشافات البرتغالية) كما يشرح ذلك بلس نفسه .

ثم بدأ المبشرون باداء دور المكتشف الذي يمهّد الطريق للاستعمار حتى تمكن العالم الاوربي خلال بضعة قرون من أن يحتل آسيا وافريقيا عسكريا وان يقدم للمبشرين بدوره الحماية اللازمة لاداء عملهم ويهيئ لهم المناخ الملائم لتنصير العالم الاسلامي يقول زوير : على ان أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في ممالك الاسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر (

ولما اعدت الجمعيات التبشيرية عدتها منذ عام ١٩٠٠ وأرسلت مبشريها الى السودان ليقوموا (بالتبشير العلني) شجعتهم انكثرتا البروتستانت والكاثوليك منهم على حد سواء (ولما لم تستطع هذه الجمعيات ان تخطو في التبشير خطى منتجة استعانت بالدول المستعمرة فاعانتها تلك الدول في أماكن متعددة كالبحرين واليمن وبعد أن استولى الانكليز على عدن اتخذ المبشرون عدن مركزا يرسلون منه بعثاتهم التبشيرية الى قلب بلاد العرب وكذلك فعل المبشرون في جزر الهند الشرقية في جاوه وسومطره وسواهما) وقد اقترح المبشر وطسون ان تتعاون الحكومات الغربية في سبيل منع انتشار الاسلام بين القبائل الوثنية في افريقيا حتى تكون مهمة المبشرا هون لفقدان المنافسة - ويقول غاردنر : ان نزول الارساليات المسيحية على ساحل غانا من نهر غامبيا الى نهر النيجر للتبشير بين الوثنيين من أهل افريقيا . ثم احتلال الدول الأوروبية لهذه المناطق ولما وراءها جعل الاسلام والنصرانية وجهها لوجه في تلك الاصقاع كل دين يحاول أن يجذب اليه اولئك الوثنيين ثم يقول : (ولم يكن في الأمر منافسة لولم تقف الدول الأوروبية بجانب مبشريها) وقال جيبب : ان القسم الاكبر من المسلمين تحت حكم الدول النصرانية فيجب الاستفادة من هذه الحالة الراهنة وصرح رشتربا أن واجب هذه الدول إذن أن تعهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا ، وقد اعتبر زويمر نفسه احتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة (وادي) في افريقية سنة ١٩١٠ ، أهم حادث سياسي في هذا العصر لأن هذه الحادثة كما يقول ستقلال نفوذ المشايخ السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري في بلاد الشام . ومهما كان الرأي في هذه الصلصة (التنظيمية) المتبادلة بين التبشير والاستعمار فان مما لا خلاف فيه ان الارساليات التبشيرية - التي حلت محل الحملات الصليبية كما رأيت

كانت طليعة الفوز والاستعماري الجديد - وان حدث هــذه
الرساليات ان اشارت بأن يتقدمها الجيش أولا فان ذلك لم يحدث
على التحقيق قبل القرن التاسع عشر بعد أن بلغ المبشرون في تمهيد
الطريق اكثر ما يستطيعون وبعد أن بلغت الدولة العثمانية من الضعف
ما يمكن معه اختراق سورها بطريق عسكري على أن بعض الباحثين والمؤرخين
لا يرون في رغبة المبشرين السابقة في أن يتقدمهم الجيش أولا اكثر من أن
هذا الأمر يسهل مهمتهم ويختصر لهم الطريق في سبيل تعاون الجميع
على أداء رسالة الحروب الصليبية التي فشلت في أدائها .

وخلاصة القول : في هذا الأمر الاول الذي فسر الزحف الاستعماري
على العالم الاسلامي - ان الكسب الهائل الذي حققه الغرب من طريق
الكشوف الجغرافية وما تبع ذلك من تحويل طرق التجارة عن البلاد الاسلامية
والذهب الذي بدأ يتدفق على الغرب المسيحي من افريقيا والعالم
الجديد والى جانب نظام الاقتصاد الاوروبي الربوي كل ذلك قد حقق ثورة
صناعية لم يعرف العالم لها مثيلا من قبل ولا نتحدث هنا عن أثر الحروب
الصليبية - واحتكاك الغرب بالشرق في هذه الثورة ولا عن اثر المنهج
التجريبي الذي اخذته اوروبا عن العالم الاسلامي لان ذلك معروف فسي
مواضعه ولكننا نقول : ان العالم الاسلامي الذي لم يقدح في هذه الثورة
الصناعية الجبارة لاسباب معروفة في مواطنها أيضا قد وقع في فترة هبوط
علمي وتخلف على أثر الفارات التي تعاورته من كل مكان واذا كان قد خرج
منتصرا في الحروب الصليبية الطاحنة فان الاثر السيء الذي خرج به من
هذه الحروب يتمثل في فرط الثقة بالنفس واحتقار كل ما يأتي من العالم
الاوروبي المسيحي بعد أن وقف على اخلاق فرسان الحروب الصليبية
وعلمهم كذبهم وادعائهم في حمل رسالة المسيح عليه السلام حتى بات
يعتقد أن خيرا لا يأتي من قبل هؤلاء وانهم ليسوا أهلا للمدينة أو

الحضارة . ولو أن هذا الاعتقاد او الشعور خامر الامة الاسلامية في وقت النمو والصعود أو في وقت آخر لماضرها بل ربما نفعها وزاد من قوتها ولكن صادف على النقيض (فترة ذات وجهين من قبل الشرق ومن قبل الغرب) فكانت في الشرق فترة هبوط في النهضة العلمية وكانت في الغرب فترة صعود في النهضة العلمية الحديثة قامت بعدها اوروبا مقام القيادة على النهضة وتخلف الشرق الاسلامي زمانا عن اللحاق بها وبقي على هذا التخلف مستعصيا بثقة لا تفني عنه شيئا وبمورثات من عصور الانحطاط القريبة كانت بالقياس الى النهضة الاوروبية الشاملة التي جاءت على أعقاب الحروب الصليبية ورد فعل لها كافية لان ترد اوروبا المسيحية الضربة للعالم الاسلامي وتستأنف حملة استعمارية صليبية جديدة . يقول الدكتور باركس (ونستطيع القول : ان الحروب الصليبية قد بدأها السلاجقة المعسكرون في نيقية في آسيا وختمها الاتراك العثمانيون المعسكرون في أوروبا نفسها على نهر الدانوب) ثم يتابع القول (ولكننا نستطيع اذا اتخذنا وجهة أخرى بأن الأمور عادت الى ماكانت عليه قبل خمسمائة عام : اى حماية فرنسية على الاماكن المقدسة التي يحكمها المسلمون والواقع ان معنى الحرب الصليبية في الاستعمار الحديث قد صرح به قادة جيوش هذا الاستعمار في أكثر من مناسبة كما أكدته كتاب اوروبا وشعراؤها وبحسينا في نهاية المطاف ما قاله الكاتبان كوليت وفرانسيس جانسون عن الجزائر البعيدة عن الاماكن المقدسة وحيث بلغ العنف الاستعماري أوجهه الشديد (لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام ومن أجل ذلك ادركوا جميعا ان عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر ثم يقرران (والواقع ان الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية) . راجع كتاب التبشير والاستعمار للدكتور عمر فروخ .

الأمر الثاني : ولكن معنى الحرب الصليبية هذا في الغزو الاستعماري للعالم الاسلامي يفسر في الواقع دوافع هذا الغزو والحامل عليه كما رأينا وهو ان لم ينفك من هذا الغزو في الحقيقة فان ذلك لا يعني ان أهدافا أخرى لا يمكن أن تتضاف اليه في الطريق وانما تجاوزنا الأهداف المتناثرة التي تذكر عادة في هذا الطريق مثل الطمع في خيرات الشرق وأخذ العبيد للعمل في مناجم الذهب والحديد والاحلام التي كانت تداعب خيال القادمين الى بلاد الف ليلة وليلة الخ فان الأمر الأساسي الذي يفسر حركة الاستعمار الحديث بالاضافة الى الروح الصليبية هو ان الاستعمار قد أضحي في الحقيقة رسالة الرجل الاوروبي الذي بات يعتقد معها انه يقدم للشعوب المستعمرة بفتح الميم (ملح المدنية وروحها على حد تعبير للمستشرق ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية المسيو (هانتو) أو أنه يجعلها تتدرج في سبيل الحضارة كما قال وليم بال كراف الذي كان يقول انه متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب أمكن معها للعزل أن يتدرج في تلك السبيل وأمام هذه الرسالة التي بدأ يؤيد بها الرجل الأوروبي تكون مناجم استعماري كامل ينشأ فيه الطفل منذ ولادته وكان هذا المناخ يعم الجوارح من شرقه الى غربه بحيث لا نستغرب أن يقوم كاتب كبير قصاص في أواخر القرن الماضي مثل جوليفير ليصف ملحمة لا تمت بشيء الى بطولة قومه الفرنسيين ولا للجيش الفرنسي بل هي ملحمة تصف فتح روسيا للبلاد الاسلامية في بخارى هذه القصة ان دلت على شيء ، فانما تدل على سيادة المناخ الاستعماري العام من شرق البلاد وغربها بحيث كان الضمير الاوروبي المتحضر في الاشتراك في هذه الملحمة التي نسميها الفتوحات الاستعمارية . ولهذا فقد شاركت أغلب الدول الأوروبية في هذه الملحمة وهرعت للسيطرة واقتسام الغنائم وحتى الافراد الذين تربوا في ظل هذا المناخ هرعوا هم أيضا بقدراتهم الخاصة للاشتراك

في هذه الفتوح والاكتشافات فقد غادر استانلي في أواخر القرن الماضي وطنه ونزل افريقيا لان بقعة من بقاعها كما شاهد ها على الخريطة لم تلون بلون تابع للذول الاستعمارية وأراد أن يلونها بحيث يقدمها هدية لاوروبا كمستعمرة . . .

وبعد أن تم له وضع اليد أهدى الكونغو فعلا لملك بلجيكا يقول بلس وتوافد المبشرون على افريقيا الوسطى عقب بعثة لفن ستون واستانلي سنة ١٨٢٨ ففتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين الالمانى واسكتلندى وانكليزى ومورا في وقد بدء التنافس بين الدول الأوروبية واضحا بعد وقت قصير من تحرك البرتغال السابق. أبحر البرتغاليون من شبه جزيرة الاندلس كما قدمنا فدار (دياز) حول رأس الرجاء الصالح واكتشف كولمبوس القارة الأمريكية بعد شهر من سقوط غرناطة بأيدي النصارى الاسبان عام ١٤٩٢ وفي سنة ١٤٩٧ سار فاسكودى غاما مترسما خطى سلفه دياز فاستدار حول رأس الرجاء الصالح ووصل الى موزامبيق ومالندى حيث الحكم العربى الاسلامي ثم شق طريقه الى قاليقوت ثم عاد الى لشبونا سالكا نفس الطريق الذى بدءا من قبل. وبعد أن أنشأ البرتغاليون المستعمرات على ساحل افريقيا الشرقى تمكنوا ما بين سنة ١٥٠٢ - الى ١٥٠٦ من انهاء السيطرة الاسلامية على شرقى افريقيا والمحيط الهندى واقامة ثلاث مستعمرات أو محطات استعمارية رئيسية في كلوا موزمبيق وسوفا لا الى جانب مستعمرات أخرى في زنجبار ونمسا أخذت الدول الأوروبية الاخرى تسلك نفس طريقهم فقد استدارت سفينة فرنسية حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٥٢٩ وبدأت أول سفن الانكليز تدخل هذه الميدان في سنة ١٥٨٠ وهو العالم — الذى بدء فيه البرتغال تفقد مستعمراتها بعد ضمها الى اسبانيا واقتفت سفن هولندا أثرها في سنة ١٥٩٥ وفي عام ١٥٩١ تمكن لانكسمستر الانكليزى أن يصل الى الهند سالكا نفس الطريق البرتغالى القديس

وتأسست شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٠ .

وأخذت كل من إنجلترا وهولندا ترسلان السفن التجارية المسلحة لتنتشر من البحر الأحمر الى جزائر الغليبين وقصدت هذه الجهود الى القضاء على البرتغاليين . . . وأصبح الانجليز والهولنديين والفرنسيين في صراع مستمر من أجل السيادة قرنا من الزمن فقد تفوق الهولنديون أول الأمر على الانجليز فأنشأوا مستعمرة في جزيرة مورتيس سنة ١٦٤٤ واستولوا على جزيرة سيلان من البرتغاليين سنة ١٦٥٨ وفي نهاية هذا القرن انتشرت المستعمرات والشركات وفي نهاية هذا القرن انتشرت المستعمرات الهولندية في الخليج العربي وعلى سواحل الهند وفي اربخيل الملايسو ولكنهم انسحبوا من هذه البلاد في منتصف القرن الثامن عشر وركـزوا نشاطهم في جزر الهند الشرقية مع احتفاظها بسيلان ومستعمرة الرأس . وقد أخذ الانجليز والفرنسيون يدعون وراثـة املاك البرتغاليين — فالفرنسيون تأسيس شركتهم في جزر الهند الشرقية سنة ١٦٤٤ واحتلوا جزيرة بريون في المحيط الهندي وأخذوا يستعمرون جزيرة مدغشقر وخلفوا الهولنديون في جزيرة موريس التي اطلقوا عليها اسم ابل ندي فرانـس سنة ١٧١٢ وبلغ النشاط الفرنسي مداه في منتصف القرن الثامن عشر ففي سنة ١٧٥٥ أصبح لهم مثل في البصرة ١٧٩٩ وفي ذلك الوقت بدأ الانجليز يهتمون اهتماما خاصا بالهند فاحتلوا سوارات ومدارس وكلكتا وانتزعوا تجارة الخليج العربي من الهولنديين ثم خرجوا في صراعهم مع الفرنسيين ظافرين فانتصروا في حرب السبع سنوات واصبحت بريطانيا القوة الاوروبية الاولى في الشرق الاقصى وخاصة بعد انتصارها على نابليون .

وبقيت السيادة الاسلامية في جميع ارجاء افريقيا الشمالية الشرقية حتى احتل الامبراطور منليك هرر سنة ١٨٨٦ ثم استولت ايطاليا على لمنطقة الشمالية التي تعرف الآن باسم ارتيريا ثم قسمت البلاد التي تقطنها

القبائل الصومالية الاخرى بمقتضى المعاهدة التي ابرمت بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا واثيوبيا ؟؟؟ وذهبت البلاد الصومالية نهبا موزعا بين هذه الدول وقد دخلت فرنسا في سباق جديد مع بريطانيا التي مضت قدما في مد رقعة أملاكها في افريقيا من الجنوب الى الشمال غدت هي رقعة أملاكها من الغرب الى الشرق وفي مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ اتفقت الدول - التي اضحت تدعى بالدول العظمى على تقسيم افريقيا وفي سنة ١٨٨٨ عقدت بريطانيا وفرنسا مؤتمرا لتحديد مناطق النفوذ الخاصة بكل منهما .

ولم يبرز نجم القرن العشرين حتى كان الاوروبيون اقتسموا افريقيا كلها تقريبا باستثناء جمهورية ليبيريا الصغيرة ونالت حصة الاسد كل من بريطانيا وفرنسا التي حصلت كل منهما على مناطق بلغت مساحتها ثلاثة ملايين ميل مربع هذا الجشع الاستعماري العجيب سيقى محتاجا الى تفسير ان لم يفهم على انه رسالة قامت لادائها اوروبا في عصر النهضة وعلى أن / مبرر / عاشت عليه حضارتها الجديدة ؟ وهذا لا ينبغي كما قد منا دوافعه الصليبية ورد الفعل تجاه العالم الاسلامي لان رساليات التبشير لم تنقطع لحظة واحدة خلال هذه الحركة الاستعمارية الرهيبة وانا تجاوزنا التسلسل المفروض في هذا البحث لتشير الى أن هذه الرساليات قد احتكرت العلم والتعليم في جميع تلك الجيوب الاستعمارية تقريبا فان هذا ما يفسر كونه الزعامة الادارية والسياسة الاقتصادية الآن في ايدي النخبة المسيحية ^{الحديثة} وحتى في مناطق التي تقطنها اغلبية مسلمة لان التعليم الآن هو السلم الحقيقي للوصول الى الزعامة .

دور المؤسسات التي تركها الاستعمار

في العالم الاسلامي

تقسم هذه المؤسسات الى نوعين :

١ - مؤسسات السياسة والحكم .

٢ - مؤسسات التربية والتعليم والقضاء وانظمة الدول بوجه عام .

كانت الديمقراطية وما يتبعها على سبيل المثال وما يتبعها من احزاب وانتخابات وبرلمان أبرز ما ورثه العالم الاسلامي من مؤسسات الحكم الاوروبي حتى صارت هذه المؤسسات في بعض الاحيان العنوان الـاهم والشغل الشاغل للزعماء والرؤساء وربما المفكرين كذلك .

ويبدو أن الاستعمار الاوروبي قد اطمئن على مستقبل العالم الاسلامي لانشغاله بهذين النوعين من المؤسسات أو بعبارة أدق لأنه شغله بقضية الحكم والانتخابات عن قضية اصلاح المؤسسات التربوية والتعليمية والقضائية ونحو ذلك ولانه من وجه آخر ترك من ورائه قادة وافرادا كثيرين تربوا على هذه المناهج وأخذوا على عاتقهم عبء حمايتها والدفاع عنها وكانت مقاليد الحكم والتوجيه بأيديهم كما هو معلوم لكن الذي حدث في العالم الاسلامي ان كاد المسلمون من هلال مؤسسات الحكم والديموقراطية التي ورثوها عن العالم الاوروبي أن يعيدوا للعالم الاسلامي وجهه الجديد وفي هذا ما فيه من خطر على استمرار الاستعمار الثقافي والاقتصادي من ناحية وما فيه بعد ذلك من تهديد للحضارة الأوروبية بأسرها وهي حضارة كما يقول أهلها دخلت في آخر أطوار انتهاء الحضارات وسقوطها (مرحلة الخريزة) .

ولاشك ان المفكرين الفلاسفة وعلماء الاجتماع الاوربيين يدركون أن الاسلام والمسلمين هم الوريثون لهذه الحضارة ولهذا كان تدخل العالم الاوروبي مرة أخرى حادا وحاسما عندما ازدهقت روح الحرية في العالم الاسلامي واقام على أشلائها أنظمة حكم فردية أبقت على ذلك النمط الاستعماري ثقافيا واقتصاديا وأبعدت المسلمين عن مقاعد التوجيه والارشاد ويبدو أن سقوط بعض الصروح الاستعمارية على أيدي الزعيم الجديد

كان شرطاً من شروط اعطائه هذا يأمر به وينهى حتى يأخذ منه الناس يدل على ذلك بقاء تجربة الديمقراطية في بعض الشعوب التي رحل عنها الاستعمار في الوقت الذي رحل فيه عن بعض الشعوب الإسلامية كما هي الحال في الهند والباكستان .

موقع العالم الاسلامي ومزايا هذا الموقع

الخصائص العامة لجغرافية العالم الاسلامي :

نقصد بالعالم الاسلامي :

مجموعة الدول التي يزيد عدد المسلمين فيها (٥٠) بالمائة من مجموع السكان ويبلغ عدد هذه الدول ثلاثاً وأربعين دولة . ويبلغ مجموع مساحتها نحواً من ثلاثين مليون كيلو متر مربع أى ما يزيد قليلاً عن ثلاث وعشرين بالمائة من مساحة اليابسة وعدد سكانها يزيد عن ستمائة مليون والواقع ان العالم الاسلامي اوسع من مجموع الدول الإسلامية المذكورة آنفاً لان هناك اقاليم إسلامية في دول غير إسلامية مثل كشمير في الهند والتركستان في الصين وروسيا كذلك وجزيرتا زنجبار وتنزانيا وغيرهما ونكتفي هنا باعطاء فكرة عن الخصائص العامة للموقع والموارد الطبيعية وعن السكان في مجموع الدول الإسلامية السابقة .

أولاً :- الموقع :

يقع العالم الاسلامي في اسيا وافريقيا وبشكل كتلتين من الدول المتجاورة والكتلة الاولى وهي الالهـم والاكر تمتد من المحيط الاطلسي غرباً حتى باكستان الغربية شرقاً ومن الصومال جنوباً حتى كرخستان شمالاً وتبلغ مساحة هذه الدول اكثر من سبعة وعشرين مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي اربعمائة مليون نسمة ، يزيد عدد سكانها المسلمون نحو ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة وفي اراضي هذه الكتلة تقع مفااتيـح البحـر

الاسود (مضيق البوسفور والدردنيل) ومفاتيح البحر الابيض المتوسط
(مضيق جبل طارق وقناة السويس) ومفاتيح البحر الاحمر (قناة السويس
ومضيق باب المندب) ومفاتيح للخليج العربي (مضيق هرمز) وغير ذلك
هذه الكتلة تمرأهم الطرق البرية والبحرية والجوية بين الشرق والغرب
مما ساعد على نمو التجارة فيها منذ القديم .

وتتألف الكتلة الثانية من اندونيسيا واتحاد ماليزيا وتبلغ مساحتها
اكثر من مليوني كم ٢ وعدد سكانها حسب الاحصاءات القديمة (٢١٨)
مليون نسمة منهم (١١٥) مليون من المسلمين وتقع ضمن هذه الكتلة
المرات البحرية في المحيط الهندي والهادي وبين قارتي آسيا واستراليا
مما ساعد كذلك منذ القديم على تقديم التجارة فيها .

ويتمتع هذا الموقع الجغرافي للدول الاسلامية بمكانة استراتيجية
هامة وخاصة أثناء الحروب العالمية ، كما أن الاتصال الجغرافي بين
الدول الاسلامية يزيد المقدرة الدفاعية والهجومية لاي دولة اسلامية لانه
يمكن امدادها بالمحاربين والعتاد الحربي برا وجوا من الدول الاسلامية
الاخرى غير أنه يوجد في العالم الاسلامي الآن مناطق ضعف عسكري
هي الباكستان الشرقية (بنغلادش) مساحتها (١٤٠) ألف كيلومتر مربع
وعدد سكانها مليوناً نسمة . ويشكوريا وتاتاريا ومساحتها (٢٠٠) ألف
كم ٢ وعدد سكانها اكثر من مليوني نسمة ويحيط بكل منهما دول غير
اسلامية وقد رسمت الهند عام ١٩٧١ موضوع سلخ باكستان الشرقية وساعدت
فيه وقد امكنها التدخل بسبب الاتصال الجغرافي البري معها بينما فشلت
باكستان في انقاذ اقليمها الشرقي بسبب عدم اتصاله به وبعده عنها .

١١-١٢ : الموارد الطبيعية :

يمكن تصنيف الموارد الطبيعية الى قسمين :

— الموارد الحرارية والمائية والترابية والنباتية التي لا بد منها لتطوير

الزراعة .

ب - الموارد الأولية والوقود اللازم لتطوير الصناعة . فالقسم الأول من الموارد موزع ومنتشر في مختلف المناطق بينما يوجد القسم الثاني في مناطق محدودة .

٢ - الموارد الحرارية والمائية والترابية والنباتية ومستقبل تطوير

الزراعة :

تبلغ مساحتها الأراضي العامة في الدول الإسلامية (٢٩٥٠) مليون هكتار تتوقف قيمتها الزراعية على وحدة العوامل للحياة النباتية (حرارة - مياه - التربة - النبات) وعلى طرق استغلالها من جهة أخرى، الحرارة وأثرها :

١ - ان العالم الاسلامي غني جدا من الطاقة الحرارية الشمسية المتجددة فالتوازن الحراري للاشعاع الشمسي في أغلب مناطق العالم الاسلامي يبلغ من (٦٠ - ١٢٠) حرة في السم ٢ فسي السنة لذلك يحتاج الروسي والكندي على سبيل المثال الى وجبات غذائية كثيرة مركزة من اللحم والزبدة والسكر لكي يفي نفسه من برد الشتاء بينما يكفي المصري والسوداني نصف الكمية التي يحتاجها الروسي والكندي وينوعية أخرى كذلك (الخضار والفواكه البان زيوت نباتية) .

يضاف الى ذلك ان الحرارة فوق الصفر البيولوجي اللازم لبدء النمو النباتي وهو وسطي الحرارة اليومي + ٦ والحرارة اللازمة لبدء النمو النباتي النشيط وهي وسط الحرارة اليومي فوق + ١٠ تتوافران في أغلب مناطق العالم الاسلامي على أغلب مدار السنة . أما في شمال الاتحاد السوفييتي وكندا فتتوفر هذه الدرجات من الحرارة لمدة (١٠٠) = ١٨٠ يوما فقط وذلك يمكن جنسي

محصولين أو ثلاثة محاصيل في أغلب مناطق العالم الاسلامي
بينما لا يجني اكثر من محصول واحد في شمال الاتحاد السوفيتي
وكندا .

٢- وكذلك التربة في العالم الاسلامي غنية بالاملاح المعدنية
ويستثنى من ذلك التربة المدارية الحمراء في جنوبها .

٣- اما انهطال (الامطار والثلوج والبرد) فقليل بشكل عام وموزع
بشكل متفاوت وتنعكس قلة الانهطال هذه على الحياة النباتية
والامكانيات الزراعية فالصحارى تشكل (٦٣ ٪) من مساحة العالم
الاسلامي والمراعي (١٧ ٪) من المساحة وكلا المنطقتين غيرصالحة
لقيام الزراعة البعلية كما تشغل الغابات (٩ ٪) منه أيضا .

أما المنطقة الصالحة للزراعة البعلية المستقرة فستبلغ (١ ٪)
من المساحة العامة يزرع منها الخمسان والثلاثة أخماس الباقية
مناطق بور ومناطق لم تستصلح بعد . يستنتج مما تقدم ان مشكلة
تطوير الزراعة الاولى هي تأمين المياه للمرى بغية الاستفادة
من الموارد الحرارية الهائلة والمواد الغذائية في التربة .
وفي العالم الاسلامي كما نعلم عدد كبير من الانهار على كسل
حال لا يستفاد منها على نحو ملائم بالاضافة الى أن الدراسات
الجيولوجية المعاصرة ما تزال تكشف عن كميات هائلة من المياه
الجوفية الموزعة حتى في الصحارى .

٤- يمتد العالم الاسلامي من اندونيسيا الواقعة على خط العرض
(١٠) جنوب خط الاستواء حتي بكشكيريا وتاتاريا على خط
(٥٦) عرض شمال خط الاستواء ومعنى ذلك أن العالم الاسلامي
يمتد على بيئات زراعية متنوعة جدا لذلك فان تحسين البذور
الزراعية والسلالات الحيوانية وتوزيعها في الاقاليم المناسبة

لها سيزيد من مودود الهكتار وتخفيض كلفة الانتاج وسيؤدي
هذا من أهم الامور الى التكامل هذه الاقاليم اقتصاديا من جهة
أخرى فمثلا ان الفواكه والخضار اكثر حلاوة وعطرية وألذ طعما
وأبكر نضجا بمدة (٤ - ٦) أشهر في المناطق الجنوبية في العالم
الاسلامي منها في المناطق الشمالية مما يمكن من تصديرها من
المناطق الاولى الى المناطق الثانية .

٥- تعرف الزراعة في العالم الاسلامي كل أشكال الاستثمار الزراعي
من الزراعة البدائية التي تعتمد على الجهد البشري والحيواني
الى أحدث المزارع العلمية الرأسمالية والتعاونية ومزارع الدولة
المجهزة بأحدث الآلات وان لم يكن من الضروري أن يكون مورد
هذه الاراضي المزروعة بأحدث الآلات أفضل من تلك المزروعة
بالادوات القديمة .

٦- في ضوء هذه المعطيات ومعطيات أخرى كثيرة نستنتج مايلي :
أ- يوجد نقص في انتاج الحبوب والسكر يستعاض عنه بانتاج
الفواكه والخضار وهذا يعني ان العالم الاسلامي يحقق
الاستقلال الذي تفتقر اليه أكثر الدول الصناعية كإنجلترا
وايطاليا وبولندا ولكن توزيع الثروة الزراعية في البلاد الاسلامية
متفاوت وما ينقص قطر منها يمكن أن يعوضه قطر آخر .

ب- تسهم الدول الاسلامية في تجارة المواد الزراعية بتصدير
القطن والتبغ والمطاط والخضار والثمار المبكرة والمتأخرة
النضج وغيرها وهذا سليم تماما لان الهكتار المزروع بهذه
الغلال يعطي دخلا أعلى بعدة مرات من زراعته بالقمح .
وقد انتجت الدول الاسلامية (٥٥) % من المطاط و (٤٠) %
من القطن في العالم .

ج - المواد الخام والوقود ومكانية تطوير الصناعة :

تتألف القشرة الأرضية في العالم الاسلامي من الصخور النارية الحاوية على معادن (فلزية) كالحديد والنحاس والكروم وغيرها ومن الصخور الحاوية على المعادن اللافلزية كالبتترول وغيرها . وقد بلغ انتاج فلز الحديد في الدول الاسلامية الواقعة خارج الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٦٨ مقدار (١٩) مليون طن بينما انتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي (١٦) مليون طن من فلز الحديد .

ومن الوقود انتجت الدول الاسلامية الواقعة خارج الاتحاد السوفييتي ٧ ملايين من الفحم في حين انتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي (٦٩) مليون طن من الفحم ويعوض البترول هذا النقص من انتاج الفحم بل ان مكانة البترول الآن في الصناعة وفيما يشترك منه من الصناعات التحويلية أفضل بكثير من الفحم وغيره ، كما يعوض النقص أيضا في انتاج الدول الغنية اذا انتجت الدول الاسلامية خارج الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٨ مقداره (٥١ ٪) من انتاج الدول الرأسمالية المتقدمة صناعيا ودول العالم الثالث .

كما أنتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي مقدار (٥٨ ٪) من مجموع البترول في الاتحاد السوفييتي ، ونستخلص بما تقدم أن أهم الوقود والمواد الأولية في العالم الاسلامي هي البترول والفوسفات .

فالبترول لا بد منه لتحريك وسائل الانتاج والقتال الحديثة وينتج العالم الاسلامي منه أكثر من نصف انتاجه في العالم أجمع

أما الاحتياطي فأكثر من ثلثين والغوسفات مادة أولية
سواء لصنع المخصبات الزراعية أو القنابل المحرقة وينتج العالم
الاسلامي أكثر من ثلث انتاج العالم .
كما يوجد اليورانيوم في النيجر ومصر وغيرها من الدول
الاسلامية .

٧ - الخصائص الكمية والنوعية للسكان وعوامل الوحدة واللقاء بين
شعوب العالم الاسلامي :

يبلغ عدد المسلمين في العالم حوالي (٦٠٠) مليون نسمة
عام ١٩٦٨ وهم يتزايدون بسرعة ويبلغ تزايدهم السنوي (٣ ٪)
تقريبا ولهذا التزايد نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية
هامة .

من المتوقع ان يتضاعف عدد المسلمين خلال الخمس وعشرين
سنة القادمة .

* ويتوزع المسلمون في العالم على الشكل التالي :

- ١ - دول اسلامية (اكثرية سكانها مسلمون) وعدد ها (ثلاثة واربعون)
دولة ويعيش فيها مايقارب من (٦٠٠) مليون منهم حوالي
(٥٠٠) مليون من المسلمين .
- ٢ - دول تشكل فيها الاقليات الاسلامية نسبة كبيرة تتراوح من :
(١٠ - ٤٥ ٪) من عدد السكان وعدد ها (١٨) دولة وعدد
المسلمين (٧٥) مليون .
- ٣ - دول تشكل فيها الاقليات الاسلامية نسبة ضئيلة تتراوح من (١)
الى (١٠) بالمائة من عدد السكان وعدد ها سبعة عشر دولة .
- ٤ - دول نسبة المسلمين فيها أقل من واحد في المئة وهي دول العالم
الجديد (أمريكا الشمالية والجنوبية) استرالية واغلب الدول في

أوروبا الغربية ويعيش فيها حوالي مليون مسلم .

* الخصائص النوعية للسكان :

ويعني بها الانسجام الفكري والاجتماعي والكفاءة الانتاجية :
١- يتكون المسلمون من مختلف الأجناس والشعوب ولا حاجة بنا
هنا الى التذكير بأن الاسلام دين الفطرة وأنه يتصف بالعموم
والشمول والعالمية وان المساواة تشكل روح الحضارة الاسلامية
في الوقت الذي شكلت فيه الروح الامبراطورية المبرر الذي قامت
عليه الحضارة الرومانية وفي الوقت الذي شكلت فيه الروح الاستعمارية
روح الحضارة الأوروبية المعاصرة .

ونتيجة لذلك فان المسلمين اليوم يتألفون من الشعوب التالية :
أ- شعوب الملايو في اندونيسيا واتحاد ماليزيا (١٨ ٪) من
المسلمين والشعوب الباكستانية (١٧ ٪) والأتراك (١٢ ٪)
والمغول (١٢ ٪) والشعوب السودا (١٣ ٪) والهنود
(١٠ ٪) والبربر (٢ ٪) وغيرها .

ان التزواج بين الشعوب الاسلامية خلال (١٤) قرنا
أدى الى تقاربها من الناحية العرقية .

٢- الانسجام الفكري والروحي للمسلمين :

يمكن تلخيص هذا الامر بالنظرة المشتركة الخاصة للمسلمين
للكون فبينما تهتم المجتمعات العلمانية (الرأسمالية والاشتراكية)
بالكيان المادي للانسان وتهمل الجانب الروحي يجمع الاسلام
بين هذين الجانبين وبينما يقدس المجتمع الرأسمالي الملكية
الفردية ويلغسي المجتمع الاشتراكي الملكية الفردية لوسائل الانتاج
يوفق الاسلام بين الحفاظ على كيان الفرد وحقوق المجتمع . وسوف

نعود للحديث عن عوامل الوحدة واللقاء في فقرة خاصة ونكتفي هنا بالاشارة الى أن اختلاف المسلمين في فهمهم للعقيدة الاسلامية التي تجمعهم وماتبع ذلك من شيع وفرق واحزاب لم يؤثر على وحدة المسلمين كالم يؤثر في مجرى حياتهم اليومية لأن الخلاف اما أن يكون فرعا أو أن يحمل طابع السياسة ولم يختلف أحد على المبادئ الأساسية في الاسلام .

الكفاءة الانتاجية للسكان :

— ٣ —

- ان ثروة الامم لا تعتمد على الموارد الطبيعية بقدر ما تعتمد على الكفاءة الانتاجية للسكان التي تتوقف على العوامل التالية :
- أ - مستوى تنظيم القوى المنتجة الاجتماعية وحتى الآن لا توجد منظمة علمية واقتصادية وسياسية وعسكرية على مستوى العالم الاسلامي على غرار الجامعة العربية يضاف الى ذلك أن المعاهد العلمية العليا - الازهر في مصر - القرويين في فاس - عاجزة عن القيادة الفكرية للعالم الاسلامي ناهيك عن المعاهد العليا في الدول المتقدمة صناعيا .
- ب - نسبة السكان العاملين لمجموع السكان وهي ضئيلة في العالم الاسلامي .
- بسبب النسبة العالمية للاحداث - الاطفال - دون سن العمل ولان العالم الاسلامي لا يزال بتخطيط في موضوع خروج المرأة للعمل أو ايجاد العمل الذي يلائمها ، كما أنه فقد مبدأ التخصص بين المرأة والرجل وهذا التخصص الذي يتيح انتاجا اكبر بالنسبة للرجل وانسانا أفضل بالنسبة للمجتمع - ٢ - مستوى الخبرة الفنية - وهو ضعيف أيضا في العالم الاسلامي فحتى الآن لا تقيم فيه معاهد بحث علمي ومؤسسات انتاجية متخصصة تخصصا دقيقا .

كما في الدول الصناعية وإذا أردنا الدقة في هذا العامل
لقلنا ان العالم الاسلامي ما تزال تحكمه ظروف خاصة حتى تبقى
فيه هذه الخبرة ضعيفة والدليل على ذلك ما نراه الآن من هجرة
الأدمغة والعقول من هذا العالم الى العالم الصناعي . وخلاصة
القول ان العالم الاسلامي يتمتع بموقع استراتيجي هام وفر يسد
وله موارد حرارية ومائية وترايبية ونباتية ضخمة لتطوير زراعته
ومعادن ووقود وفيرة لتطوير صناعته وقوة بشرية هائلة متزايدة بسرعة
وهي عالية المثل ولكن ينقصها حسن الاستفادة والتوجيه والبدء
الحقيقي من الذات حتى يبدأ المسلمون بدورة حضارية جديدة
بعد افلاس النظم الرأسمالية والاشتراكية وبدلا من أن يكسبوا
منتجات الحضارة عندهم كما هي الحال في أكثر بقاع العالم
الاسلامي حتى الآن .

* عوامل الوحدة واللقاء بين الشعوب الاسلامية :

من الملاحظ في عالم اليوم اتجاه اكثر دول العالم نحو التجمع
كما نرى الآن الاحلاف بين الدول الشرقية وفي السوق الأوروبية المشتركة
ودول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية واللقاء العربي الافريقي
وغير ذلك بل ان بعض دول اليوم وشعوبه تنسى عداوتها التقليدية
مع بعض الشعوب الاخرى في سبيل هذا التكتل والتجمع كما هي الحال بين
أعضاء السوق الأوروبية المشتركة ، كما أن الروابط بين بعض الشعوب
والتكتلات الأخرى ربما كانت أو هي من بيت العنكبوت في مثل هذا العالم
تبرز كتلة الشعوب الاسلامية كوحدة وتميزه على الرغم من المحاولات
الدائبة لتمزيق شعوب هذا العالم ضمن التكتلات الأخرى السابقة .
ان الشعوب الاسلامية اليوم بينها من أسباب الوحدة واللقاء
بمقياس العصب اكثر مما تملكه أية مجموعة أخرى فالعالم الاسلامي بالاضافة

الى مزايا الموقع التي تحدثنا عنها سابقا ان لهذا العالم تاريخه المتميز وحضارته وخصائصه كما أن له دوره الذي يقوم به في المستقبل القريب وعلى الرغم من كثرة هذه العوامل التي توحد بين الشعوب الاسلامية إلا أنها في التحليل الأخير تعود بنا الى العقيدة الاسلامية وما تتحلى به من مزايا وخصائص تحقيقا لقول الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقوله عز من قائل (لو انفقت ما في الارض جميعا ما لغت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم ولهذا فان من الخطأ عند الاسلام قسيما (واحد منها) لهذه العوامل في الوقت الذي تعود جميع العوامل اليه في نهاية المطاف .

ولعل هذا بطبيعة الحال أن يذكرنا بما هي العوامل التي تلحقها عليها الشعوب اليوم وهي عوامل فكرية وشعورية واعتقادية في المقام الأول كما نلاحظ ذلك في الدول التي تضم اكثر من قومية واحدة والاقتصاد هنا وسيلة لا غاية بدليل اجتماع الشعوب التي تنطلق من ثقافة واحسنة ومن تصور اعتقادي واحد وقد نقف عند اللغة والتاريخ في الاعتبار الاول بوصفهما أهم عنصرين من عناصر تشكيل القومية عند القوميين لنثبت أن العالم الاسلامي يشكل وحدة متكاملة حتى على هذا الصعيد ولكن نقدم قبل ذلك الملاحظات التالية :

١- يخلط الكثيرون بين مفهوم القومية ومفهوم الامة وقد ظن بعض القوميين ان الواحدة محل محل الثانية وهذا خطأ ربما كان مصدره ان بعض القوميات في بعض مراحل التاريخ كانت تنزع الى تشكيل أمة خاصة بها ، كما حصل في اوروبا في عصر القوميات ولكن الواقع يثبت امكانية قيام أمة تضم بين جنباتها اكثر من قومية واحدة وليست القومية في نظر الاسلام بأكثر من انتماء وانتساب لا يجوز له أن يصبح غاية في نفسه فضلا عن أن يتخذ عقيدة

أودينا يحل محل الدين قال الله تعالى : يا أيها الناس
انا خلقناكم من ذكروانتى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

فقد أشارت الآية الكريمة الى وحدة الاصل الانساني ثم
أشارت بعد ذلك الى مبدأ تقسيم الناس الى شعوب وقبائل
ثم حددت الغاية من هذا الجعل والتقسيم وانه التعارف
والتعاون لتكمل البشرية بعضها بعضا تأكيدا لوحدة الأصل
السابق لا ليفخر بعضهم بذلك على بعض أو يتخذ من هذا
الانتماء عقيدة أو دينا .

٢- ان عوامل تشكيل الأمم ليس ثابتا كما يظن بعض الباحثين عندما
يريدون الخلافة والنقاش في هذا الموضوع ان الاتجاه الذى أشرنا
اليه في صدر هذا البحث - اتجاه الشعوب نحو التجمع - يدل
على هذا التبدل والتطور في عوامل نشأة الأمم ومن الخطأ البين
الظن بأن شعوب العالم اليوم تلتقي على مثل العوامل التسيبي
التقت عليها الشعوب في عصر التخلف وفي عصور الجاهلية .

٣- وانا أردنا أن نضع يدنا على القانون الذى يحكم تطور هذه
العوامل لاحظنا أنه يشير الى التخفف من الروابط المادية
كالارض والجنس والاقتصاد والمال صعدا نحو الروابط الفكرية
والمعنوية وهذا هو الذى دعا الاسلام اليه وهو في نفس الوقت
يمثل مرحلة هائلة في تقدم الانسان .

* اللغة :

تعتبر اللغة العربية من أهم عوامل الوحدة واللقاء بين الشعوب
الاسلامية وان كانت بعض هذه الشعوب لا تتحدث بها في البيت والسوق
والمجتمع وقبل الحديث عن هذه النقطة نورد مايلي :

١- ان التوسع الذي اصابته اللغة العربية بوجه عام كان بفضل الاسلام وتحت راية القرآن وما أظن أن واحداً من القومين يناقش هذه النقطة وان كان بعضهم حاول فك الارتباط بين اللغة العربية والنقطة وان كان بعضهم حاول فك الارتباط بين اللغة العربية والنقطة وان كان بعضهم حاول فك الارتباط بين اللغة العربية والنقطة
والاسلام نظرا لوجود عرب غير مسلمين/غير عرب وسوف يتضح لنا بعد قليل ان هذا التقسيم لا قيمة له عندما نحلل ماهي اللغة وكيف تكون عاملا من عوامل الوحدة واللقاء .

٢- وكان الأصل عندنا كذلك أن يتم التعريب حيث تم انتشار الاسلام في العالم عملا بقاعدتين اثنتين :

الأولى : عالمية الدعوة الاسلامية .

الثانية : ما وصف الله به عز وجل كتابه الكريم من أنه بلسان عربي مبين بل ان القارىء لترجمة القرآن الكريم لا يعتبر قارئاً للقرآن ولا يبينى عليه كذلك الثواب الذي وعد به النبي (صلى الله عليه وسلم) قارىء القرآن أن يكون له بكل حرف عشر حسنات .

ولتخلف حرية التعريب عن حركة انتشار الاسلام في العالم أسباب خارجة عن طبيعة القرآن الكريم نفسه ومن أشهر هذه الأسباب سببان :

الأول : ان انتشار الاسلام في اغلب بقاع العالم الاسلامي اليوم انما تم عن طريق بعض الدعاة والمرشدين من التجار وغيرهم الذين عبروا الى افريقيا وجنوب الصحراء وأبحروا بسفنهم الشراعية تجاه ارجيل الملايو .

وكان في وسع التاجر الفرد أن ينقل المئات أو الألوف الى الاسلام بالدعوة والقوة والاسوة الحسنة ولكنه لم يكن في وسعه ان يعرب لسانهم بحال من الأحوال .

الثاني : ان كثيرا من الشعوب والسلالات التي دخلت فسي
الاسلام نهضت بالدعوة اليه والفتح له قبل أن يتسرب
لسانها هي كما هي الحال عند المغول والأتراك العثمانيين
وغيرهم .

٣- ومن المؤكد على كل حال ان اللغة العربية معروفة عند جميع
المسلمين بدون استثناء العربي و غير العربي منهم ويكفي أن
نذكر التعريب الذي أصاب العلم الديني في جميع أنحاء العالم
الاسلامي وعلى نحو عال ودقيق كما هي الحال عليه الآن في ندوة
العلماء بالهند والمدارس الشرعية في الاقليم الشمالي من نيجيريا
والمدارس والجامعات الاسلامية في اندونيسيا وغيرها كثير .
بالاضافة الى تعلم جميع المسلمين قدرا من العربية
يصحح به صلاته وعبادته على الاقل .

٤- وقد اسهمت اللغة العربية نتيجة احتكاك المسلمين من غير العرب
باخوانهم العرب المسلمين هذا الاحتكاك التاريخي الطويل
أسهمت اما في تطعيم لغاتهم أو لهجاتهم المحلية أو في صنع
بعض اللغات الجديدة بين طهرانيينهم كلغة الاردية التي تبلغ
نسبة الكلمات العربية فيها اكثر من (٣٠ ٪) والتي يتحدث بها
الشعب الباكستاني .

ولدينا الآن مجموعة من اللغات الشرقية يطلق عليها بعض
الباحثين اللغات الاسلامية وهي عندنا لغات الشعوب الاسلامية
وتكتب بالحرف العربي كالفارسية والتركية .

٥- وأخيرا وبالإضافة الى كل ما قد مناه فان الشعوب الاسلامية غير
العربية لا تختلف عنا في مضمون اللغة العربية وان اختلفت معنا
في أداة التعبير عنها ذلك ان اللغة ليست عبارة عن مجموعة

من الاصوات او الحروف لكن كل لغة من لغات العالم عبارة عن
فكر ووعاء لحضارة معينة ويقول بعض علماء التربية - فيليب فنكس.
ان اللغة هي عبارة عن مجموعة أو نظام من الرموز يحكي تاريخ
حضارة وأمة معينة ويقول أيضا (ان دراسة اللغة الاجنبية ليست فائدة لها
محصورة في تعلم لسان جديد لكن فائدتها تكمن في الاطلاع على ثقافة أمة
أخرى وحضارتها واللغة العربية بهذا الاعتبار هي وعاء الاسلام
والحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامي .

والشعوب الاسلامية غير العربية - كما قلنا - تؤمن معنا بهذا
المضمون الثقافي والحضاري وان اختلفت معنا في اداة التعبير عنه ولهذا
فان لغاتها الخاصة بها تكاد تكون محصورة في السوق والحاجات اليومية
ولم ترتفع الى مستوى لغة الثقافة والحضارة .

وان أثرها السيء على اللقاء بين الشعوب الاسلامية ليس بأبعد
من أثر اللهجات العامية التي نتحدث بها في الشعوب العربية نفسها
والخلاصة : فان اللغة العربية بهذا الاعتبار تعتبر من أهم عوامل الوحدة
واللقاء بين الشعوب الاسلامية على حد سواء وينبغي على هذا بطبيعة
الحال ان الطرح القومي لموضوع اللغة ليس في وسعه أن يحزق وحدة
العالم الاسلامي ووحدة شعوبه .

* التاريخ :

يعتبر التاريخ في الطرح القومي كذلك العنصر الثاني . لأهم فسي
وحدة الشعوب ولكننا لا نجد فيه كذلك الآطامها موحدا لا مفرقا
بين الشعوب الاسلامية جميعا لان تحليل عنصر التاريخ سينتهي بنا كما
رأينا في عنصر اللغة السابق الى الوحدة الفكرية والثقافية والشعورية
التي تمثلها العقيدة الاسلامية .

ان التاريخ يؤدي دوره في ربط الشعوب وفي تشكيل ذاكرة مشتركة

بينها وفي التوحيد بين آمالهم وذكرياتهم الماضية ونظرتهم الى المستقبل لا بمجرد كونه مجموعة من الحوادث مرت على الآباء والاجداد الذين كانوا في بقعة واحدة ولا يكفي مجرد مرور هذه الحوادث لتشكيل تلك الذاكرة أو توليد هذا الشعور بل لا بد أن تكون نظرتنا الى هذه الحوادث جميعا واحدة حتى يورث دور المأمول أو المرتقب وعلى العكس من ذلك يمكن اعتبار التاريخ من أكبر وأهم عوامل الشقاق والنزاع اذا اختلفت النظرة اليه والى احداثه وبالتالي اختلف الشعور الذى يجده كل واحد منّا تجاه هذه الأحداث . ولا خلاف على أن هذه النظرة المشتركة انما هي وليدة الفكر الواحد والعقيدة الواحدة . ولهذا كانت نظرة جميع المسلمين الى تاريخهم نظرة واحدة فهي تشترك اليوم في تقسيم التاريخ الى مرحلتين تاريخ ما قبل الاسلام - وتسمية تاريخ الجاهلية وهو عندها تاريخ ميست لا يذكي ولا يغير بالانتماء الى جانب دون آخر بل لا يحمل على الاعتذار والافتخار بشيء من احداثه ووقائعته ورجاله وشخصياته الا على معنى مكارم الاخلاق التي أقرها الاسلام فيما بعد ودعا اليها .

والتاريخ فيما بعد الاسلام - التاريخ الاسلامي وينظر الجميع اليه نظرة اعتزاز وافتخار ويشعرون جميعا بروح الارتباط به بما يشعر بأداء دوره بينهم من ناحية وبتميز الخارجيين عنه من ناحية أخرى بمعنى أننا لو طرحنا الموضوع على الصعيد القومي لوجدنا ان المسلمين من غير العرب قد يكونون أقرب الى الارتباط بالتاريخ من بعض العرب أنفسهم حيث يظهر التاريخ كما أشرنا سابقا كعامل مفرق لا عامل موحد عندما ينظر بعض العرب أنفسهم على سبيل المثال لحادثة هامة على أنها فتحة وتحرير وبراها عرب آخرون انها احتلال واستعمار.

ان التاريخ الذى يذكي في نفوس أبناء العالم الاسلامي جميعا روح

الارتباط بالعرب فيفرح المسلم الهندي باند حار أجداد ماأمام جحافل العرب المسلمين لان هذا الانتصار هيء له الفرصة الدخول في الاسلام والهداية اليه .

ان هذا المسلم ارتبط معنا بالتاريخ بعد ارتباطه باللغة وهذا يؤكد في نهاية المطاف ان جميع العوامل التي يمكن الحديث عنها بالاضافة الى اللغة والتاريخ كالاقتصاد والآمال المشتركة والثقافة والعادات الاجتماعية انما تعود في نهاية المطاف كما عاد عنصر اللغة والتاريخ الى العقيدة والنظرة المشتركة الى الكون وهذا هو مصداق قوله عز وجل (انما المؤمنون أخوة) وقوله تعالى : (لو انفقنا ما في الارض جميعا ما ألغيت / قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقوله (صلى الله عليه وسلم) المسلم أخو المسلم وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

وأخيرا ونظرا للتاريخ من هذا الاثر فقد حاولوا تشويهه وحاولوا احيا تاريخ ما قبل الاسلام من أجل تمزيق المسلمين وتفريقهم لان المنطقة التي انتشر فيها الاسلام في العالم شهدت أعرق حضارات التاريخ . وان اعتزاز كل شعب اسلامي بحضارة من هذه الحضارات يعتبر من وجهة نظر الاعداء من أسباب الخلاف والخصام وتقليل دور هذا التاريخ الحي .

* * *

أفغانستان

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع في وسط آسيا وتجاور الاتحاد السوفياتي (تركستان الغربية) في الشمال والصين الشعبية (تركستان الشرقية) في أقصى الشمال الغربي وباكستان في الشرق والجنوب وإيران في الغرب وتبلغ مساحتها ————— (٦٥٠ ر ٢٠٠ كم) .

وهي محاطة باليابسة وليس لها منفذ على البحر وتمتاز بكثرة جبالها العالية وهضابها الواسعة ففي الشمال الشرقي من البلاد تتربع هضبة باميرا على هضاب العالم وأشدها وعورة وتسمى سقف الدنيا وتقع بين ————— أفغانستان وباكستان والصين .

وتتفرع منها جبال هند كوش العالمية التي تمتد نحو الغرب والجنوب على شكل مروحة وجبال سليمان التي تشكل في معظم أجزائها الحد الطبيعي بين أفغانستان وباكستان ، أما قلب أفغانستان فتشغله هضاب فسيحة هي أهم مناطق الرعي في البلاد .

وفي الشمال يمر نهر جيحون (اموداريا) الذي يفصل بين ————— أفغانستان والاتحاد السوفياتي .

* المدن الرئيسية :

وفي أفغانستان مدن كثيرة أهمها كابل (العاصمة) وهرات وقندهار ومزار شريف وغزنة .

* التاريخ :

عرفت بلاد الأفغان في القديم باسم أريانا وفي صدر الإسلام باسم خراسان ثم أخذت في العصر الحديث اسم أفغانستان وقد وصلها الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه (٢٣) هجري وحل الإسلام فيها محل البوذية والزرذشتية وقد أصبحت بلاد الأفغان

بعد ذلك مركزا اسلاميا انطلق منه المد الاسلامي فمن هناك قام الفاتح المسلم محمد بن القاسم بفتح بلاد السند ووصل الى حدود الملتان ومن تلك الجبال انحدر السلطان محمود الغزنوي ينشر لواء الاسلام عبر نهر السند الى بلاد البنجاب والملتان والسند وغوجارت ومن كابل انطلق محمد بابر يتوغل في بلاد الهند ويؤسس الدولة المغولية التي انتشرت الاسلام في عهدها حتى بلغ اقاصي الهند .

وفي القرن الماضي اخذت روسيا تزحف وتتوسع في اواسط آسيا فاحتلت بخارى وسمرقند واتجهت نحو بلاد افغان فقاتلها الافغانيون ولن يمكنوها من احتلال بلادهم كما حاول الانكليز الذين كانوا قد تمكنوا من الهند أن يمدوا نفوذهم الى افغانستان فاشتبكوا مع القبائل الافغانية التي تتأخم الهند الانكليزية بمعارك ضارية ومتواصلة وأخيرا تمكن الانكليز من احتلال مناطق من بلادهم ولكنهم ذاقوا المر من بأس الافغانين فكانوا لا يستقرون في كابل وقندرهار حتى يثور عليهم المسلمون وينكلوا بهم ولا يزال الانكليز يذكرون تلك الثورة التي افنى فيها الثوار وهم دون خمسة آلاف الجيس الانكليزي الذي كان حوالي (١٧) ألفا بمعاداته الحديثة . وقد تعلم الانكليز من تلك الموقعة ان الافغانيين غير جيرانهم الهنود وان الافغاني لا يقبل ان يظأ الأجنبي أرضه . وكان من أفضل امراء الافغان في تاريخها الحديث الأمير عبد الرحمن الذي وسع حدود بلاده من جهة الشرق واستولى على ولاية كافرستان التي هدى الله اهلها على يده الى الاسلام فسمها نورستان ثم جاء من بعده ابنه الأكبر حبيب الله ثم ابن حبيب الله امان الله الذي اشعل الحرب ضد الانكليز فصالحوه على الاعتراف باستقلال افغان في الامور الخارجية ، كما باشر بتنظيم المملكة وتدريب الجيش وأرسل عددا وافرا من الطلاب للتحصيل في اوروسا ومن جعلتهم اولاده واخواته الصفار ولكنه تطرف في الميل الى التفريج والاقتداء بالاروبيين في كل شيء واعجبه مسلك مصطفى كمال في تركيا

وكرر كلامه في القضاء على العادات الاسلامية القديمة والتخلص من حجاب المرأة فانتفض عليه الشعب المسلم والجاه الى الفرار من بلاده ولكن البلاد وقعت في قبضة ابن السقاء وهو أحد قطاع الطرق المخربين وقد حكم البلاد عدة أشهر الى أن وصل السردار محمد نادر خان وكان قائد الجيوش الافغانية التي ابلت بلاء حسنا في حربها الانكليز وقاد رجال القبائل ضد ابن السقاء وقتله فاجتمعت كلمة الافغانيين عليه ونودي به ملكا على افغانستان باسم محمد نادر شاه عام ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

ونهب محمد نادر شاه باعباء الملك الى ان اغتيل عام (١٩٣٣)
فتسلم زمام الأمور ابنه محمد ظاهر شاه .

* الحياة الاقتصادية :

يعيش اكثر الشعب على الزراعة والرعي وتعتمد الزراعة المنتشرة في السهول والادوية على الرى وأهم المنتجات الزراعية القمح والشعير والرز والفواكه والقطى والسكر وأشهر ثروتها الحيوانية غنم الكركول (استركان)
ذو الصوف الثمين . وهو من أجود الانواع في العالم وتكثر الاحراج في أطراف الجبال والبلاد غنية بالمعادن ولكنها لم تستغل بعد بشكل جيد وأهمها الفحم الحجري والحديد والنحاس .

أما الصناعة فقد اشتهر الافغانيون منذ القديم بصناعة السجاد كجيرانهم الايرانيين كما تقدمت في السنوات الاخيرة صناعة النسيج -
والاسمنت والسكر ولا تزال طرق المواصلات في افغانستان سيئة بسبب كثرة الجبال ووعورة الارض وقد اهتمت الدولة حديثا بشق الطرق واغشاء المطارات في عدد من البلدان ومنها المطار الدولي في كابل .
ووحدة النقد هي الافغاني وكل دولار يساوي ٢٠٠ افغانيا .

* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان حسب تقديرات الدولة عام ١٩٦٣ - ١٤٠٠ ٠٠ ٦٨ ١٤

نسمة (٩٩ ٪) منهم مسلمون معظمهم من أهل السنة وفيهم قليل من الشيعة ويتبع أهل السنة هناك مذهب الامام أبي حنيفة . وأغلب السكان من أصل قوقازي من البختونية والتاجيك ويميل الافغانيون من الأصل البختوني الى سكنى الجبال والرمي وقيادة القوافل التجارية ويتكلمون اللغة البختونية (البوشتو) التي تعد اللغة الرسمية للبلاد وهم يشكلون (٦٠ ٪) من السكان وأهم قبائلهم الباتان التي تقطن جبال سليمان .

أما التاجيك فيميلون الى الزراعة ويستقرون في السهول الزراعية القريبة من الحدود الايرانية وهم زراع وصناع وتجار مهرة ويتكلمون اللغة الفارسية وهؤلاء يشكلون (٣٠ ٪) من السكان وهم من أصل إيراني ولكنهم من أهل السنة المعروفين بتشددهم في الدين وهناك عناصر أخرى من السكان من أصل تركي ومغولي ومنهم الهزارة الذين يتبعون المذهب الشيعي .

والافغانيون معروفون بتمسكهم بآداب الدين الاسلامي وحرصهم على أدائه فرائضه وهم مشهورون بالكرم والشجاعة وحسب الاستقلال .

وقد حرص الافغانيون منذ القديم على نشر الثقافة الاسلامية ولا تزال المعاهد الدينية في بلاد افغان تضطلع بجانب كبير من مهمة التعليم كما أسست الحكومة حديثا الى جانبها المدارس الابتدائية والثانوية وجعلت تعليم الدين الاسلامي فيها اجباريا وأنشأت جامعة كابول .

ولكن التعليم لا يزال مع ذلك محدودا .

=====

"الباكستان"

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تتألف الباكستان من وحدتين جغرافيتين تفصل بينهما في أقرب نقطة مسافة (١٧٠٠) كم ٢ وتبلغ مساحتها الكلية (٩٤٤٦٦٨) كم ٢ وتقع باكستان الغربية شمال غربي الهند وتتاخم في الشمال أفغانستان وفي الغرب إيران وتطل في الجنوب على بحر العرب. وتباين طبيعة أراضيها فمن القمم الشاهقة المغطاة بالثلوج في الأجزاء العليا من جبال هيمالايا الى صحراء السند القاحلة .

أما باكستان الشرقية فتقع شمال شرقي الهند وتتاخم مقاطعها اسام الهندية وعلى طول الحدود الشمالية والشرقية واقليمي بنغال الغربي وبهار الهنديين من الغرب كما تجاور بورما في الجنوب الشرقي ، أما فسي الجنوب فتتفتح على خليج البنغال وتضم باكستان الشرقية القسم الأكبر في دلتا الغانج ، وهي سهول مفتوحة للمؤثرات البحرية القادمة من خليج البنغال .

* المدن الرئيسية :

في باكستان الغربية : اسلام اباد (العاصمة وهي في طور الانشاء) راولبندى (العاصمة المؤقتة) ، كراتشي (اكبر مدن باكستان) وميناءوها على بحر العرب ويزيد عدد سكانها (١٥) مليون حيدر اباد السند وفي باكستان الشرقية دكا (عاصمة باكستان الشرقية) شيتاغونغ (وهي ميناء على خليج البنغال) .

* التاريخ :

كانت بلاد الهند قبل بضع وعشرين سنة تضم جمهوريتي الهند وباكستان وقد عرف العرب بلاد الهند منذ أقدم العصور وتبادلوا

معها التجارة من طريق البحر وحين جاء الاسلام حمل التجار والدعاة المسلمين هذا الدين الى أرض الهند ولم يتدخل الفتح الاسلامي الا في أواخر القرن الاول حين اعتدى الهنود بأمر من ملوكهم داهار على التجار المسلمين فتقدم الجيش الاسلامي بقيادة محمد بن القاسم وهزم داهار وفتح جزءا من بلاد السند ، كما استولى على الملتان في البنجاب وجعل لاهور مركزا للثقافة الاسلامية وانتشر الاسلام في عهده انتشارا كبيرا وامتد في حوضي السند والافغان .

وفي مطلع القرن السابع الهجري قامت سلطنة دلهي الاسلامية في قلب شبه القارة الهندية ثم أسس بابر امبراطورية المغول الاسلامية الهند عام ٩٦٢ هـ وانتشر الاسلام في عهدها حتى بلغ أقاصي الهند وكان من أعظم ملوكها شاه حيهان واورانجزيت وفي القرن الثاني عشر الهجري تسابق الانكليز والفرنسيون على حيازة مناطق واسعة من الهند في الوقت الذي كان فيه المراتيون والسيخ يعملون على هدم الامبراطورية المغولية وقد استطاع الانكليز في القرن الماضي أن يتغلبوا على منافسيهم الفرنسيين وينفردوا بالسيادة في معظم أجزاء الهند وفي عام ٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م ، ثار المسلمون في الهند على شركة الهند الشرقية التي كانت تحكم البلاد فتدخلت الحكومة البريطانية والفرنسية والبرتغالية والدينية على آخر سلاطين الدولة المغولية وحدثت الهند استقلالها عن الحكم البريطاني الانكليز في اخمات الثورة الى تفرق الكلمة ان لم تنهز الولايا الهندية المستقلة لمساعدة الثوار .

وقد أخذ البريطانيون أثناء حكمهم يقصون المسلمين عن المراكز الادارية والمالية والعسكرية واستطاعوا بحجباتهم الهندون واعتمادهم عليهم واثارتهم احتقادهم على المسلمين أن يقضوا على الممالك الاسلامية ويستقروا في الهند مدة طويلة وكانوا يحاربون الهنود بالهنود وقصدت هندوا منهم جيشا كبيرا بلغ أيام الحرب العالمية الثانية مليوني جندي .

ثم تنبه الهنود وحاولوا التخلص من الاستعمار البريطاني فأسس بعض زعمائهم سنة ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م حزب المؤتمر الهندي الوطني الذي كان هدفه الاول حصول الهند على الحكم الذاتي . وتعاون المسلمون والهندوس في هذا المؤتمر فاضطرت بريطانيا الى أن تجعل للهنود نصيبا في حكم بلادهم وكان من أبرز زعماء هذا المؤتمر غاندي ومحمد علي جناح .

* تقسيم البلاد وقيام باكستان :

ولكن الحقن الوثني الدفين في نفوس الهنود كيعضده الحقن الصليبي عند المحتل لم يترك مجالا للتعاون بين المسلمين وجيرانهم الهندوس الذين حاولوا تجاهل المسلمين والاعتداء على حقوقهم حتى بات التعايش معهم صعبا . وبعد أن كان المسلمون حكام الهند أصبحوا محكومين - للهندوسيين الذين أسرعوا الى تعلم اللغة الانكليزية واستلام الادارات تحت اشراف البريطانيين وزادت المنافسة بين النعور الاسلامي والقومية الهندية التي كانت تتمتع بحماية البريطانيين وتشجيعهم . وشعر المسلمون بضرورة الانفصال وآمنوا بأنه لا بد من قيام دولة للمسلمين تحميهم من أن يسيروا بحبرائهم واعتدائهم عليهم وهكذا ولدت فكرة باكستان وتمخض هذا الشعور أول الأمر عن تأسيس (الرابطة الاسلامية) عام ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م وقد تعاونت الرابطة اول الامر مع حزب المؤتمر في حرب الانكليز ولكنها ادركت بعد ذلك ان اتجاه المؤتمر هو انشاء حكم هندي يتجاهل وجود المسلمين لان الهندوس هم الاغلبية فاعلنت الرابطة استقلالها وعلمها لخدمة المسلمين والمطالبة بحقوقهم واقامة وطن لهم يمارسون فيه حياتهم الاسلامية وحين قامت الحرب العالمية الاولى اخذ المسلمون يناوئون - البريطانيين وقامت الثورات الداخلية وتحمل المسلمون أبشع أنواع الأذى من الانكليز الذين حملوا المسلمين تبعة العصيان المدني ومناصرة الدولة

العثمانية وامتلات السجون بالمسلمين في الوقت الذي كان الهند وسيون
يوالون الانكليز ويفكرون باستئصال المسلمين من بلاد الهند .
لذلك لم يعد من الممكن أن يرضى المسلمون الهند بهذه الحال
ولم يجدوا بدا من جمع شتاتهم والعمل لقيام دولة تحفظ عليهم دينهم
وتحميهم من ظلم جيرانهم .

وكان من اعلام المفكرين العاملين لقيام الدولة الاسلامية شاعر
الاسلام في الهند محمد اقبال وزعيم الحركة السياسية محمد علي جناح
ويعد اقبال اول من فكر بانفصال الولايات التي تسكنها اغلبية مسلمين
المسلمين وقد اعلن ذلك عام ١٩٣٠ في اجتماع حزب الرابطة الاسلامية
في اسلام اباد وكان اقبال رئيس المؤتمر في ذلك الاجتماع وقد توفي اقبال
قبل ان تتحقق امنيته بولادة باكستان .

أما محمد علي فقد كان زعيما علميا أصر على قيام دولة باكستان ،
وأعلن ان المسلمين لن ينزعوا من اعناقهم نير الانكليز باغلال الهند وس
وقد وقف في وجه نهرو الذي حاول ان يتجاهل وجود المسلمين حين
صرح بأن في الهند حزبين هما الحكومة الانكليزية وحزب المؤتمر الهندي
وكان حزب المؤتمر آنذاك مواليا للانكليز وكان المسلمون يسامون سوء
العذاب في السجون والمعتقلات فأعلن محمد علي جناح عندئذ بصراحة
قائلا بل ان هناك حزبا ثالثا هو الامة الاسلامية فلم يبق بعدها لى
مسلم عذر في ان يبقى عضوا في المؤتمر الهندي او بعيدا عن الرابطة
الاسلامية وفي عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م عقدت هذه الرابطة اجتماعا
كبيرا حضره مائة الف مسلم اكدوا عزمهم على قيام الدولة الاسلامية
وقرروا ان تتخذ الدولة المأمولة اسم باكستان ومعناه الارض الطاهرة .
وحاول الهندوس الذين أرادوا أن يسيطروا على جميع الهند منزع
المسلمين من اقامة دولتهم ولكنهم رضخوا أخيرا أمام صمود المسلمين

وتصميمهم على إقامة كيان مستقل لهم . وبدأ غاندى يفاوض محمد علي جناح في موضوع تقسيم الهند وقامت الثورات والمذابح وجاءت انتخابات ١٩٤٦ م صارخة بفوز حزب الرابطة بمقاعد المسلمين فلم يعدها مكان الحكومة البريطانية والهندوس تجاهل رغبة مائة مليون مسلم في أن يعيشوا أحراراً في دولة مستقلة فوافق البرلمان البريطاني في عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م على قيام حكومتين في الهند باسم (الهند) و (باكستان) ولكن أرض الهند لم تقسم بين الهندوس والمسلمين قسمة عادلة بل سيطر الهندوس ويدعمهم الحقد الصليبي البريطاني على كثير من بلاد المسلمين وكانت حكومة الهند ترسل الجيش ليستولي على المقاطعات المختلف عليها كما حدث في كشمير التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٨٠ ٪ وكما حدث في حيدر اباد وكذلك استأثرت بالمواني الهامة مثل بمباى وكلكتا والمدن الكبيرة كدلهي ومعظم الثروة الوطنية وأموال الدولة .

ولم يظفئ هذا كله الحقد الوثني بل قام الهندوسيون والسيخ بمذابح وحشية بين المسلمين وقتلوا مئات الآلاف في دلهي وامرتسار وغيرهما وفي عربات القطارات المكتظة بالمسلمين المهاجرين من أطراف الهند إلى دار الهجرة (باكستان) وكان الجيش الهندي هو الساذي يشرف على هذه المذابح وهو الذي يطرد المسلمين الآمنين من بيوتهم في المناطق التي قررت حكومة الهند أن تكون تابعة لها . واستقبل المسلمون في باكستان تسعة ملايين من اخوانهم المهاجرين بروح اسلامية عالية مما اعاد الى الازمان ذكرى استقبال الانصار اخوانهم المهاجرين . وصبر المسلمون على هذه المحنة وسقوا غرستهم الغالية بالدم الطاهر واستطاعوا رغم محنتهم القريبة وامكاناتهم المادية المحدودة ان يقيموا بايمانهم دولتهم الفتية ولم يكن لهذه الدولة دور للحكومة - أو رصيد يذكر من المال أو مصانع كافية أو جيش منظم فتعطلت مرافق

الحياة واضطربت الادارات ولكن لم تلبث باكستان ان تغلبت على البصاعب
وبنت دولتها وصار لها جيش قوى واقتصاد ثابت . وقد تولى الزعيم محمد علي
جناح منصب الحاكم العام في باكستان (١٣٦٦هـ - ١٣٦٧هـ) الموافق
ل (١٩٤٧م - ١٩٤٨م) ثم خلفه بعد وفاته الخوجا ناظم الدين هسم
غلام محمد ثم الجنرال اسكندر ميرزا الذي انتخب رئيسا مؤقتا فأعلن
الاحكام العسكرية وقال اعضاء الحكومتين المركزية والاقليمية وحل البرلمان
واقف العمل بالدستور وعين الجنرال محمد ايوب خان القائد العام
للجيش رئيسا للادارة العسكرية وحيث ثار الجيش على اسكندر ميرزا
تسلم ايوب خان زمام الامور عام (١٣٧٨ = ١٩٥٨م) .

ولما قامت الاضطرابات الاخيرة وسادت الفوضى ارجاء البلاد
وعجز الرئيس ايوب خان عن اعادة الاستقرار اعتزل الحكم واستلم مهامه
السيد يحيى خان الذى قام أخيرا بتنفيذ وعده بالعودة بالبلاد
الى نظام الديمقراطية فقام باجراء انتخابات عامة في البلاد أسفرت عن
فوز حزب عوامي برئاسة مجيب الرحمن بأغلبية مطلقة في باكستان الشرقية
وفي برلمان البلاد كذلك وعند فوز حزب الشعب بقيادة ذوالفقار علي بوتو
أغلبية مقاعد باكستان الغربية ويخشى من بوادر الانفصال بين اقليمى
البلاد لان في بعض المنود الستة التي خاض الشيخ مجيب الرحمن الانتخابات
على أساسها ما يشير الى نوع من الاتحاد الفدرالى بين الاقليمين ولعل
الدوائر الاستعمارية والامريكية بصفة خاصة تغذى مثل هذه النزعة التي
وقعت في كفتها أحداث الاعصار الرهيب الذى اجتاح باكستان الشرقية
مؤخرا ويخشى أن يضرب بهذه الانتخابات عرض الحائط ويبقى الجنرال
يحيى خان يدير دفة البلاد اذا لم يحسن زعيما الحزبين الموافقة بين
رغبات أهالي الاقليمين على الشكل الذى يحفظ للبلاد وحدتها الكاملة
بوجه الجارة الهند .

* الحياة الاقتصادية :

باكستان من البلاد الزراعية ، وتعتمد الزراعة في كثير من مساحتها على مياه الأنهار ، لذلك قامت فيها السدود الكثيرة ، ويعمل ثلاثة أرباع السكان بالزراعة ، وهي تنتج كميات كبيرة من الرز والقمح والحبوب (القنب) والقطن والشاي والبذور الزيتية . ويزرع أكثر الحبوب في باكستان الشرقية وهو من أفضل الأنواع المعروفة في العالم وتنتج منه باكستان (٨٠ ٪) من محصوله العالمي .

وفي باكستان ثروة حيوانية جيدة تساعد مع صيد الأسماك الكثيرة في سد حاجة السكان الغذائية كما تعد الأحرار الكثيرة واردا لا يستهان به في اقتصاديات البلاد .

باكستان غنية بالمعادن ولكنها لم تستغل على نطاق كبير ، ففيها البترول والغاز الطبيعي والفحم والكروم . أما الصناعة فهي تتقدم مستعرا وقد اتسعت صناعة الغزل والنسيج وصناعة السكر والاسمنت والحبوب والزجاج والورق والمحركات . كما انشئت مصانع للراديو والمصابيح الكهربائية والاسمدة الكيماوية وفي باكستان اليوم مصانع لصب الحديد والفولاذ وتركيب القطر الحديدية . وقد تطورت صناعة السفن الحديثة والموانيء الباكستانية - كراتشي وشيتاغونج . وعملت الدولة على تحسين طرق المواصلات التي كانت محدودة عند التقسيم وفيها اليوم شبكة جيدة من السكك الحديدية اما الملاحة الداخلية فتعد من الوسائل الرئيسية للمواصلات في باكستان الشرقية وكراتشي اكبر مركز للطيران في البلاد .

ووحدة النقد في باكستان هي الروبية وتساوي ٢١ ٪ من الدولار .

السكان واللغة والتعليم :

بلغ عدد سكان باكستان حسب تقديرات الامم المتحدة لعام

١٩٦٢ (٩٦٥) مليون نسمة (٨٨ ٪) منهم مسلمون ، أما الباقون
فأكثرهم من الهندوس .

ويتصف الشعب الباكستاني بالذكاء والقوة والجلد والزهد بالمظاهر
المادية وهو معروف بتمسكه بالاسلام ورضيته في خدمة العلوم الاسلامية
ولا سيما الحديث . ويتكلم أهل باكستان الشرقية اللغة البنغالية وأهل
باكستان الغربية اللغة الاوردية ولا تزال اللغة العربية مكانتها في نفوس
الباكستانيين لانها لغة الاسلام وهي منتشرة ومعروفة عند طلبة العلم .
وفي باكستان معاهد وجامعات اسلامية كثيرة تهتم باللغة العربية
والعلوم الاسلامية وقد تقدم التعليم بعد الاستقلال تقدما ملموسا . وأصبح
فيها عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية والكليات الجامعية ويدرس
الدين الاسلامي في كافة المدارس والكليات بالاضافة الى تعليمه فـــــــي
المساجد والمؤسسات الدينية الخاصة .

* الوضع الحاضرة :

باكستان جمهورية فتية ودينها الرسمي هو الاسلام . وقد لقيت منذ
قيامها صعوبات كثيرة داخلية وخارجية كان من أهمها تقسيم البلاد وتعيين
الحدود ولا تزال كشمير من أهم القضايا التي تشغل بال المسلمين فكشمير
يربطها بباكستان روابط متينة ليس للهند منها فأرضها جزء طبيعي من
باكستان الغربية ومن جبالها العالمية تتبع مجارى ونهر السند والاسلام
دين غالبية السكان ولكن الهند ضمت القسم الاكبر من كشمير اليها بالقوة
وحين ثار المسلمون في كشمير مطالبين بالانضمام الى اخوانهم المسلمين
أرسلت حكومة الهند الى كشمير مائة الف من جنودها ودعمت حكم المهرابا
الحاكم الهندوسي ، كما أرسلت باكستان جيشا لمساعدة أهل كشمير .
فتدخلت هيئة الامم المتحدة وقررت وقف اطلاق النار واجبراء
استفتاء حر تحت اشرافها ولكن الهند لم تنفذ فعات الحرب ثانية
بين الدولتين ثم توقفت دون ان تحل المشكلة .

ومن المصاعب التي تقف في وجه تقدم باكستان انقسامها الى وحدتين وصعوبة الاتصال بينهما مما سهل للاعداء الخارجيين استغلال هذا الامر واثارة المشكلات ودفع المعارضة المنحرفة للمطالبة بالانفصال وتجزئة باكستان الى دولتين خطوة كبيرة الى تهديم هذه الدولة التي جمعها الاسلام وباكستان محاطة باعداء كثيرين فهي تجاور الهند الجارة اللدود التي لا تفتأ تعمل على ابتلاع باكستان واذلال سكانها المسلمين . كما أنها تجاور الدول السوفياتية المتربصة بالاسلام والتسي لا تزال تحرك اتباعها لاثارة الفتن واستغلال الظروف القاسية التي تمر بها باكستان .

وعلاقة باكستان بالدول الاسلامية جيدة . وقد كانت علاقتها بأفغانستان اول الامر سيئة بسبب النزاع على الحدود ثم عادت العلاقات الطيبة وهناك صلات تجارية وثقافية بين باكستان وكثير من الاقطار الاسلامية وفي باكستان اليوم حركة اسلامية قوية وتعد (الجماعة الاسلامية) التي يرأسها السيد ابوالاعلى المودودي من أقوى الجماعات العاملة في ميدان الدعوة الاسلامية ولما كان الاسلام هو المبرر الوحيد لوجود باكستان وعلى أساسه قامت هذه الدولة الفتية .

فان الشعب المسلم بباكستان مصمم على أن يكون الاسلام نسيج حياته وهو يسعى وراء علماء العالمين ليحقق هذه الأمنية الغالية وانذا لم يسارع المسوؤلون الخطي الى تطبيق أحكام الاسلام استفحل خطر التيارات المنحرفة التي تتجاوب مع مكائد الاعداء المتربسين وتنحرف بالارض الطاهرة عن الخط السليم الذي رسمه لها الهنادة المخلصون (راجع مجلة الاسبوع العربي العدد ٦٠٦ / تاريخ ١٨ كانون ثاني سنة ١٩٧١ /) .

=====

" اندونيسيا "

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تعني اندونيسيا جزر الهند الشرقية وهي أرخبيل عظيم يقع جنوبي شرقي آسيا . ويتألف من ١٣٦٧٧ جزيرة منها ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة . وأكبر هذه الجزر مساحة (كاليمانتان) ، (وهي جزيرة بورنيو - باستثناء القسم التابع لماليزيا) ثم سومطرة وإيرايان الغربية وسولا ويسى وجاوة ومادورا . ولكن أهم هذه الجزر وأكثرها سكانا جزيرة جاوة وفيها العاصمة جاكارتا وتبلغ مساحة اندونيسيا / ١٩٠٠.٠٠٠ كم/ ترتفع في أوساط الجزر الكبرى سلاسل من الجبال مكسوة بغابات كثيفة وفي بعض الجبال براكيسن قسم منها مشتعل ، أما السفوح والسهول الساحلية فهي مناطق زراعية غنية .

* المدن الرئيسية :

أهم المدن الاندونيسية في جاوة : جاكارتا وهي العاصمة ويقدر عدد سكانها الآن بنحو (٤) ملايين نسمة وهي ميناء هام وفيها أكبر مركز للخطوط الحديدية والبحرية في البلاد ثم سوارابايا وباندونغ وجوكجاكارتا . وفي سمطرة ميدان وبالبانغ وفي كاليمانتان : بنجرماسين .

* التاريخ :

تأثرت اندونيسيا في القديم بجاراتها فتفتشت فيها الهندوسية والبوذية وحين جاء الاسلام حمل التجار المسلمون من الهند والبلاد العربية مشعل الهداية الى هذه الجزر ولكن انتشار الاسلام بقي محدودا حتى مطلع القرن السادس الهجري .

ان استطاع بعض الدعاة بوعظهم نشر الدين الاسلامي في بعض أرجاء سومطرة وحين اهتدى ملك سومطرة الى الاسلام في القرن السابع الهجري قامت هذه الجزيرة اول مملكة اسلامية اهتمت بنشر الاسلام فسي تلك الربوع النائية ويروى لنا ابن بطوطة في رحلاته أخبارا متعة

من هذه الدولة الاسلامية المزدهرة وما جاء القرن التاسع الهجرى حتى
عم الاسلام سكان جزر اندونيسيا وقامت فيها ممالك عديدة .
وهكذا بزغ نور الاسلام في تلك الجزر الخضراء ووصل الى مالم تصل
اليه جيوش الفاتحين وان دخول مائة مليون نسمة في الاسلام في تلك البلاد
البعيدة على الرغم من الاستعمار الاوروبي الطويل وحرية العقيدة للمسلمين
لدليل على عظمة الاسلام وسهولة اهتداء الفطر السليمة اليه .
ولولم تحمله اليها كتاب الفتح التي كانت تزيج من طريقها الطفافة
المتعنتين .

ولكن التجار البرتغاليين الذين وصلوا الى تلك الجزر في اوائل
القرن العاشر الهجرى وجدوا فيها حكومات ضعيفة وطمعوا في موقع هذه
الجزر وثرواتها الطبيعية فبسطوا سلطانهم التجارى على بعض مرافئها .
وجاء بعد ذلك التجار الاسبانيون ثم زاحمهم الهولنديون الذين
أسسوا شركة الهند الشرقية ونجحوا سنة ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٥ م عقد معاهدة
مع اتدونيسيا وبدأوا استثمارهم للبلاد . ويتصفية أعمال الشركة التجارية
اشرقت الحكومة الهولندية مباشرة على ادارة تلك الجزر . ولقد استمرت مقاومة
الشعب لهذا الاستعمار البغيض طول مدة حكمه وبخاصة في شمال سومطرة
التي تسقط نهائيا عام ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٢ ولكن الثورات العنيفة كانت
تقع بوحشية وحين اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية احتل اليابانيون
اندونيسيا واطلقوا سراح زعمائها المعتقلين فأعلن الزعماء الاندونيسيون
استقلال البلاد وقيام الجمهورية اندونيسيا المستقلة وبسطوا نفوذهم على
جاوة ومادورة وسومطرة ولكن الهولنديين الذين عادوا الى البلاد مع الجيوش
البريطانية في أعقاب الحرب قاوموا الحركة الوطنية ونشب القتال واستمر طويلا

حتى اضطرت هولندا أخيراً إلى الاعتراف بالحكومة الاندونيسية ونقل
السلطات إليها عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م وتولى الدكتور احمد سوكارنو
زعيم الحزب الوطني رئاسة الجمهورية بينما تولى الدكتور محمد ناصر
رئيس الحزب ماشومي (مجلس شعوري مسلمي اندونيسيا) .

ثم زميله في حزب ماشومي الدكتور سويكيان رئاسة الوزراء ثم قامت
في البلاد انتخابات مجلس نياي كان بينها حزب ماشومي والحزب الوطني
أقوى الاحزاب فألف الحزب الوطني حكومة ائتلافية ولكن هذه الدولة الفتية
تعرضت منذ نشأتها لمشكلات داخلية ان دارت رحى الخلاف بين زعماء
البلاد حول الأسس التي تقوم عليها هذه الجمهورية الجديدة ولقد رفضت
الجمعية التأسيسية محاولة الرئيس سوكارنو انفراد بالسلطة ومناداته
بنظرية الديمقراطية الموجهة فألغى الجمعية التأسيسية ثم حل البرلمان
وحارب الاحزاب المعارضة لسياسته الفردية فقام بوجهه زعماء حزب اشومسي
أقوى حزب سياسي في البلاد مع بعض زعماء المعارضة وفريق من ضباط
الجيش واصلوا الثورة المسلحة ولكن سوكارنو يحتال على قادة الثورة
ويسجنهم ويقضي على ثورتهم ثم اعتمد على الجيش الذي أصبح له نفوذ
كبير بعد القضاء على هذه الثورة وقد أصبح سوكارنو الحاكم المطلق بعد
أن اعطته الجمعية التأسيسية الجديدة لقب القائد العظيم وانتخبته عام
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م رئيساً مدى الحياة وجعله فوق الدستور .

وقاوم سوكارنو الحزب الاسلامي المعارض واعتمد على الحزب الوطني
وعلى الحزب الشيوعي المؤيد لسياسته وعمل على انتشاره ودعمه حتى أصبح
أقوى حزب شيوعي في العالم الاسلامي وظن هذا الحزب أنه أصبح قادراً
على قطف الثمرة واستلام الحكم فتعجل في الوثوب على اكثاف سوكارنو الى
قيادة الجيش واغتال الجنرالات الستة بمجزرة رهيبه سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥
ولكن هذه المحاولة فشلت بفضل وعي الشعب الاندونيسي المؤمن ، ان

برزت الى الساحة منظمة اتحاد الطلبة المسلمين في اندونيسيا وقادة الشعب في حركته ضد هذه المحاولة وتسلم السلطة سوهارتو الذي انتخب عام ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م رئيسا للجمهورية .

* الحياة الاقتصادية :

تتمتع اندونيسيا بثروة طبيعية ضخمة بسبب غنى التربة ووفرة الامطار ولكن الاستعمار الهولندي عمل خلال قرونه الثلاثة على الاستثمار بخيرات البلاد وترك غالبية الشعب في حالة فقر وحين نالت البلاد استقلالها بدأت تعمل على حسن الاستغلال لواردها الطبيعية والاستفادة منها في بناء اقتصاد متين ومن أهم هذه الموارد الحاصلات الزراعية الكبيرة فهي تنتج (٤٠ ٪) من المطاط في العالم كما تزرع الرز والقمح وقصب السكر وزيت البلح والكيما والبن والشاي والكافور والافاديه (المهارات) .

كما تستفيد من الاخشاب في غاباتها الكثيفة والامطار من سواحلها الممتدة وتغطي الغابات ثلثي مساحة اندونيسيا وتغطي أخشاب التاكا وغيرها كما ان السواحل الطويلة تمد الشعب بمورد غذائي جيد وأهم معادنها البترول والقصدير واليوكيست والمنغنيز والحديد .

أما الصناعة فلا تزال ضعيفة لا تقوم بحاجة البلاد وأهمها صناعة النسيج التي تقدم الملابس الاندونيسية التقليدية وفي البلاد خطوط مواصلات متنوعة وكافية وبخاصة في جاوة وتعتمد المواصلات في كثير من الجزر على الخطوط البحرية حيث تلعب السفن الشراعية دورا هاما في التجارة الداخلية وفي اندونيسيا كذلك عدة موانئ نشيطة للتجارة الخارجية وأهمها في جاكرتا وسورابا وميدان .

وفي جاكرتا مطار دولي والوحدة النقدية هي الروبية ويساوي الدولار

لامريكي (٤٥) روبية .

* السكان واللغة والتعليم :

بلغ عدد السكان حسب تقدير الحكومة لعام ١٩٦٧ م (١١٠) ملايين نسمة وهي بذلك خامس دولة في العالم في تعداد السكان وتأتسي بعد الصين الشعبية والهند والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبجتمع حوالي (٧٠) مليون نسمة في جاوة ومادوره ، بينما يقل عدد السكان كالياننتان وايربان الغربية ، ويبلغ المسلمون (٩٤ ٪) من مجموع السكان .

أما الباقون فهم من الوثنيين والنصارى ولغة السكان هي الاندونيسية الشبيهة بلغة الملايو ، وكانت تكتب مثلها بحروف عربية ولكن عهد الاستعمار الطويل أحل محلها الحروف اللاتينية .
أما اللغة العربية فهي معروفة عند كثير من طلاب العلم ، وهناك آلاف المدارس الاسلامية في اندونيسيا تعلم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ولغة القرآن وأهمها الجامعة الاسلامية في جوكرتا .

- افريقيا -

قبل حديثنا عن البلاد الاسلامية في القارة الافريقية لابد من كلمة وجيزة في التعريف بهذه القارة .

هي احدى قارات العالم القديم وتبلغ مساحتها حوالي (٣٠) مليون كم^٢ ويفصلها عن اوروبا في الشمال البحر الابيض المتوسط وعن آسيا فـسي الشرق المحيط الهندي والبحر الاحمر ، بينما يمتد المحيط الاطلسي فـسي غربها من مصيقي جبل طارق الى رأس الرجاء الصالح .
وتقع معظم القارة في المناطق المدارية ولكن أطرافها معتدلة المناخ .

وتشغل الصحارى مساحة واسعة من اراضيها . ومصادر القسوة المائية متوفرة ولكنها لم تستغل بعد . وتقوم الزراعة معتمدة على المطر والرى في كثير من الجهات والثروة المعدنية فيه لا بأس بها ولها الصدارة بين قارات العالم في انتاج الماس والذهب واليورانيوم ولكن القارة فقيرة نسبيا في البترول .

دخل الاسلام الى القارة الافريقية منذ أيامه الأولى حين هاجر المسلمون الاولون الى الحبشة هجرتهم الاولى ووجدوا في النجاشي ملجأ يحميهم من ظلم كفار قريش ثم دخل المسلمون هذه القارة فاتحين أيام عمر رضي الله عنه ولم يلبث شمال افريقيا ان دخل في حكم الاسلام . ومنذ ذلك الحين قامت للاسلام دولته في هذه القارة وأخذ يمتد نحو الجنوب باحتكاك المسلمين بالافريقيين الوثنيين حتى أصبح الدين السائد فـسي شمال افريقيا واسطها وقد نشر الاسلام في تلك الربوع حضارته الانسانية : واحرح الناس من الوثنية وعبادة الطوغم الى عبادة الله وعلم تلك القبائل التائهة في دومة الصحراء باعماق الغابات كيف يرقى الانسان الى حضارة اللباس والعلم ومكارم الاخلاق .

ظل الاوروبيون النصارى يجهلون هذه القارة فيما عدا الشريط الشمالي منها حتى كان القرن التاسع الهجرى حيث بدأ الغزو البرتغالي ثم تسابقت الدول الاوروبية الى اكتشاف مجاهل افريقية واستعمار أقطارها طمعا في خيراتها ومواردها البكر . ومنذ عشرين سنة لم يكن في افريقيا كلها من الدولة المستقلة الا مصر والحبشة وليبيريا واتحاد جنوب افريقيا وكان استقلالها غير تام .

وبدأت شعوب افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية تكافح من أجل التحرر والاستقلال ولم يمض غير سنوات معدودة حتى أصبحت معظم الاقطار الافريقية تملك استقلالها .

حاول الاستعمار الاوروبي خلال السنين الطويلة التي حكم فيها افريقيا ان يمد جذوره ويستقر في هذه القارة الغنية بثرواتها الطبيعية ومواردها الكثيرة فشجع استيطان الاوروبيين فيها وملأها بالمبشرين وساعدهم على نشر النصرانية التي أخذت طريقها بصعوبة الى بعض القبائل الوثنية في افريقيا الجنوبية والوسطى . ولكنها استطاعت بعد بدعم من الاستعمار الذى ساد القارة قرونا أن تصل ببعض اتباعها الى مراكز الحكم والادارة في كثير من الاقطار الافريقية ولكن الاسلام بما فيه من مقومات تنسجم مع فطرة الانسان السليمة لا يزال يغالب النصرانية ويسابقها على الرغم من قسوة ظروفه وضعف دعاته . وقد بلغ عدد المسلمين فيها اكثر من (١٧٠) مليون وهم اغلبيه السكان في هذه القارة .

=====

— نيجيريا — =====

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تحدّها شمالا النيجر وشرقا الكمرون ، وجنوبا خليج غينيا على المحيط الاطلسي وغربا داهومي وتبلغ مساحتها (٩٦٨٩٥٢) كم^٢ . وتنسب نيجيريا الى نهر النيجر الذي يمر فيها . وتتكون أراضيها من سهول ساحلية واسعة تتوسطها دلتا وتقسم اودية نهري النيجر وبينونيجريا الى ثلاثة أقسام تتكون منها الاقاليم الثلاثة .
// الشمالي والغربي والشرقي //

* الاقاليم والمدن الرئيسية :

نيجيريا جمهورية اتحادية عاصمتها لاغوس وتضم أربعة أقاليم تكون اتحادا فيدراليا وهي :

١- الاقليم الشمالي : عاصمة (كادونا) وأهم مدنه كانو - وسكوتو - وزاريا وكاتسينا .

٢- الاقليم الغربي : وعاصمته (أنانان) ومن مدنه اغيوموشو - واشغبير .

٣- الاقليم الشرقي : وعاصمته (انوفو) ومن مدنه اونيتشا - وبورهاركور .

٤- الاقليم الغربي الاوسط : وعاصمته (بنين) ومن مدنه سبيل وقد شكل بعد الاستقلال عام ١٩٦٢ م نتيجة استفتاء عام .

كذلك نعد في هذا الاتحاد الكمرون الشمالي الذي انضم السيسى الاتحاد عام ١٩٦١ وكان تحت الوصاية البريطانية . ومنطقة العاصمة الفيدرالية لاغوس . ولاغوس ميناء تجارى على خليج غينيا .

* التاريخ :

دخل الاسلام نيجيريا منذ القرن الثاني الهجرى مع التجار والعشدين والوافدين من الشمال الافريقي وفي القرن الثامن الهجرى أخذت البلاد طابعا اسلاميا واضحا عندما دخل الغولانيون المسلمون نيجيريا وامتزجوا

• بطريقة سلمية بالهوسا في الشمال ، اما الجنوب فكانت قبائل اليوروبا لا تزال ممعنة بوثنييتها وقد ازدهرت الممالك الاسلامية في الشمال في نهاية القرن العاشر الهجري فقامت فيه دول الهوسا ومملكة يورنو الاسلامية التي بلغت مستوى حضاريا جيدا .

ولكن الحضارة الاسلامية انحطت بعد ذلك في نيجيريا حتى كانت مطلع القرن الماضي ان قام عثمان دان فوديو والغولاني بنشر تعاليم الاسلام واحياء الروح الدينية في البلاد وجمع زعماء الهوسا تحت ادارة واحدة واجتمعوا على دعوته وخلصوا عليه لقب أمير المؤمنين وأرسل أمراء لنشر الاسلام في الجنوب الوثنى وامتد نفوذ الغولانييين المسلمين في الشرق والضرب والجنوب وبذلك قامت في الاقليم الشمالي من نيجيريا مملكة اسلامية مزدهرة .

وفي الوقت نفسه كان الاوروبيون قد تمكنوا في الجنوب في المناطق الوثنية وأقاموا علاقات تجارية مع البورويين .

وفي سنة ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م تم للرواد الاوروبيين اكتشاف النيجر بكامله .

ولم يلبث المبشرون والتجار أن تبعوهم ليمهدوا الطريق للمستعمرين ابتداء من لاغوس وعلى ضفاف النيجر .

وبعد أن اتفق الفرنسيون والانكليز على الحدود بدأ الانكليز بالتوغل في الداخل وما جاء القرن الحالي الا وكانت نيجيريا محمية بريطانية في الشمال ومستعمرة في الجنوب وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى احتل البريطانيون غربي الكاميرون وحكموها جزءا من نيجيريا .

ثم أخذت البلاد تتطلع من حكم المستعمرين وتطالب بالتحريرو
بن نيرهم وفي عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م ظهر في الاقليم الشمالي حزب
موتمر الشعوب الشمالية (بزعامه الحاج أحمد ويلو ، أحد أحفاد

الشيخ عثمان داب فوديو وفي العام التالي طالبت الحكومة باستقلال
نيجيريا فتم لها ذلك وظهرت جمهورية نيجيريا الاتحادية المستقلة وتولى
رئاسة الجمهورية الدكتور ازيكيوى وبقي الحاج أبو بكر رئيسا للوزارة الاتحادية
بينما كان السيد احمد بوطور رئيسا لحكومة الاقليم الشمالي . ولكن الاستعمار
الذى ساءه أن يكون زعماء نيجيريا الشمالية والحكومة الاتحادية
مسلمين خلافا لما هي في أغلب الدول الافريقية من حكم الاقلية المسيحية
الاجلبية المسلمة فدفع قبائل الايو أنذابه في البلاد الى أن ينفذوا بوحشية
مجزرتهم الرهيبة فقام بعض ضباط الجيش باغتيال الشهيد بين بوبكر تغاوه بلبو
واحمد ويلو ومن قدروا عليه من زعماء المسلمين وضباطهم البواسل في أواخر
رمضان سنة ١٣٨٥ هـ كانون الثاني ١٩٦٦ م وفر المجرمون بعد أن نفذوا
مؤامرتهم واستلم زمام البلاد شريك القتل الجنرال ايرونسي القائد الممام
للجيش ولم يدم الأمر طويلا حتى ثار الجيش النيجيرى على الضباط الخونة
واسترد منهم مقاليد الحكم بعد أن انتقم منهم لزعمائهم .

ولكن الاستعمار الخبيث لم يرضخ لانتصار أبناء البلاد فدفع الاقليم
الشرقي (بيا فرا) الى اعلان انشقاقه عن الدولة الاتحادية ، واستطاع
هذا الاقليم المنشق بمساعدة الدول الاستعمارية وامداداتها المتواصلة
الصريحة او المستترة بالصليب الاحمر أن يقاوم جيش الحكومة الاتحادية
مدة طويلة ولكن مقاومة الانفصاليين انهارت أخيرا في ٥ ذى القعدة ١٣٨٩ هـ
كانون الثاني ١٩٧٠ م وهرب زعيمهم اوجوكو مع أعضاء حكومته ونحن لا نستبعد
أن تظهر الصليبية والاستعمار مرة أخرى في زى جديد لتمثل دورها الخبيث
على مسرح نيجيريا المسلمة .

✽ الحياة الاقتصادية :

نيجيريا بلد زراعي وتقع اكبر المساحات المزروعة في الشمال والجنوب
وأهم المحصولات الزراعية الكاكاو وزيت النخيل والفول السوداني ونيجيريا

غنية بالثروة الحيوانية والغابات .

أما المعادن فأهمها القصدير والكولمبيت (١) والفحم الحجري -

والبتترول ولا تزال الصناعة ضعيفة ولكنها بدأت تتطور بسرعة بعد الاستقلال لأنها تملك اليد العاملة والمواد الأولية والأسواق الكبيرة .

وشبكة المواصلات في البلاد جيدة فهي تملك الطرق المعبدة

والسكك الحديدية وتقوم فيها الملاحة النهرية والبحرية وفيها مطاران

دوليان في كانوفي الشمال ولاغوس في الجنوب .

ووحدة النقد هي الجنيه النيجيري . ويساوي في قيمته الجنيه

الاسترليني :

* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان نيجيريا (٥٥) مليوناً و (٧٥ ٪) منهم مسلمون

والباقيون من الوثنيين والنصارى ويعيش في الاقليم الشمالي اكثر من نصف

السكان ، (٩٩ ٪) منهم مسلمون وهم من قبائل الهوسا والغولا ويعملون

بالزراعة والرعي والتجارة وللدين مكانة كبيرة في نفوسهم ولكنهم لا يزالون

مختلفين سيطر عليهم بعض المعتقدات المنحرفة والعبادات الغريبة والطرق

المنتشرة هناك متناهرة فيما بينها وأهم هذه الطرق التيجانية والقادرية .

والمذهب السائد في نيجيريا ومعظم أقاليم افريقيا هو المذهب المالكي .

وفي كل مدينة امير لا تقام صلاة الجمعة الا في مسجده ولو ضاق على

المصلين .

(١) : يستعمل الكولمبيت خليطاً للغولان لتقوية مقاومته لدرجات الحرارة

المرتفعة عندما يستعمل الغولان في تورينات الغاز ومحركات

الطائرات النفاثة ويستخرج من نيجيريا (٨٠ ٪) من انتاج

الكولمبيت في العالم

وقد عطل الاستعمار خلال حكمه على تجهيل المسلمين لضعافهم وجعلهم عاجزين عن ادارة شؤون بلادهم لذلك نرى أكثر الموظفين—والغنيين في الشمال من الايبو أو البوريين النصارى .

أما اللغة السائدة فهي لغة الهاوسا التي يفهمها أكثر النيجيريين وتعد لغة التجارة في أكثر مناطق السودان وهي تكتب بالحروف العربية أو اللاتينية .

وأما العربية فلا تزال تحتفظ برصيد جيد عند المسلمين انيعدون تعلمها ضروريا لفهم أحكام الدين ولكن الاستعمار الذي أراد أن يقطع أواصر القربى بين المسلمين حارب المدارس العربية حربا لا هوادة فيها . وانشأت مدرسة الشريعة في كانولتخريج القضاة والائمة المسلمين . وهي تهتم اهتماما كبيرا بتعليم اللغة العربية ويتفرع عنها عدد من المدارس الاسلامية .

أما الاقليم الغربي فتسكنه قبائل اليوروبا التي كانت معننة في الوثنية ولكن الوثنية كانت ان تنمحي هناك أمام الاسلام الذي امتد نوره من الشمال والمسيحية التي دخلت مع المستعمرين من الجنوب وقد تأثرت هذه القبائل بالعبادات الأوروبية .

ويعلم هذا المعهد الاسلام والعربية ويؤمها طلبة العلم من نيجيريا والبلاد الافريقية المجاورة .

وقد جاء في أهدافه أنه معهد اسلامي عربي لتعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

وللمعهد فرقة من الجواله تسمى الجواله العربية ويتبعها هذا المعهد (٨٠) مدرسة لتعليم العربية والاسلام .

وأما الاقليم الشرقي فتعيش فيه قبائل الايبو التي تنصر معظمها بتأثير التبشير الذي سبق الى هذه المنطقة ونجح بعون المستعمرين وقد

شغل كثير من أبناء هذا الاقليم مناصب ادارية وعالية في الغرب والشمال وكانوا عوناً للمستعمرين في حكم الاقليم النيجيرية ولكن اهميتهم تضاعفت بعد الاستقلال وانتشار الوعي والثقافة في الاقليميين الشمالي والغربي وقد خلف المستعمر وراءه شعور العداء والبغضاء بين أبناء هذا الاقليم وبقية النيجيريين .

وأما المسلمون في هذا الاقليم فهم قلة . وقد سار التعليم في نيجيريا بعد الاستقلال خطوات واسعة وبخاصة في الاقليم الشمالي الذي ينتظر أن يلحق بركاب الاقاليم الأخرى وفي البلاد اليوم أكثر من ألف مدرسة ثانوية وخمس جامعات ومئات المعاهد لاعداد المعلمين .

أما المدارس العربية في نيجيريا فمع أنها تبلغ (١٥٠) مدرسة تابعة الى مركز غيني في الجنوب أو مدرسة الشريعة في كاتو في الشمال فهي ضعيفة ولا تقف امام العدد الضخم من المدارس التبشيرية المدعومة بالاموال والاختصاصيين الذين يخططون للقضاء على الاسلام في افريقيا .

+++++

الصومال

* الموقع والمساحة والعالم الطبيعية :

تقع جمهورية الصومال شرقي افريقيا ويحدها من الشمال خليج عدن ومن الشرق والجنوب المحيط الهندي ومن الغرب كينيا واثيوبيا (الحبشة) وتبلغ مساحتها (٦٨٥٠٠٠ كم^٢) والبلاد بصورة عامة هضبة بها سهل ساحلي قاحل .

* المدن الرئيسية :

أهمها مقاديش وهي العاصمة والميناء الرئيسي للصومال وتتميز بطابعها الاسلامي الواضح وفيها (١٤٨) مسجدا وكانت مركزا للصومال الايطالي ثم هرجيسه وتقع في الداخل وكانت مركزا للصومال الانكليزي . وكسمالوى ويوزيلع وبربره .

* التاريخ :

كانت الصلة وثيقة منذ القدم بين الجزيرة العربية وبين الصومال وغيره من بلدان شرقي افريقيا وحين جاء الاسلام ازادت الصلة برحلة التجار وبهجرة بعض القبائل التي حملت الدين الجديد الى تلك المناطق وقد انتشر الاسلام انتشارا واسعا في الصومال بين القرنين الرابع والسادس الهجريين وامتد الى داخل البلاد الحبشة النصرانية وقامت في الصومال عدة سلطنات اسلامية أهمها عدل - وايقان - وهرر .

وعندما دخل العثمانيون البلاد العربية بسطوا نفوذهم على الصومال وناصروا سلطانهم الذي كان في صراع مع الأحباش النصارى . وعندما جاء محمد علي باشا الوالي المصرى ضم اليه السودان وبلاد الصومال . وكان الحاكم المصرى لبلاد الصومال يقيم في هرر التي كانت تعد عاصمة الصومال وتبيعها ثلاث محافظات في تاجورة - وزيلع وبربره ولكن الحكم المصرى مالبث ان ضعف بعد محمد علي واشتد الأمر سوءا بعد الاحتلال البريطانى

لـمصر - مما زاد في سيطرة السلاطين المحليين .

وقد أخذ الأوروبيون في تلك الفترة يتطلعون الى احتلال سواحل البحر الأحمر ومضيق باب المندب مما جعل بلاد الصومال نهبا موزعا في أيدي الطامعين عقدت بريطانيا عام ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م معاهدة مع سلطان سومطرة واحتلت بعد ذلك زيلع وسريرة وأخرجت الموظفين المصريين من اقليم هررو وتوسعت في احتلالها حتى بلغت ما عرف بعد ذلك باسم الصومال الانكليزي وعاصمته هرجيسه .

كما عقدت فرنسا معاهدة مع سلطان تاجورة عام ١٣٠١ هـ = ١٨٨٤ م ثم امتد نفوذها حتى شمل ما عرف بالصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي . وأما بريطانيا فقد دخلت الصومال حين استأجرت من سلطان زنجبار مواني* بنادر وعند هاضع السلطان تنازل عن هذه المواني* للإيطاليين . وفي تلك الفترة استولى امبراطور الحبشة على منطقتي هرر - واوغادين وأخذ منطقة اليهود من الانكليز وتكون الصومال الحبشي الذي لا يزال تحت حكم اثيوبيا وقد منحت الحبشة المناطق الداخلية من بنادر للإيطاليين كما تنازلت انكلترا لايطاليا عن منطقة الجوبا السفلى وتشكل ما كان يسمى بالصومال الايطالي وهو أهم الاجزاء الصومالية واكبرها وكانت عاصمته مقاديشو . كما أعطيت كينيا الاراضي الواقعة شرقي بحيرة رود وكوف وهي مسن الاراضي الصومالية .

* مشكلة الحدود :

أهم المشكلات التي يعانيها الصومال مشكلة الحدود مع الحبشة وكينيا وعودة الاقاليم المغتصبة الى الوطن الأم .

أما الحبشة فلا تزال تحتل ما يعرف اليوم بالصومال الحبشي الذي يضم مناطق هررو واوغادين واليهود وهي من أخصب المناطق الصومالية واغناها وقد احتلت الحبشة هذه المناطق بمعاونة الاستعمار الانكليزي والايطالي

وأصبح الملايين من المسلمين تحت سلطان هيلاسيلاسي الحاكم النصراني المتعصب الذي أخذ على نفسه أن يببّد المسلمين في الحبشة والصومال وكان مما قاله في الكونغرس الأمريكي أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية أن أهم الأهداف التي تسعى إليها توحيد الدين واللغة في بلادنا وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئا من التقدم . وهو يريد بذلك افناء المسلمين واستئصال العربية في تلك البلاد الذبيحة وحين سئل عن المسلمين قال : (نعم توجد هناك اغلبيّة مسلمة في الجنوب) ، (اقليم هرر) اعتنقت الاسلام بتأثير الجانب وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عاما فلا يمضي وقت طويل الا وقد عادت الى حظيرة دين آبائنا) وقد قال مثل هذا في خطاب العرش الذي ألقاه عند افتتاح البرلمان الزيف عام ١٩٥٧ م .

وبذلك نرى أن هذه المنطقة تمر بأقصى مراحل الصراع الديني الذي دام قرونا بين الاسلام المنطلق من اقليم هرر وبين دولة النصرانية التي تحصنت في الحبشة .

وأما كينيا التي كانت مستعمرة بريطانية فقد صم اليها الانكليز المناطق الصومالية الجنوبية المجاورة عندما تنازلت عنها ايطاليا للانكليز وحين استقلت جمهورية الصومال طالبت بتسوية الحدود مع كينيا وعرضت اجرا استفتاء لاهناء المنطقة المختلف عليها ولكن جومو كينيا الزعيم الكيني رفض اعطاء الحق لأهله ولا تزال الثورات المحلية قائمة في هذا الاقليم مطالبة بوحدة الصومال الذي يجمع بين أهلاء الدين الواحد والمشاعر المشتركة .

وأما الصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي فان فرنسا التي خيرت مستعمراتها حسب دستور ديغول اقامت انتخابات مزيفة فيه وعطت على

بعضه تابعاً لادارتها ولكن الشعب المسلم استنكر هذا أسلوب .
الاستعماري الجديد وقام يطالب ولا يزال باستقلاله التام
وانضمامه الى جمهورية الصومال وقامت في البلاد اشتباكات واضرابات
كثيرة قمعتها فرنسا بالبطش وقد لجأ الى مقاديشو كثير من الوطنيين
الغارين من ظلم فرنسا وشكوا هناك جبهة تحرير الساحل الصومالي .
* الحياة الاقتصادية :

كانت بلاد الصومال حتى الاستقلال فقيرة ومتخلفة تعتمد على
الأموال الأجنبية في اقتصادها ولكنها بدأت تطور اقتصاديا وترفع مستواه
وبلاد الصومال صحراوية بالدرجة الاولى وفيها مراع واسعة تنمو أعشابها
بسبب الرطوبة الناشئة من مجاورة الساحل وبسبب الامطار الصيفية وتشكل
الثروة الحيوانية المورد الرئيسي في البلاد ويحتل أكثر السكان العرض .
أما الزراعة فتأتي بالدرجة الثانية وتعتمد على مياه الامطار
وعلى الري في الجنوب وعلى ضفاف النهرين شبيلي وجوبا . وأخصب
أراضي الصومال يقع تحت نفوذ الحبشة وأهم المحصولات الزراعية الموز
والفول السوداني والسمسم . ويعمل بعض السكان في صيد السمك
من المحيط الهندي والثروات الدفينة لا تزال مجهولة وقد دلت
الدراسات الاخيرة على وجود البترول .

وأما الصناعة فقد عمل الاستعمار بأنواعه على تخلفها وفي الصومال
طرق معبدة تربط مقاديشو بالمدن الرئيسية وفيها كذلك اربعة عشر
مطارا تستخدم للنقل الداخلي .

والوحدة النقدية هي صومالو وبعادل شلنا استرلينيا واحدا .

* السكان واللغة والتعليم :

يقدر عدد سكان الصومال بحوالي (٣) ملايين نسمة جميعهم من
المسلمين الذين يؤلفون شعبا واحدا له لغته الخاصة وتقاليد الموروثة

وهم من اهل السنة ومعظمهم يتبع مذهب الامام الشافعي . والشعب الصومالي ينحدر من قبائل البانتو الزنجية التي اختلطت بالقبائل العربية المهاجرة من بلاد العرب القريبة . وفي البلاد اليوم جاليات عديدة والحياة القبلية هي السائدة في الصومال والصومالي معروف بتمسكه الشديد بالاسلام وشجاعته وصبره وقوة احتماله المشقات ولا عجب في ذلك فهو ابن الصحراء وقد أظهر أيام الاستعمار ضروبا من الشجاعة وابى الذل ولكن ضعف السلاطين وتفرق الكلمة ووحشية المستعمرين مكنت للاستعمار في البلاد حتى كانت الحركات التحررية الاخيرة التي اجلت رجال الصليبية الطامعة .

وللصوماليين لغتهم الخاصة وهي ليس لها حروف مكتوبة وبحسن كثير من الصوماليين العربية ويخطب بها خطباء المساجد وكثير من الصحف تصدر بعض صفحاتها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الاجنبية التي كانت سائدة في المنطقة ايام الاحتلال .

أما التعليم فهو ضعيف لان الاستعمار بانواعه طبق سياسة التجهيل على ابناء الصومال وحارب الثقافة الاسلامية ولم يبق في البلاد الا كتابات بسيطة تتابع تعليم القرآن الكريم ومبادئ الكتابة بينما افتتح المدارس الاجنبية والتبشيرية التي تلقن الثقافة الاوروبية ولغة المستعمرين وتجنب الصوماليون هذه المدارس ليحفظوا في ابنائهم مقومات امتهم وكانت النتيجة انتشار الجهل والامية في البلاد .

وقد اهتمت الحكومة الصومالية المستقلة بالتعليم فافتتحت المدارس الوطنية الكثيرة في أنحاء الصومال ولكن المدارس الايطالية والانكليزية

لا تزال قائمة .

وقد أنشأت بعض البلدان العربية عددا من المدارس الإعدادية والثانوية ولعل أجمل مدارس الصومال وأكبرها مدرسة المؤتمـنـر الاسلامي ومعهد الدراسات الاسلامية في مقديشو .

- ارتيريا -

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع ارتيريا شرقي افريقيا على البحر الاحمر بين السودان واثيوبيا والصومال وتبلغ مساحتها (١١٩٠٠) كم^٢ .

وتتكون من اقليمين : السهل الساحلي الضيق وتقوم فيه الزراعة والمرتفعات الداخلية وهي جبال صحراوية يمتلئ سكانها الرعي .

* المدن الرئيسية :

اهم المدن الرئيسية اسمره وهي العاصمة وتعد من المدن الجبلية ثم مصب ومصبوع وهما ميناءان على البحر الاحمر .

* التاريخ :

عرفت ارتيريا الاسلام زمن الهجرة الاولى حين استقبل عثمان بن عفان وصحبه رضي الله عنهم ثم فتحت أيام الامويين وضمّت الى الدول الاسلامية وقد ظلت تحتفظ بسيادتها في ظل الاسلام وحين دخل العثمانيون البلاد العربية في القرن العاشر احتلوا ميناء مصبوع وقسم كبيراً من ارتيريا ثم خلفهم المصريون في حكم البلاد وفي عام ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م غسّروا الايطاليون اراضي ارتيريا فذاق الارتيريون المر في هذا الاستعمار الوحشي وحين هزم الايطاليين في الحرب العالمية الثانية واخرجوا من ارتيريا حل محلهم الانكليز . ثم وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اقتراح الولايات المتحدة الامريكية الذي يقضي باتحاد ارتيريا مع الحبشة اتحاداً فيدرالياً على أن يبقى لارتيريا استقلالها الذاتي فتم ذلك سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٥٢ م وخافت حكومة الحبشة من أن يطالب المسلمون في ارتيريا والحبشة بحقوقهم اذا قامت في البلاد حياة دستورية لمشروع الامم المتحدة فاغتالت شروط الاتحاد واعلنت سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م

ضم ارتيريا نهائيا الى امبراطوريتها متجاهلة قرار الامم المتحدة . وقد عملت حكومة الجبشة متعاونة مع الاوروبيين والهيئات التبشيرية على سحق الاسلام في تلك البلاد ، فاغلقت جميع المدارس الاسلامية ومنعت تدريس اللغة العربية وازعفت معهد اسموا الديني وهو المعهد الاسلامي الوحيد في البلاد كما حصرت التوظيف في الاقلية المسيحية والفت الاحزاب الاسلامية وكنت الافواه وملأت السجون والقبور بالمسلمين والثائرين على التعسف والظلم ولكن الارتيريين المسلمين لم تضعف مقاماتهم بل استمروا في جهادهم متحدين الاعمال الوحشية التي يقوم بها سبط يهودا وحامسي النصرانية في افريقيا هيلاسيلاسي ولا تزال جبهة التحرير الارتيريانية تقوم بجهد كبير في فضح جرائم الصليبية الحاقدة والتعبير عن آمال المسلمين في الخلاص من الاستعمار الحبشي الخبيث وهي تطلب من الامم المتحدة بالحاح ارسال لجنة حيادية للتحقيق في الشكاوى الموجهة ضد الحبشة والتأكد من رغبة الشعب الارتيري في الحرية والاستقلال .

* الحياة الاقتصادية :

تقوم الزراعة في السهل الساحلي الضيق معتمدة على مياه الامطار أما الداخل فمعظمه جبال صحراوية لا تصلح للزراعة في الاجزاء القليلة التي يصيبها قدر كاف من المطر لذلك يقوم فيها الرعي . ويمتكن اكثر السكان تربية المواشي كجيرانهم الصوماليين . ولا تيريا أهمية تجارية لوقوعها عند مدخل البحر الاحمر وهي المنفذ البحري الوحيد للجبشة ومعظم تجارتها تخرج عن طريق ميناء مصوغ ثم ميناء عصب وهناك خط حديدي يصل بموضوع مركز الادارة أسمرأ ومنها الى اجوردات حيث يتفرع نحو الجنوب ونحو حدود السودان .

* السكان واللغة :

يبلغ عدد سكان ارتيريا (٢٥) مليون نسمة (٧٥ ٪) منهم مسلمون والباقيون من النصارى الاقباط ومعظم السكان رعاة يعملون مع الرعي في جمع

"اثيوبيا"

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تحد اثيوبيا من الشمال ارتيريا ومن الشرق الصومال ومن الجنوب كينيا ومن الغرب السودان وتبلغ مساحتها حوالي مليون كم^٢ . وهي بلاد جميلة وعرة يصعب الانتقال فيها وتسقط فيها صيفا أمطار غزيرة يذهب قسم منها الى بحيرة تانا في الشمال الغربي حيث ينبع النيل الازرق .

* المدن الرئيسية :

أهم المدن الرئيسية اديس أبابا العاصمة ، وهي مدينة تجارية وفيها تنتهي سكة الحديد التي تربط الداخل بالبحر ، ثم هررود وودوا وهما أهم مدن المسلمين في اثيوبيا وهي مشهورة بكنائسها الكثيرة .

* التاريخ :

اثيوبيا كلمة يونانية تعني الوجه المحروق وقد عرف العرب هذه البلاد باسم الحبشة نسبة الى قبيلة عربية هاجرت اليها عبر البحر الاحمر . وكان سكان اثيوبيا القدماء يهودا ثم دخلوا في المسيحية في القرن الرابع الميلادي وارتبطوا بالاقباط في مصر .

وملكت اثيوبيا قبيل الاسلام اليمن وبنى أبرهة الاشرم الحبشي الكنيسة بصنعاء ليصرف الناس عن بيت الله الحرام اليها ، ثم كان ما كان من أعراض اليمن عن ذى الكنيسة واحدا منهم فيها وغضب أبرهة وتوجه مع جيشه أصحاب الفيل لهدم الكعبة وضلال كيده وهلاكه .

وحين جاء الاسلام شق طريقه في أيامه الأولى الى الحبشة فقد هاجر اليها المسلمون الاولون هجرتهم الاولى . ووجدوا في نجاشيها حاميا لهم وراضيا بدعوتهم ، ان قال عن آيات الله التي سمعها ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرن من مشكاة واحدة ومضت القرون الهجرية

الاولى والاسلام يأخذ طريقة ببطء الى نفوس الاحباش عن طريق التجار المسلمين الذين أينعت ثمراتهم في ارتيريا والصومال وأطراف اثيوبيا ، وما انتهى القرن الخامس الهجرى حتى كانت في تلك البقاع ممالك اسلامية مزدهرة وأخذ حكام الحبشة النصارى في تلك الفترة باضطهاد المسلمين وأشعلوا معهم حروبا ضارية استمرت خمسة قرون ولكن مد الاسلام لم يتوقف وفي القرن العاشر الهجرى قام بعض السلاطين المسلمين في الصومال بغزو اثيوبيا واخضاع كثير من أراضيها فدخل في الاسلام على أيديهم خلق كثير ، كان فريق منهم يتظاهر قبل ذلك بالنصرانية خوف البطش والاضطهاد . واستنجد حكام الحبشة النصارى بالبرتغاليين اخوانهم في الدين حين ظهروا في البحار فحقوا لنجدتهم وصدا جيوش المسلمين ولكن الاسلام ظل يأخذ طريقه الى قلوب الكثير من الاثيوبيين على خوف من النجاشي وملائمتهم ان يغنمهم فهاقص مضاجع كثير من المسيحيين في اثيوبيا وخوفهم من ان يصبح المسلمون اكثرية في الحبشة وعندما تشوفت الدول الغربية الى حكم الحبشة حاولوا التقرب من ملكها منليك الثاني وأمدوه بالاسلحة الحديثة مقابل اعترافه بمناطق نفوذ لهم على البحر الاحمر واستغل منليك الفرصة وأخذ يبتلع الممالك الاسلامية ويوسع رقعة اثيوبيا على حسابها وبذلك ظهرت الامبراطورية الاثيوبية بحدودها الحالية . بعد أن كانت تحكم رقعة صغيرة وقد رافق احتلال هذه الممالك كثير من الأعمال الوحشية من قتل وسلب حتى كسرت شوكة المسلمين وقضي على سلطانهم في تلك البقاع وجاء الامبراطور ليچ ياسوع بعد موت منليك فرفع الاضطهاد عن المسلمين حتى قيل أن اعتنق الاسلام ولكن حكمه لم يدم غير ثلاث سنوات ان برأ البابا المسيحيين من قسم الطاعة له وغلب ليچ ياسوع على أمسه وجاءت بعده ابنة يتو ابنة منليك ، ثم الرأس الذي صار امبراطور اثيوبيا ولقب بهيلا سيلاسي سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠ م .

* الحياة الاقتصادية :

أهم صادرات اثيوبيا الحبوب والبن والعسل والجلود والذهب ومواصلاتها الداخلية صعبة ومتخلقة وأهم صلة لها بالعالم الخارجي سكة الحديد الوحيدة من اديس أبابا الى جيبوتي وقد ملكت بمقدار تسلطها على ارتيريا ميناءين هاميين على البحر الاحمر وهما مصوع وهسب.

* السكان واللغة والتعليم :

يعيش في اثيوبيا اليوم حوالي (٢٢) مليوناً و ٦٠ ٪ منهم مسلمون والباقيون من النصارى والاقباط وفيهم بعض اليهود والوثنيين والسكان متحف للشعوب المختلفة في الدين واللغة والجنس والعادات ولا يزيد الاثيوبيون الا صليون على ثلث سكان اثيوبيا الحالية ويسكنون المناطق الوسطى والشمالية ومعظمهم من النصارى والاقباط وهم مرتبطون بالكنيسة المصرية ولا تزال فيهم آثار واضحة من عادات اليهود وشعائهم الدينية وتكثر الكنائس في اثيوبيا .

كما يكثر رجال الدين ومعظمهم جهال منحلل الاخلاق لا يتعففون عن اتيان المنكرات ظناً منهم ان الله يغفر ذنوبهم .

المسلمون فيسكن اكثرهم في الشرق (الدناقل) والجنوب الشرقي (اراضي) الصومالية المختصة والجنوب (الجالا) وفي أقصى الشمال الغربي (حيث تعيش بطون من القبائل السودانية) . ويعيش معتلهم على شكل قبائل .

والحبشي بوجه عام ثبت قوى الاعصاب بارد المزاج ، قل ان يهيجه غضب أو يستخفه طرب وهو في اكثر حالاته مهذب يحتفظ في كلامه ولكنسه معروف بالمكر وحسن الحيلة . مشهور بزخرفة القول وتمويهه وهو يحسب الحرب ويصبر على اذائها يقسو على حيواناته ويقيمها على الخسف ويبذل خدمه ويروضهم على الضيم .

وكان الاثيوبيون النصارى الى عهد قريب يسومون اسراهم سوء العذاب

ويقتلون اعداءهم وخصوصهم صبرا بعد أن يمثلوا بهم تمثيلا وحشيا . ومن عاداتهم الغريبة أكل اللحم النقي ، وهم مولعون بمعاقرة الخمرة وذاشربوا سكروا غابت احلامهم وفقدوا اخلاقهم وركبوا رؤوسهم ومالوا الى الشر فتشامتوا وتنايدوا باللقاب وتبادلوا الركل واللكم والطعن بالمدى . لذلك يفضل الرحالون الغربيون استخدام المسلمين الاثيوبيين في تجوالهم في ربوع اثيوبيا المختلفة لتجنبهم الخمر ولا نهم أهدى وأصدق قيلا واقوم لذلك سبيلا .

أما اللغات في اثيوبيا فكثيرة متعددة تعدد الاجناس والقبائل وأشهرها .

الأمهرية وهي لغة الاحباش وقد جعلتها الدولة اللغة الرسمية كما جعلت الانكليزية اللغة الثانية وهي لغة التعليم للاطفال بعد سن التاسعة

وتصدر الجريدة الرسمية باللغتين

الامهرية والانكليزية . اللغة العربية وهي منتشرة في المناطق الاسلامية وقد كانت لغة الثقافة والتجارة تدرس في المدارس الكثيرة المنتشرة في أنحاء البلاد ولكنها صارت الآن مطاردة تخالف سياسة الدولة فسي القضاء على الاسلام ولغته .

أما معاملة هيلاسيلاسي المسلمين فهي معاملة ملؤها الجور والحقد ومع ان الامبراطور معروف برقته في معاملة شعبه فهو يتابع مع المسلمين سياسة سلفه منليك وقد أخذ على نفسه كما صرح اكثر من مرة ان يقضي على الاسلام في الحبشة ويعيد في امبراطوريته دولة الحبشة النصرانية القديمة التي تجسد فيها الاحقاد الصليبية في موقفها ضد المدا اسلامي في افريقيا .

وقد اجتمع سنة ١٩٦٣ بأديس أبابا معظم رؤساء الدول الافريقية لتنسيق العلاقات بينها وانتهى المؤتمر الى انشاء منظمة الوحدة

الافريقية .

" السنغال "

✽ الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع على ساحل الاطلسي وتحد في الشمال موريتانيا وفي الشرق مالي وفي الجنوب غينيا وتبلغ مساحتها (١٩٧٠٠٠) كم ٢ .
وتتألف بصورة عامة من سهول تخترقها اخاديد حفرتها أنهار
السنغال .

✽ المدن الرئيسية :

(دكار) وهي العاصمة ، وسانت لويس ، وروفيك وكاولاك .

✽ التاريخ :

دخل الاسلام الى السنغال من الشمال بعد انتشاره في مراكش وموريتانيا وقد كانت السنغال خلال القرنين السابع والثامن الهجريين جزءا من امبراطورية مالي الاسلامية التي اتخذت عاصمتها تمبكتو، ومدت سلطاتها على مناطق واسعة في بلاد السودان الغربي وكان لها فضل كبير في نشر الاسلام وتثبيت دعائمه في معظم بلاد التكرور وقد وصل البرتغاليون الى سواحل السنغال في القرن التاسع الهجري طمعا في الذهب ثم نازعهم الانكليز ثم الفرنسيون الذين اقتصروا احتلالهم حتى أواخر القرن الماضي على الخط الساحلي وجعلوا منه قاعدة لعملياتهم الحربية في غربي افريقيا . وفي مطلع هذا القرن الهجري انهب الفرنسيون حكم قبائل الغولانيين المسلمين وضموا الاقاليم الى المستعمرات الفرنسية ومن بلاد السنغال امتد الاستعمار الفرنسي الى اواسط افريقيا، وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية عندما اشتعلت الثورات التحريرية في الاقطار الافريقية هبت هذه الاقطار تطالب باستقلالها وتمج المستعمرين عرض ديفول على المستعمرات الفرنسية في افريقيا . دستور الذي يخير الاقاليم المستعمرة بين أن تتمتع بالاستقلال الداخلي وتبقى أعضاء في مجموعة الشعوب الفرنسية فتكون السلطة المركزية لفرنسا

في الدفاع والاقتصاد والشؤون الخارجية وبين ان تحصل هذه الاقاليم على الاستقلال التام وعند ها تقطع عنها فرنسا كل معونة، وقد جرى الاستفتاء في هذه الاقاليم وكانت طاقاتها محدودة بعد أن سلبها الاستعمار الطويل كل قدرة ففضل بعضها أن تبقى ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية لأنها تقطع عنه فرنسا عونها المادي والفني .

وكانت السنغال جزءاً من افريقيا العربية الفرنسية حين ارادت فرنسا التخلي عن هذه البلاد جزأتها الى دول عديدة ومنها جمهورية السنغال التي رضيت ان تكون عضواً بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا وكونت اتحاداً مع مالي لم يكتب له طول العمر فانحل الاتحاد وأصبحت السنغال جمهورية مستقلة ولكنها بقيت مرتبطة بفرنسا وذلك عام ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م وتولى رئاستها ليوبراد ساخور الحاكم الحالي .

* الحياة الاقتصادية :

السنغال بلد زراعي واهم مزرعاته الغول السوداني والذرة الافرنجية وترعى فيه الابقار والاعنام ولكنه يستورد ما ينقصه منها من موريتانيا . وتصاد الاسماك بكميات جيدة من سواحل الاطلسي وأهم المعادن المستخرجة فوسفات الكلسيوم وفوسفات الالمنيوم اما الصناعة فأهمها مصافي زيست الفستق في منطقة دكار ثم الاسمنت والنسيج وتعليب الاسماك وفي البلاد طرق معبدة حديثة وسكك حديدية تربط العاصمة دكار بالمدن الكبرى كما تصلح الانهار للملاحة الى حد ما . وتعتبر دكار اكبر ميناء في غربي افريقيا . ووحدة النقد هي الفرنك الجديد ويساوي الدولار الأمريكي (٢٤٦٨٥٣) فرنكا .

* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان في جمهورية السنغال (٣) ملايين نسمة (٩٥ ٪) منهم مسلمون والباقيون من الوثنيين والنصارى الافريقيين

والأوروبيين . ويتكلم السكان لغات متعددة بحسب قبائلهم والفرنسية هي اللغة الرسمية وقد كانت السيادة للإسلام في هذه البلاد ولكن الاستعمار الفرنسي حين دخلها وكسر شوكة المسلمين فيها عمل بالتعاون مع الرسائل التبشيرية على نشر النصرانية والمدنية الأوروبية ، كما جعل لغته الفرنسية لغة الإدارة والتعليم في المدارس .

وقد قامت الرسائل التبشيرية بفتح المدارس الأجنبية فأنها لأبناء الفرنسيين والوثنيين وبعض المسلمين الذين رغبوا فيما عندهم المستعمرون من ثقافة ووظائف إدارية ولا تزال هذه الرسائل تشرف حتى اليوم على أكثر المدارس في الجمهورية ففيها حوالي (٧٠) مدرسة ابتدائية وخمس ثانويات من أصل خمسة عشر مدرسة للدولة . أما جامعة دكار فتقوم بنشر الثقافة الأوروبية وقد قاطع المسلمون المدارس الأجنبية خوفا على نفوس أبنائهم من أن تفسد ها سموم المستعمرين ولكنهم عجزوا في الوقت نفسه عن نشر الثقافة الإسلامية والمحافظة على حيويتها مما كان له أثر واضح في تخلفهم وغيابهم عن المسرح السياسي والاجتماعي .

وحين اضطر المستعمرون إلى أن يسلموا مقاليد الحكم إلى أبناء البلاد رأوا في تلاميذهم من أبناء السنغال الذين تربوا في مدارس الميسرين أقرب الناس إليهم فأسلموها أكثر المناسب الإدارية والغنية وما يزال الرئيس ليوبولد سنغور يحكم الأكثرية من أبناء السنغال .

* مالي :

الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع جمهورية مالي في أفريقيا الغربية ويحدها من الشمال الجزائر وموريتانيا ومن الشرق النيجر ومن الجنوب فولتا العليا وساحل العاج وغينيا ومن الغرب السنغال . وتبلغ مساحتها (١٢٠٤٠٠٠) كم^٢ يشكل شمالها جزءا من الصحراء الكبرى بينما يجرى في جنوبها الخصيب نهر النيجر والسنغال .

* المدن الرئيسية :

باماكو وهي العاصمة وكاس وسيفو .

* التاريخ :

بدأ الاسلام بعد أن تمكن من شمال افريقيا يتسرب عبر الصحراء الي افريقيا الغربية تدريجيا ولكن أعظم انتصار احرزه الاسلام في تلك الاقاليم كان في القرن الخامس الهجرى على يد المرابطين الذين تزعموا حركة الاصلاح البربرية وحملوا راية الجهاد . فقد هجر المصلح البربري عبد الله بن ياسين المسجد الذى كان قد بناه في جزيرة السنغال الادنى وراح يدعو ببرابرة ادرار (في موريتانيا) وزوج تكرر الى اعتناق الاسلام فاعتنق ملك تكرر وأسرته الدين الاسلامي وتبعه بعد ذلك مائدينغ (مالي) الذى كان يقطن النيجر العليا كما اعتنق الاسلام في تلك الفترة ممالك سونغاي في منطقة غاو في أواسط النيجر وبعد أن حرر هذا المصلح عبد الله من قبيلة لمتونه باحتلال كومبي عاصمة امبراطورية غانا ، وقضى على نفوذها في تلك المنطقة .

وفي القرن السابع الهجرى قامت مملكة مالي الاسلامية وبسطت نفوذها على بلاد تمبكتو وأراض واسعة حول النيجر الوسطى كما قامت في هذه المنطقة بعد ذلك امبراطورية غاو السونغية ثم ازدهر الاسلام في بلاد افريقيا الغربية في مطلع القرن الماضي على يد المصلح النيجرى الكبير عثمان دان بوالذى بدأ بنشر الاسلام ما بين النيجر وتشاد وأسس امبراطورية سوكوتو . وقد خلفه في عمله العظيم سيكو حماد وسارى توكولور حاج عمر الذى نشر الاسلام في كثير من البلدان الافريقية ثم حارب الفرنسيين الذين كانوا يحملون بسط نفوذهم في المنطقة ولكن حين قتل الحاج عمر لم يتمكن ابنه من الوقوف في وجه الزحف الفرنسى وكذلك حين حاول سامورى امام غينيا تأسيس امبراطورية اسلامية تضم السنغال وفولتا العليا تغلب عليه الفرنسيون وأسروه .

وفي مطلع هذا القرن استطاع الفرنسيون بقواتهم التي كانت قد تمكنت على الساحل الغربي من بلاد السنغال ، بسط نفوذهم على ما يسمى اليوم بلاد النيجر وداهومي وفولتا العليا وساحل العاج ومالي وغينيا وموريتانيا والسنغال ، وقد عرفت هذه البلاد أيام الاستعمار بافريقيا الغربية الفرنسية وفي عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م . شكل الفرنسيون في منطقة مالي الحالية اقليما سموه (السنغال العليا والنيجر) ثم استبدلوا به اسم (السودان الفرنسي) .

* الحياة الاقتصادية :

من المحصولات الزراعية في مالي الرز والفلو السوداني والقطن . ومن موارد البلاد المواشي الكثيرة وجلود الحيوانات البرية . والاسماك التي تصاد في نهري النيجر والسنغال وأشجار الصمغ والملح الذي يستخرج بكميات كبيرة من مدينة **اللا** شمالي تمبكتو . وتقوم الصناعة على المنتجات المحلية . وفي مالي كثير من الطرق المعبدة . وسكة حديد تربط العاصمة باماكوبكي من كوناكري (عاصمة غينيا) وابيدجان (عاصمة ساحل العاج) ووحدة النقد هي الفرنك الجديد .

* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان مالي (٥٤) مليون نسمة (٦٠ ٪) منهم مسلمون والباقيون اكثرهم من الوثنيين ويحتوي السكان الى عدد من القبائل أهمها بشارا ولكل قبيلة لغتها الخاصة بها وبعض هذه اللغات تكتب بحروف عربية لكن الفرنسية هي اللغة الرسمية وقد حاول الاستعمار نشر ثقافته الاوروبية ولغته الفرنسية على حساب العلوم الاسلامية واللغة العربية وفي الماضي اليوم بعض الكتابيب التي تلقن مبادئ القراءة والكتابة العربية والدين الاسلامي وقد افتتحت الحكومة عددا من المدارس الابتدائية والثانوية والغنية ، ومع ذلك فلا يزال التعليم ضعيفا . وليس في مالي جامعات انهمضي الطلبة الى داكار وغيرها لمتابعة تعليمهم العالي .

"النيجر"

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تجاور جمهورية النيجر في الشمال الجزائر وليبيا . وفي الشرق تشاد وفي الجنوب نيجيريا وداهومي وفي الغرب فولتا العليا ومالي ، وليس لها منفذ على البحر وتبلغ مساحتها (١٨٨٧٩٤) كم ٢ .
يؤلف القسم الشمالي والوسط من أراضي النيجر جزءا من الصحراء الكبرى ويقوم الرعي على أطراف الصحراء ، أما في الجنوب الغربي حيث يرويه نهر النيجر وفي المناطق الممتدة شرقا حتى بحيرة تشاد فتقوم الزراعة التي تعتمد على الري ومياه الأمطار .

* المدن الرئيسية :

نيامي وهي العاصمة وزندروتاهاو

* التاريخ :

تسرب الاسلام عن طريق دعائه المخلصين الى ارض النيجر وغيرها من بلاد السودان في القرون الهجرية الاولى وما جاء القرن الخامس حتى كانت البلاد تحت حكم زعماء الهاوسا والطنوارق المسلمين وفي القرن العاشر الهجري دخلت بلاد النيجر في ظل امبراطورية غاوا السونغية .
وفي مطلع القرن الماضي دانت البلاد للزعيم الديني الكبير عثمان دان غوديو الذي نشر الاسلام في تلك البقاع . وفي هذا القرن الماضي تطلع المستعمرون الاوروبيون الى امتلاك الاقطار الافريقية واستغلال خيراتها . وسترخوا نواياهم الاستعمارية بدعوى السياحة واكتشاف منابع الانهار ومجاهل البلاد . وهم يريدون بذلك ان يتعرفوا على طبيعة الارض ومساكنها ليسهل عليهم غزوها ، كما زعموا أنهم يحبون نشر الحضارة في البلاد المتخلفة وتعليم الافريقي الاخذ بأسلوب وأسباب المدنية

الحدیثة . وهم يريدون في الحقيقة افساد الاخلاق واصطياد العواطف
وشراء الانصار والعملاء وقد تعاون رجال الكنيسة مع الاستعمار كما هو
معروف وقد استطاع المبشرون أن يجعلوا كثيرا من سكان البلاد عبيدا
يسلمون بلادهم ومقاليدهم لسادتهم الذين يحملون اليهم الانجيل
يفتحون لهم بزمعهم ابواب الجنة ، فكانوا كما قال بعضهم : اعطونا
الانجيل وسلبونا الارض ، تركونا ننظر الى السماء بينما كانوا هم ينظرون
الى ما في ايدينا . وهذا ما حدث في النيجر وغيرها من البلدان الافريقية
في مطلع هذا القرن الهجري مضى الخبراء الهريطانيون لاستكشاف نهر
النيجر والتقوا بابن عثمان دان فوريو وعادوا بأول دراسة دقيقة للمنطقة
ثم تبعهم الفرنسيون ثم كانت المعاهدة الانكلو فرنسية التي اتفقت فيها
الدولتان المستعمرتان على حدود النيجر وتعاونتا طويلا على اخضاع
المنطقة حتى تم للفرنسيين احتلال بلاد النيجر نهائيا . وحين فازت
معظم الشعوب الافريقية حديثا باستقلالها أصبحت النيجر جمهورية
مستقلة ضمن الرابطة الفرنسية . وتولى رئاستها السيد ديوري هاماني
زعيم الحزب التقدمي النيجري ثم انفصلت عن الرابطة الفرنسية ونالت
استقلالها التام عام ١٢٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ولا يزال السيد ديوري هاماني
حاكم النيجر وحزبه يحتل كافة مقاعد المجلس التشريعي .
وهناك روابط دينية وتاريخية وثيقة تربط النيجر بنيجيريا الشمالية .

* الحياة الاقتصادية :

تقوم الزراعة في جنوب النيجر واهم المزروعات القطن والذرة والفول
السوداني . أما الرعي فيقوم في الوسط وتصدر النيجر عدا كبييرا
من المواشي الى نيجيريا .
وأهم المعادن القصدير ثم السفيث وخام الحديد . ولا تزال
الصناعة خفيفة واهمها صناعة الجلود واستخراج الملح .

هناك شبكة من خطوط المواصلات مع الدول المجاورة وفي ميامي مطار دولي . أما نهر النيجر فيصلح للملاحة في بعض شهور السنة .
ووحدة النقد في النيجر هي الفرنك الجديد .
* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان النيجر حوالي (٣) ملايين نسمة (٨٩ ٪) منهم مسلمون . ومعظم السكان من قبائل الهوسا والسنگال والطوارق ، وكلهم مسلمون .
ولكل قبيلة لغتها الخاصة . ولكن لغة الهوسا هي اللغة التجارية السائدة بين السكان والفرنسية اللغة الرسمية في البلاد .
وقد عمل الفرنسيون كمعادتهم على ان يتركوا أبناء البلاد متخلفين في كل مجالات الحياة ولم يقوموا بنشر التعليم الا ما كان منه في مدارسهم التي تعلم الفرنسية والثقافة الأوروبية البعيدة عن شخصية أبناء البلاد الأصلية . ولا تزال المدارس الآن قليلة لا تفي بحاجة السكان .
كما أن التعليم العالي غير موجود وهناك بعض الطلاب من النيجر يتابعون دراستهم العالية خارج البلاد .

××××××××××

تشاد

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع جمهورية تشاد في افريقيا الاستوائية وتجاوز في الشمال ليبيا ، وفي الشرق السودان وفي الجنوب جمهورية افريقيا الوسطى ، وفي الغرب الكمرون ونيجيريا والنيجر وتبلغ مساحتها (١٢٤٠٠٠ ر ١) كم ٢٠٢ . ويمتد في البلاد سهل فسيح تخترقه اودية أنهر شاري ولوتجون وبحر الفزال مع حوض ترسيبي ينحدر تدريجيا وينتهي ببخيرة تشاد .

* المدن الرئيسية :

أهم المدن (فورت لامي) وهي العاصمة ثم فورت تشامبولت وموندو .

* التاريخ :

وصل الاسلام الى تشاد مع التجار المسلمين الذين كانوا يقبلون من الشمال عبر الصحراء او من مصر عبر السودان ، ومنذ القرن الخامس الهجري قامت في هذه المناطق ممالك اسلامية اتسع نفوذها حتى شمل البلاد كلها .

وفي مطلع هذا القرن الهجري كانت هناك مملكة اسلامية واسعة في هذه المنطقة تضم معظم اواسط السودان ويرأسها السلطان عبد الكريم . وفي هذه الفترة كان الفرنسيون قد تمكنوا من شمال وغرب افريقيا وبدأوا غاراتهم على اواسط افريقيا وعقدوا معاهدات مع بعض سلاطينها وقد تصدى لهم أبناء السلطان عبد الكريم وكان قائد قواتهم الامير رابيح الذي تصدى للجيش الفرنسي لوطيلا ، وفي احدى المعارك معهم قتل القائد الفرنسي ليرجي الذي سميت كبرى مدن تشاد باسمه ، استطاع الفرنسيون بعد استشهاد الامير رابح دخول تشاد والانتقام من أبناءها المسلمين ، وقد قتلوا بالسا طور في مذبحه كبكب وحدها (٤٠٠) عالم وأخذوا بتنفيذ سياستهم الاستعمارية المغيضة في القضاء على السروح

الاسلامية في حياة التشاديين وفي سنة ١٩٥٨ أجرت انتخابات في البلاد أصبحت تشاد بموجبها عضوا في مجموعة الشعوب الفرنسية ثم استقلت عنها عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م وأصبح فرانسوا تمباي رئيسا للجمهورية مع احتفاظه برئاسة الوزراء . وفرانسوا تمباي من الحزب التقدمي التشادي الذي قام في البلاد برعاية فرنسا وتمكينها ليكون وصيا على المصالح الاستعمارية بعد خروج الفرنسيين وقد عقد تمباي مع فرنسا معاهدات فنية واقتصادية ودفاعية ، كما فتح الباب لدولة اسرائيل لتغزو البلاد اقتصاديا وسياسيا . وقد هب المسلمون التشاديون يقاومون هذا الاستعمار الجديد . وأسسوا أخيرا جبهة التحرير الوطني التشادي (فرومينا) التي بدأت - المقاومة الشعبية المسلحة من داخل البلاد وكادت تطيح بحكومة تمباي لولا أن استنجد بسادته الفرنسيين فأنجدوه بطائرات حربية تحمل أسلحة هدامة حاولت القضاء على الثوار أبناء البلاد ، ولكنها لم تستطع ، وقد واصل المجاهدون مقاومتهم وسيطروا على مناطق واسعة من البلاد . ومن المؤسف ان الدول الاسلامية الافريقية المجاورة لا تساعد الثوار المسلمين في تشاد او غيرها ولا ترضى ان تقاوم حكومة تمباي وأمثاله ممن المتسلطين على رقاب المسلمين في افريقيا بحجة انتمائها جميعا الى منظمة الوحدة الافريقية هذه المنظمة التي قامت لتحمي الحكام لا الشعوب - المحكومة ، وسكتت عن جرائم هيلاسيلاسي في مسلحي الحبشة وارثيريا ووقفت موقف المتفرج من ذبح زعماء المسلمين في نيجيريا .

* الحياة الاقتصادية :

في تشاد طبيعة كافية لأن تكون مخزن الحبوب في افريقيا ومع ذلك فتشاد اليوم بلد فقير حافظ الاستعمار على فقره وبقاء محتاجا للمساعدات الفرنسية . ولا تزال الزراعة بدائية وأهم المحصولات القطن والرز (الذرة الرفيعة) وفي البلاد مراع واسعة تربي فيها الاغنام وغيرها .

كما أن الاسماك تصاد بكمية كبيرة من بحيرة تشاد . أما المعادن وأهمها البترول الذي اكتشف أخيرا في الصحراء . وطرق المواصلات قليلة وتمكن الملاحة في الانهر لبعض اشهر السنة . ووحدة النقد هي الفرنك التشادي .

* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان في تشاد (٣) ملايين نسمة (٨٨ ٪) منهم مسلمون و (١٠ ٪) وثنيون و (٥ ٪) نصارى ويعيش معظم السكان على الزراعة والرعي وصيد الاسماك وتثيقت تقاليد الشعب وآدابه الاجتماعية من الاسلام فهو شعب كريم وشجاع يتفانى في الدفاع عن بلاده كما أنه عرف بحبه للصيد .

* التحرر الوطني التشادي :

ويتكلم التشاديون اللغة العربية مشوبة باللهجة السودانية بالإضافة الى اللهجات المحلية المختلفة وقد كانت العربية منذ قرون لغة الثقافة عند جمهور المسلمين ولكن الفرنسيين الذين حكموا تلك البلاد حاربوا المدارس العربية وعطلوا على سيادة لغتهم بين المثقفين . أما التعليم فلا يزال ضعيفا في تشاد .

ان عمل الفرنسيون على تجهيل المسلمين وقصروا التعليم على الذين اعتنقوا المسيحية ولا تزيد نسبة المتعلمين في البلاد على (٣ ٪) من السكان وليس في تشاد اليوم الا مدرسة ثانوية واحدة وثلاث مدارس فنية ومعهد للمعلمين . ونظام التعليم في البلاد لقد عمل الاستعمار الاوروبي في تشاد وغيرها على خفض مستوى المسلمين ، وأبعد وهمهم عن الميادين السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية واستمر طويلا يعمث في الأرض فسادا الى أن استيقظ الافريقي من غفلته وهرب كالأعصار الأسود لا يبقئ ولا يذر ولم يجد الاوروبيون بسد من

التخلي عن مستعمراتهم فخرجوا من أكثرها في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ولكن هذا الاستقلال الذي نالته البلاد الإسلامية في أفريقيا لم يكن كاملا فقد خلف الاستعمار في بلاد المسلمين جراحا عميقة لم تندمل بعد إذ ترك أبناؤها يعانون الجهل والفقر والحرش ومكن للأقلية التي تعلمت في مدارسها أن تتحكم بالأغلبية وتعيث بقدراتها .

+++++

تانزانيا وتنجانيقا وزنجبار

* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع تنجانيقا وزنجبار شرقي افريقيا ويحد تانجانيقا من الشمال اوغندا وكينيا ومن الشرق المحيط الهندي ومن الجنوب موزامبيق ونياسالا ندروديس الشمالية ومن الغرب الكونغو وتكون بحيرات فكتوريا وتنجانيقا وتياسا أجزاء من حدودها . وتبلغ مساحتها (٨٠٠ ر ٨٩١) كم ٢ وتتألف أراضيها من سهل ساحلي ضيق وهضبة عالية في الوسط ذات منحدرات شديدة على طرفيها الشرقي والغربي .

أما زنجبار فجزيرة تقع في المحيط الهندي تجاه ساحل تانجانيقا وكانت تؤلف مع جزيرة بامبا القريبة لسلطنة زنجبار وتبلغ مساحتها (٢٦٥٢) كيلو متر مربع .

* المدن الرئيسية :

أهم المدن زنجبار عاصمة زنجبار وهي ميناء هام يقع على الساحل الغربي للجزيرة وسكانها خليط من الافريقيين والهنود والباكستانيين والعرب والاروبيين ودار السلام عاصمة تانجانيقا وجمهورية تانزانيا وفيها مطار دولي وميناء هو أهم موانئ الجمهورية .

* التاريخ :

كان لتانجانيقا وزنجبار منذ القديم أهمية تجارية وكان صلتها وثيقة بجزيرة العرب والهند وحين جاء الاسلام شق طريقه الى ساحل افريقيا الشرقي مع التجار المسلمين الذين مضوا تجارا ودعاة الى الله وسرعان ما قامت دويلات اسلامية على طول هذا الساحل . ففي القرن الخامس الهجري حكمت هناك امبراطورية الزنج الاسلامية التي اتخذت عاصمتها كيلوا ومدت سلطانها على طول الساحل الشرقي من افريقيا ووقعت تلك

المناطق تحت رحمتهم حتى ازاحهم عنها سلاطين عمان واستمر نفوذها حتى ظهر البرتغاليون على الساحل الافريقي .

ففي عام ١٠٦٢ هـ = ١٦٥٢ م قدم امام عمان سيف بن سلطان لنجدة الامارات الاسلامية المتنافرة على الساحل الافريقي وبسط سلطانه على تلك البقاع . ثم امتد نفوذ أئمة عمان من الموانيء الصومالية شمالا الى رأس ديلجاد وجنوبا ونقلوا عاصمتهم من مسقط الى زنجبار ولكن السلطنة لم تثبت ان ضعفت واصبحت عمان محمية بريطانية ووقعت املاكها في أيدي الدول الأوروبية الطامعة فاستولت ايطاليا على القسم الشمالي (الصومال) كما أخذت بريطانيا القسم الاوسط الذي عرف فيما بعد بمحمية كينيا . وحازت ألمانيا القسم الجنوبي الذي عرف فيما بعد تانجانيقا وحين هزمت ألمانيا في الحرب العالمية الاولى انتزعت من الجيوش البريطانية تانجانيقا واستمرت في حكمها الى عام ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م حيث استقلت والفت فيها حكومة برئاسة بوليوس بنا ريري .

أما سلطنة زنجبار التي كانت مع كينيا من نصيب بريطانيا فقد استقلت عام ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م ولكن الانقلاب الذي قام بعد ذلك فيها أطاح بالسلطان جشيد واتى بالشيخ عبد الكريم رئيسا لجمهورية زنجبار ومالبثت أن اتحدت مع تانجانيقا وكونت معها تنزانيا ، الجمهورية المتحدة لتانجانيقا عام ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م وعين يوليوس نياريري رئيسا للجمهورية . والشيخ عبدالكريم نائبا للرئيس .

الحياة الاقتصادية :

تزرع تنزانيا الذرة الصفراء والرز والقطن والبن والسيسل (١) والقرنفل (٢)

- (١) : السيسل نبات معمر يزرع الالياف التي تستخلص من الاوراق ويدخل في صناعة السجاد والحقائب وصبوات السكر والبن .
- (٢) : القرنفل هو شجرة مستديمة الخضرة تستعمل براعمها الزهرية الغير مفتحة لاكساب الاطعمة نكهة طيبة ، تثبت كثرة في اندونيسيا وزنجبار

وتعد تنجانيقا المصدرة الرئيسية للسيسل في العالم كما تعد زنجبار
أكثر بلاد العالم إنتاجا للقرنفل .
وفي تنزانيا احراج تستفيد منها الخشب والثروة المعدنية الجيدة
أهمها الماس والذهب والقصدير .
أما الصناعة فتقوم على استثمار المحاصيل الزراعية مع بعض الصناعات
الخفيفة الأخرى .
وفي البلاد طرق معبدة وسكك حديدية وملاحة بحرية وفيها خمسون
مطارا وعدة موانئ تجارية .
والوحدة النقدية هي الشلن الافريقي .
* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان تنجانيقا (١٠) ملايين نسمة (٦٠ ٪) منهم مسلمون
والباقيون من النصارى والوثنيين ومعظم السكان الوطنيين من البانتو وفي
البلاد جاليات أوروبية وآسيوية عديدة .
يتكلم الشعب لهجات محلية عديدة ولكن اللغة الساحلية هي السائدة
واللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية .
أما عدد السكان في زنجبار فيبلغ مليون نسمة (٩٩ ٪) منهم مسلمون
واللغة العربية معروفة عند كثير من أبناء البلاد وهي ذات أثر واضح
في ثقافتهم ولغتهم السواحلية .
ولا تزال هناك كتاتيب تعلم القرآن الكريم واللغة العربية ، وقد
قامت بعد الاستقلال مدارس وطنية الى جانب المدارس الاجنبية التي
أقامها الاستعمار وفي دار السلام جامعة انشئت حديثا ولا تزال في مراحلها
الأولى .

=====

انتشار الاسلام في افريقية

العرب في شمال افريقية

ان تاريخ الاسلام في افريقية الذى يستغرق فترة تقرب من الثلاثة عشر قرنا ، والذى ينتظم ثلثي هذه القارة الواسعة ، بما فيها من مختلف القبائل وشتى الاجناس ، ليضع مشاكل بعينها في طريق بحث الموضوع بحثا منظما ، ان يستحيل علينا ان نصور انتشار الاسلام في كافة ارجاء القارة تصويرا دقيقا يقوم على نظام تاريخي . وقد عالجننا في فصل سابق الصلة بين انتشار الاسلام وبين الكنائس المسيحية في مصر وبقيّة افريقية الشمالية ، ثم بينه وبين كنائس بلاد النوبة وبلاد الحبشة ، اما في هذا الباب فنريد ان نتتبع تقدمه بين الوثنيين في افريقية الشمالية اولا ، ثم في السودان وعلى طول الساحل الغربي ثانيا ، واخيرا على طول الساحل الشرقي ومستعمرة الكاب .

اسلام البربر

وان ما لدينا من اخبار انتشار الاسلام في الشعوب الوثنية في شمال افريقية ، لا يكاد يزيد الا زيادة طفيفة على تلك الحقائق القليلة التي ذكرناها من قبل عن زوال الكنيسة المسيحية . لقد قاوم البربر الجيوش العربية مقاومة عنيفة ، ويظهر ان استعمال القوة في تحويلهم الى الاسلام كان له اثر اكبر مما استخدم في سبيل هذا التحويل من وسائل الاقناع والترغيب . فكانوا كلما سنحت لهم الفرصة ، ثاروا على الدين كما ثاروا على حكم الفزاة الذين فتحوا بلادهم ، حتى ليقرر المؤرخون العرب ان مرات ارتدادهم عن الدين بلغت اثنتي عشرة مرة . وفي تاريخ الكفاح الطويل بين العرب والبربر ، اشارات

قليلة بسيطة عن دخول الاخيرين في الاسلام . ويظهر ان اسلام البربر في بعض الاحيان انما كان يدفع اليه علمهم بأنه لا فائدة من التمسك في مقاومة الجيوش العربية . فحين وقف البربر في وجه الغزاة سنة ٧٣٠ آخر وقفة لهم ، تنبأت الكاهنة ، وكانت نبيتهم ، وزعيمتهم المقدامة ، ان النصر سيتحول عنهم . وارسلت ابناؤها الى معسكر القائد العربي ، واوصتهم بأن يسلموا ويقفوا في صف الاعداء . اما هي فقد اختارت لنفسها ان تموت وهي تحارب في جانب مواطنيها في المعركة الكبرى التي حطمت قوة البربر السياسية ، واخضعت افريقية الشمالية للعرب . وغد الصلح بين الفريقين على شريطة ان يقدم البربر اثني عشر الفا معارب الى صفوف الجيش العربي ، وتكون من هؤلاء البربر جيشان ، وضع كل منهما تحت امرة واحد من ابناء الكاهنة . وبتلك الحيلة ، نعتي ادخال البربر في جيوش العرب ، امل قواد المسلمين ان يدخلوهم في الاسلام ، وذلك بأن يطعموهم في الغنائم .

وكان الجيش المؤلف من سبعة آلاف من البربر ، والذي ابحر من افريقية سنة ٧١١ م ليفتح اسبانيا بقيادة طارق وكان هو نفسه بربريا ، يتألف من اشخاص كانوا قد دخلوا في الاسلام حديثا . وقيل ان دخولهم في الاسلام كان عن يقين ثابت . وقد اختير العلماء والفقهاء من العرب ، ليقروا ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم . ويعلمهم كل ما فرضه الدين الجديد من واجبات . واظهر موسى ، فاتح افريقية العظيم ، حماسة نحو اعلاء شأن الاسلام ، بأن خصص جزءا كبيرا من المال الذي كان يعطيه اياه الخليفة عبد الملك ، ليشتري امثال هؤلاء الاسرى اذا ما تعهدوا بأن يظهرُوا انهم جذيرون بأن يكونوا

بناءً أوفياءً للإسلام . " فكان كلما وجد عدداً من الرقيق ، معروضاً للبيع ، عقب أي انتصار ، اشترى كل الذين يظن أنهم سيعتقدون الإسلام راغبين ، والذين كانوا من أصل كريم ، والذين يظهرون ، إلى جانب ذلك ، بمظهر الشباب العامل النشط . وكان أول الأمر يعرض على هؤلاء أن يعتقدوا الإسلام ، فإذا ما تحولوا إلى خير الأديان ، بعد أن صقل مداركهم وتهيئتهم لاستقبال الحقائق السامية وكان تحولهم إليه صادفاً ، استخدمهم على سبيل تجربة كفاياتهم ، فإذا اثبتوا استعداداً ومواهب طيبة اعتقمهم في الحال ، وعينهم في مراكز هامة في جيشه ، ورفاههم حسب كفاياتهم ، وإذا كان العكس ، ولم يظهروا صلاحية في أعمالهم ، أعادهم إلى مستودع الاسرى العام التابع للجيش ، ليتخلص منهم حسب العادة المتبعة عندهم ، وهي أن ينتزعوا بالسهم ما فيهم من فساد . "

أما معرفة إلى أي حد كان إسلام البربر سطحياً ، فيمكن أن نحكم على ذلك مما حدث حين عين عمر بن عبد العزيز الوريث سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) اسماعيل بن عبد الله والياً على شمال إفريقيا ، وأرسل معه عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي البربر في أمور دينهم ، فلم يكن يظهر حتى ذلك الوقت أنهم كانوا يعلمون أن دينهم الجديد يحرم عليهم شرب الخمر . ويقال هذا الوالي الجديد أظهر نشاطاً عظيماً في دعوة البربر إلى قبول الإسلام ، ولكن الحكم بأن جهوده كللت بالنجاح ، بحيث لم يبق واحد من البربر لم يدخل الإسلام ، حكم لا شك غير صحيح . وذلك لأن تحويل البربر إلى الإسلام كان من غير شك عملاً قروناً عديدة ، بل أنهم يحتفظون حتى الوقت الحاضر بكثير من نظمهم الفطرية التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية .

ولم ترسخ قدم الاسلام بينهم الا بعد ان اتخذ شكل حركة قومية ،
 واصبح مرتبطا بتولي دول البربر الحكم ، تلك الدول التي دخل في
عهد ها كثير من البربر في حظيرة الاسلام ، وكانوا من قبل يعدون
قبول هذا الدين رمزا على ضياع الاستقلال السياسي . اما عن
التغيرات المختلفة التي طرأت على حالة البربر السياسية ، فليس هنا
مجال الحديث عنها ، ولكن الذي يستحق ان نخصه بالذكر في تاريخ
الدعوة الى الاسلام ، هو ظهور المرابطين ، باعتباره حركة قومية
عظيمة جذبت عددا كبيرا من قبائل البربر نحو الاندماج في الاممة
الاسلامية . وفي مستهل القرن الحادي عشر الميلادي نجد يحيى بن
ابراهيم شيخ قبيلة صنهاجة ، احدى قبائل الصحراء ، يبحث في
المراكز الدينية في افريقية الشمالية ، في اتناء عودته من حج بيت الله
بمكة ، عن معلم تقي متفقه ، يصحبه الى ابناء قبيلته الجهلة المظلمين
داعيا الى الاسلام : فوجد في اول الامر ان من العسير ان يعثر
على رجل يرضى بترك اعتكافه العلمي ويستنهين بمخاطر الصحراء ،
ولكنه اخيرا وجد في عبد الله بن ياسين الشخص الذي يليق لهذا
العمل ، ان كان فيه من الاقدام ما يكفي للقيام بمثل هذه الرسالة
الشاقة ، وكان تقيا زاهدا في حياته ، متفقا في الدين والشريعة
وغيرها من العلوم . وان رجعنا الى القرن التاسع الميلادي وجدنا
ان دعاة الاسلام شقوا طريقهم بين بربر الصحراء ، واقرأوا فيهم
دين النبي ، ولكن هذا الدين لم يجد هناك من القبول الا قليلا .
وقد وجد عبد الله بن ياسين انه حتى الذين اقرأوا بالاسلام كانوا
يهملون شعائرهم الدينية اهمالا شديدا ، ويستسلمون لكل السوان
العادات الموزولة . فكرس نفسه ، متحمسا ، لهدايتهم الى

السرّاط المستقيم ، وبفقيهمهم في امور دينهم ، ولكن العنف الذي
زجرهم به عن ردائهم ، وحاول بواسطته ان يصلح سلوكهم ، حول
عواطفهم عنه ، فدفعه في الغالب اخفاه في رسالته الى ان يهجر
هذا الشعب العنيد ويقصر جهوده على هداية السودان الى الاسلام
ولما استحث على الا يترك عملا كان قد زاوله من قبل ، لجأ مع
من جمعتهم حوله دعوته من تلاميذ ، الى جزيرة في نهر السنغال
حيث بنوا بها رباطا اسلموا انفسهم فيه لعبادة متصلة . اما
هؤلاء البربر الذين كانوا اكثر استعدادا للتدين ، والذين حملهم
على التوبة تفكيرهم في الرذيلة التي اخرجت معلمهم المتدين من بينهم
فجاءوا خاضعين الى جزيرته يلتمسون منه العفو ، ويتلقون تعاليمه
في حقائق الدين المخلصة . وعلى هذا النحو تجمعت حوله هناك
يوما بعد يوم جماعة من تلاميذه اخذت في النماء ، وكانت على الاخص
من لمتونه وهي فخذ من قبيلة صنهاجة ، اخذت اخيرا في الزيادة
حتى بلغت حوالي الف شخص . بعد ذلك رأى عبد الله بن ياسين
ان الوقت قد حان للخروج الى محيط اوسع للعمل ، فطلب الى
اتباعه ان يعبروا عن شكرهم لله على هذا التنزيل الذي انعم به عليهم
ونلك بأن ينقلوا العلم به الى غيرهم من الناس : " اخرجوا على
بركة الله تعالى وانذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وابلغوههم
حجته . فان تابوا وانا بوا ورجعوا الى الحق واقطعوا عما هم عليه
فخلوا سبيلهم ، وان ابوا ذلك وتمادوا في غيرهم ولجوا في طغيانهم
استغثنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا " .
ومن ثم ذهب كل رجل الى قبيلته وعشيرته فوعظهم ان يتوبوا ويصدقوا ،
ولكنهم لم ينجحوا في هذه السبيل : كذلك اخفقت جهود
عبد الله بن ياسين نفسه ، الذي ترك رابطة لعلة يجد رؤساء

البربر في ذلك الوقت اقوى رغبة في الاصغاء لدعوته . واخيرا ، قاد
اتباعه في سنة ١٠٤٢ م ، الذين سماهم بالمرابطين — وهو اسم
مأخوذ من نفس المادة وهي الرباط اى الخلوة التي اتخذها في
جزيرته بنهر السنغال — وهاجم القبائل المجاورة وارغمهم على قبول
الاسلام . وقد بدا لقبائل الصحراء ، ان النجاح الذى حالف بن
ياسين في غاراته الحربية ، كان حجة اقوى على اقناعهم من جميع
تعاليمه ، وسرعان ما تقدموا طواعية الى اعتقاد دين كفل لجيوش
اتباعه مثل هذه الانتصارات الباهرة . ومات عبد الله بن ياسين فني
سنة ١٠٥٩ ، ولكن الحركة التي كان قد بدأها لم تمت بموته ، بل
جاءت قبائل كثيرة من البربر الوثنيين لتزيد في جموع ابناء وطنهم
المسلمين ، واعتقدوا الاسلام على انه القضية التي كافحوا من اجلها ،
وتدفقوا من الصحراء على افريقية الشمالية ، ثم فرضوا سيادتهم آخر
الامر على اسبانيا كذلك .

ولا يبعد ان تكون الحركة القومية الكبرى التي نشأت بين قبائل
البربر ، واعني بها ظهور الموحدين في بداية القرن الثاني عشر
الميلادى ، قد جذبت الى المسلمين بعض القبائل التي كانت بعيدة
عن الاسلام حتى ذلك الحين . وقد قرب ابن تومرت ، مؤسس دولة
الموحدين ، الى العامة عقائد هذه الطائفة في التوحيد ، وهي التي
تمسكوا بها ، وكان ذلك عن طريق ما ألفه من كتب باللغة البربرية
شرح فيها قواعد الاسلام الاساسية ، من وجهة نظره الخاصة ، كما
اتاح للقومية البربرية امتيازا ابعد من هذا ، ان امر بأن يكون اذان
الصلاة باللغة البربرية ، ومع هذا ، ظل بعض قبائل البربر على
الوثنية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، الا ان الاتجاه

العام كان بطبيعة الحال سائرا نحو اندماج هذه الجماعات الصفري
 في الجماعات الاسلامية الكبرى . وقد شهد القرن السادس عشر
 الميلادى نشأة حركة نشيطة ، في نشر تعاليم الدعوة في بلاد المغرب ،
 كانت ترجع الى رد الفعل الذى أحدثته انتصارات المسيحيين في
 اسبانيا وافريقية الشمالية — وقد امتدت هذه الحركة نظام المرابطين
 بدافع قوى ، وخرجت جموع كبيرة منهم من الربط في جنوب مراكش
 ليقوموا بحملة ارشاد سلمية في كافة انحاء بلاد المغرب ، مجددين
 عقيدة هؤلاء المسلمين الذين فتر ايمانهم ، ومحولين الى الاسلام
 جيرانهم من الوثنيين . وقام اللاجئون من اسبانيا بنصبيهم في حركة
 نشر تعاليم الدعوة الى الاسلام هذه ، كما اشرنا الى ذلك من قبل
 ان جاءوا لمساعدة الاشراف او ابناء ادريس بن عبد الله ، الذين
 كانوا قد فروا الى مراكش هربا من غضب هارون الرشيد . ومن الصحراء
 الكبرى ، داعت معرفة الناس بالاسلام اول الامر بين زنج السودان .
 ويكتنف الغموض تاريخ هذه الحركة القديمة ، ولكن يظهر ان هناك
 شيئا من الشك في ان البربر هم اول من ادخل الاسلام في البلاد
 التي يرويها نهر السنغال والنيجر ، حيث اتصلوا بممالك وثنية
 كان بعضها (مثل غانة Ghana و صنفاي Songhay) عريقا
 في القدم . وكانت لمتونة وجدالة قبيلتان البربر يتان اللتان تنتميان الى
 شيرة صنهاجة تتميزان بصفة خاصة بحماستهما الدينية في تحويل
 الناس الى الاسلام ، وبجهودهم اثرت حركة المرابطين في قبائل
 السودان الوثنية . وكان عهد يوسف بن تاشفين مؤسس مراكش
 (١٠٦٢ م) وتاني امراء دولة المرابطين ، حافلا جدا بدخول
 اس في الاسلام . واخذ كثيرون من الزوج الذين كانوا تحت
 مه يتعلمون مبادئ محمد . وفي سنة ١٠٧٦ م طرد البربر

الذين ظلوا وقتا ما ينشرون الاسلام في مملكة فانة ، الاسرة الحاكمة التي يحتمل انها كانت اسرة فليبي Fulbe ، واسلمت هذه المملكة القديمة عن بكرة ابيها ، وفي القرن الثالث عشر الميلادى فقدت استقلالها واحتلها المندنجو Mandingos .

اما عن دخول الاسلام في مملكة سنغاي Songhay القديمة التي يقال انها وجدت في عهد مبكر يرجع الى سنة ٧٠٠ م ، فلم يذكر لنا التاريخ الا ان اول ملك مسلم كان يسمى زاكسي وكان الملك الخامس عشر من اسرة زا ، وقد اسلم في سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩-١٠١٠ م) واصطلح على تسميته في لغة سنغاي باسم مسلم دام Muslim-dam ويدل هذا الاسم على انه دان بالاسلام بمحض ارادته لا عن طريق الارغام ، ولكن لم يرد اى ذكر عن الموءثرات التي دان لها بالاسلام .

في السودان الغربي

وفي هذا القرن نفسه تأسست على النيجر الاعلى مدينتان قدر لهما في القرون المتعاقبة ان توءثرا تأثيرا قويا في تقدم الاسلام في السودان الغربي — احدهما مدينة جني Genne التي تأسست سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣-١٠٤٤ م) ، والتي قدر لها ان تصبح مركزا تجاريا هاما ، والاخرى مدينة تمبكتو Timbuktu وهي مركز هام لتجارة القوافل مع الشمال ، وقد تأسست هذه المدينة حول سنة ١١٠٠ م . وقد اسلم كنبورو Kunburu ملك جتي حول نهاية القرن السادس الهجرى (اى حول سنة ١٢٠٠ م) ، فحذا حذوه سكان المدينة ، ويقال ان كنبورو لما عزم على اعتقاد الاسلام جمع كل العلماء في مملكته ، وكان عددهم يبلغ ٤٢٠٠ عالما (ومهما يكن

هذا العدد مبالغا فيه فان الرواية تبين لنا فيما يظهر ان الاسلام
تقدم تقدا عظيما في البلاد التابعة لهذا الملك (. ثم طلب النسي
هولاء العلماء ان يدعوا الله كي ينصر مدينته ، ومن بعدها هدم
قصره وبني في مكانه مسجدا عظيما ، وكانت تمكنتو الى جانب شهرتها
بالتجارة ، مدينة اسلامية منذ البداية " ما درستها عبادة الاوثان ،
ولا سجد على اديمها قط ، لغير الرحمن " . وبعد ذلك بسنين صارت
ذات شأن كمركز للتعاليم الاسلامية والتقوى ، وتوافد عليها الطلبة
وعلماء الدين في جموع كبيرة ، مدفوعين بما كانوا يلاقونه فيها من
تشجيع ورعاية . وقد اثنى ابن بطوطة ، الذي تنقل في هذه البلاد
في اواسط القرن الرابع عشر على الزوج لحماستهم في اداء عبادتهم
وفي دراسة القرآن ، ويخبرنا هذا الرحالة انه اذا كان يوم الجمعة
ولم يكر الانسان الى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام .

وفي عصره كانت اقوى ولاية في السودان الغربي هي ولاية
ملي Melle او مالي Mali ، وكان امرها قد علا قبل ذلك
بقرن ، بعد فتح غانة على ايدى المندنجو ، وهم من اعظم اجناس
افريقية رقيا : ويذكر عنهم ليوا الافريقي Leo Africanus انهم
اكثر جميع الزوج مدينة واشدهم ذكاء واجدرهم بالاحترام ، ويمتدح
الرحالون المحدثون صناعتهم ومهارتهم وامانتهم . وكان هؤلاء
المندنجو من انشط الدعاة الى الاسلام الذي انتشر بواسطتهم بين
الحماعات المجاورة لهم .

وكما جاء في تاريخ كانو Kano Chronicle كانت قبائل
المندنجو هي التي عرفت قبائل الحوصة Hausa بالاسلام ،
وليس تاريخ ذلك محققا ، كما هو الشأن في معظم التواريخ المتصلة
بتاريخ ولايات قبائل الحوصة ، وذلك لان قبائل الفلاني Fulb

التي فتحت هذه الولايات في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ،
اتلفت معظم سجلاتها التاريخية . ولكن اهمية اعتناق الحوصة
للاسلام لا يمكن ان نبالغ فيها ، فهم اصحاب نشاط وذكاء ، وقد
اكسبتهم مهارتهم الفائقة في التجارة نفوذا كبيرا بين شتى القبائل
التي اتصلت بهم ، فأصبحت لغتهم هي لغة التجارة في السودان
الغربي . وحيثما ذهب تجار الحوصة - وهم منتشرون من ساحل
غينيا Guinea حتى القاهرة - نقلوا معهم الدين الاسلامي .
وسنتحدث في الصفحات التالية عن نشاطهم في الدعوة للاسلام .
اما فيما يتعلق باعتناق الحوصة انفسهم هذا الدين فان الشواهد
التاريخية تكاد تكون معدومة تمام الانعدام ، كما هو الحال فيما
يتعلق بطهور ولايات الحوصة السبع ، وملحقاتها ، ويظهر احد
دعاة الاسلام الذين بعثوا الى كانوا Kanoa وكترنا Katsena
كان بلا شك استاذنا مثقفا ورعا ، وكان من تلمسان ، ذلك هو محمد بن
عبد الكريم بن محمد المجيلي ، الذي نبغ حول سنة ١٥٠٠ م . ومن
الممكن ان تكون الحوصة قد تأثرت في اسلامها بهذه الموجة الكبيرة من
السيطرة الاسلامية التي سرت من مصر صوب الجنوب في القرن الثاني
عشر الميلادي . ويفخر تجار كردفان وتجار السودان الشرقي على وجه
المهموم ، بأنهم ينحدرون من العرب الذين شقوا طريقهم الى هذه
البلاد بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ١١٧١ . ولكن
من المحتمل انه كان هناك ايضا الوان من النفوذ الاسلامي ، وقد اتى
هذا النفوذ من الشمالي الشرقي وتطرق الى افريقية الوسطى . ومن
مصر ، انتشر حتى دخل كانم Kanem وهي مملكة واقعة الى الشمال
والشمال الشرقي لبحيرة شاد ، وبعد ان اعتقد اهلها الاسلام بقليل

أصبحت دولة ذات أهمية كبرى وبسطت سلطانها على قبائل السودان الشرقي الى حدود مصر وبلاد النوبة . ويقال ان اول ملوك كانم من — المسلمين حكم اما حول نهاية القرن الحادى عشر او في النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى . ولكن التفصيلات التي لدينا عن انتشار الاسلام من الشمال الشرقي اندر حتى من تلك التفصيلات التي ذكرناها من قبل عن تاريخ دويلات السودان الغربي . وان مجرد ذكر تواريخ تحول ملوك هذه الدويلات الى الاسلام وتأسيس دول اسلامية ، لا يمدنا الا بأخبار قليلة ، ولكن حقيقة واحدة تبرز لنا واضحة من هذا السجل التاريخي الهزيل ، تلك هي البطء الشديد في تحول الناس هناك الى الاسلام . وان بقاء جموع كبيرة من عبدة الاوثان يعيشون في الاقاليم التي مرت عليها قرون وهي تحت الحكم الاسلامي ، ليدلنا فيما يظهر على ان نفوذ الاسلام ظل محصورا في المدن طويلا ، ولم يتخذ طريقه الى الجماعات الوثنية الا تدريجيا . والواقع ان النفوذ الاسلامي لم يصادف مقاومة عنيدة كتلك التي جعلت جماعة البامبارا Bambara الوثنية يحتفظون بوثنيتهم ، مع انهم (وقد سكنوا السنغال الاعلى والنجر الاعلى) كانوا محاطين مدة قرون بسكان من المسلمين .

وقد حاول مرابط يدعى عمرو كبا Umaru Kaba ان يحصل البامبارا الى الاسلام فأخفق ، وكان ذلك في اوائل القرن العشرين ، وقد اسس هذا الرجل جمعية اخوان دينية جديدة ، كانت على صلة بالقادرية ، فلما أخفق في جذب ابناء دينه وجه اهتمامه الى البامبارا الوثنيين ، وحاول ان يدخلهم في الاسلام ويضمهم الى جماعته . ويظهر انه كان في طريقه الى النجاح ، وكان قد حول الى الاسلام

من قبل قرية وتنبة في ولاية سنسندنج Sansanding ، حين طرد رئيس الولاية هذا الداعي خارج حدود ولايته ، وأمر من دخلوا حديثا في الاسلام من البمار ان يرجعوا الى عقادهم الدينيّة القديمة .

حيثما كان التزاوج بين امثال هذه الاجناس وبين غيرهم كالعرب والبربر الذين اكثروا من هذا التزاوج ، كان الاندماج في المسلمين يسير سيرا منتظما ، يضاف الى ذلك ماكان هناك من نشاط فني الدعوة قامت به تلك القبائل — وهي الفلاني والحوصا ولماندنجو — التي امتازت بحماستها في سبيل دينها مما ساعد على نمو المجتمع الاسلامي لو لم تكن تلك الحروب الطاحنة التي جعلت كل دولة اسلامية تقضي على الاخرى . فنهضت قبيلة مالي Malle على انقاض غانة في القرن الثالث عشر الميلادي وحطمت صنفاي غانة في اوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وخربت صنفاي بدورها بعد ذلك بقرن على ايدي العرب . لما دالت هذه الدول الاسلامية من جراء المذابح الكثيرة التي تميزت بها الحرب فني السودان ، استزدت الوثنية كثيرا من مكانتها التي كانت قد فقدتها ، وكما كان الحال في المسيحية ، كان كذلك في العالم الاسلامي ، ان كانت هناك فترات تدهورت فيها الحماسة في الدعوة ، ورضي المسلمون في بعض اجزاء السودان ان يتركوا الوثنية التي كانت تكتنفهم دون ان يحسها اي نشاط في نشر تعاليم الاسلام .

وفي القرن الرابع عشر الميلادي هاجر العرب التنجور من تونس الى الجنوب ، واخترقوا البرنو Bornu ووادي Wadai حتى وصلوا الى دارفور ، وجاء غير من الشرق فيما بعد . وقد لقي احدهم

ويدعى احمد حفاوة عظيمة من ملك دارفو الوثنى الذى تعلق به فجعله مشرفا على شئون بيته واستشاره في كل المناسبات . وان خبرتـــــــــــــــــه بأساليب حكم كانت اكثر رقيا من تلك التى كانت في دارفور ، مكنته من ان يدخل عدة اصلاحات على كل من شئون بيت الملك الاقتصاديين وحكومة الدولة . ويقال انه اخضع لسياسته الحكيمة الزعماء المتوردين ، وقسم الاراضي بين فقراء السكان ليضع حدا للاغارات الداخلية ، وبذلك ادخل على المملكة شعورا بالطمأنينة والرضا لم يعرفوه من قبل . ولما لم يكن للملك وريث من الذكور زوج ابنته من احمد ، وعينه خليفة له ، وقد ايد هذا الاختيار ان الناس ضجت باستحسانه . واستمرت هذه الدولة الاسلامية ، التى تأسست على هذا النحو ، حتى القرن الحاضر وكانت اسباب الحضارة التى احدثها هذا الزعيم وذريته قد اقترنت من غير شك ببعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة ، ولكن يظهر ان هؤلاء العرب المهاجرين لم يبذلوا الا جهدا يسيرا جدا في سبيل نشر دينهم بين جيرانهم الوثنيين . ومن المؤكد ان دارفور لم تدخل في الاسلام الا بجهود احد ملوكها ويدعى سليمان ، وقد بدأ حكمه سنة ١٥٩٦ ، ولم ترسخ قدم الاسلام في الممالك الاخرى ، الواقعة بين كردفان وبحيرة شاد كوداي وباغرمي ، الا في القرن السادس عشر . وكان اول ملوك باغرمي من المسلمين السلطان عبد الله الذى حكم من سنة ١٥٦٨ الى سنة ١٦٠٨ ولكن مملكة وداى كانت المركز الرئيسي للنفوذ الاسلامي في ذلك الوقت ، وقد اسسها عبد الكريم حول سنة ١٦١٢ م ، ولم تسلم عامة باغرمي الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

ولكن تاريخ الدعوة الاسلامية في افريقية ابان القرن السابع عشر

والثامن عشر ضئيل جدا ، بل لا اهمية له اطلاقا اذا ما قارنناه
بالنهضة العظيمة في نشاط الدعوة خلال القرن الحاصر . وكان مسلمو
افريقية في حاجة الى مؤثر قوى يوقظ عزائمهم الخاملة ، فقد كانت
حالتهم في القرن الثامن عشر ، فيما يظهر ، حالة فتور ديني تقريبا ،
وكانت نهضتهم الروحية راجعة الى تأثير الحركة الوهابية في اواخر
القرن الثامن عشر ، ومن هنا جاء ما نصادفه في الازمان الحديثة
من بعض الاخبار التي تتعلق بحركات نشر تعاليم الدعوة بين الزنوج ،
تلك الاخبار التي لم تبلغ من التفاهة والضآلة ما بلغته الاخبار التي
سردناها من قبل ، ولكنها تمدنا بتفصيلات شافية عن ظهور عدة اعمال
هامة في الدعوة وتقدمها .

دنفديو : وحول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة
الغلالي رجل معروف يدعى الشيخ عثمان دنفديو ، عرف بأنه مصلح
دينى وداع محارب . وقد ذهب من السودان الى مكة لاداء فريضة الحج
فعاد من هناك مليئا بالحماسة والغيرة من اجل الاصلاح والدعوة للاسلام
وتأثر بمبادئ الوهابيين ، الذين كانت قوتهم آخذة في النماء فسي
الوقت الذى زار فيه مكة ، فأنكر الصلاة على روح الميت وتعظيم من مات
من الاولياء ، واستنكر المبالغة في تمجيد محمد نفسه ، وهاجم في نفس
الوقت رذيلتين كانتا منتشرتين في السودان ، هما شرب الخمر وفساد
الخلق .

وحتى ذلك الوقت كانت جماعة الغلاني تتألف من عدة قبائل صغيرة
متناثرة تحيا حياة رعوية ، وقد دانت هذه الجماعة بالاسلام في وقت مبكر ،
وكانت لا تزال حتى ذلك الحين قانعة بتأليف مستعمرات من الرعاة
والزراع في مختلف بقاع السودان . وان ما لدينا من اخبارهم في مستهل

القرن الثامن عشر ، ليصورهم لنا في صورة اناس مسالمين ، نشيطيين في اعمالهم ، ويتحدث عنهم احد الذين زاروا موطنهم على نهـر الجمبيا سنة ١٧٣١ ، فيقول : " في كل دولة او بلد على كل من جانبي النهر توجد جماعة ذات بشرة سمراء ، يدعون الفولز (اى الفلانسي) وهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم العربية ، لانهم يتعلمونها في مدارسهم ، ولان القرآن ، وهو ايضا شريعتهم ، مكتوب بهذه اللغة . والمهم على وجه العموم اكثر بالعربية من الامم اهل اوربا باللاتينية ، ان ان معظمهم يتكلمها مع ان لهم لغة غير مهذبة تسمى فولي . ويعيشون قبائل او عشائر ، ويبينون لانفسهم مدنا ، ولا يخضعون لاي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها ، مع انهم يعيشون في اراضي هؤلاء الملوك ، وذلك لانهم كانوا اذا اسيء اليهم ، في قومهم يعيشون بين طهرانيهم ، هدموا مدنهم وارتحلوا الى قوم آخريين ولهم رؤساء من انفسهم يحكمونهم حكما معتدلا الى حد ان كل عمل تقوم به الحكومة يبدو كأنه عمل الشعب اكثر من ان يكون عمل فرد من الافراد . وهذا النوع من الحكومات يدار دولا به في سهولة ويسر ، لان الاهالي اصحاب طبيعة هادئة ، ولانهم تعلموا جيدا ما هو عدل وما هو حق ، حتى ان من يقترب السر منهم يكون موضعاً لكره الجميع . وهذه الجماعة على جانب كبير من النشاط والاقتصاد ، يزرعون من القمح والقطن اكثر مما يفي بحاجتهم ، ويبيعونه بسعر معتدل ويشتهرون بالكرم الى حد ان مواطنيهم يعتبرون ان من نعم الله عليهم ان تكون بجانبهم بلد من بلاد فولي ، وفوق هذا اكسبهم سلوكهم حدا من الشهرة يجعل من العار ان يعاملهم احد معاملة غير كريمة . ومع ان انسانيتهم تعم جميع الناس ، فشفتهم بأبناء

بفسهم مصاعفة ، واذ علموا ان اى فرد من جماعتهم قد اخذ رقيقا اتحد
الفلاني جميعا وحرروه . ولوفرة الغذاء عندهم لا يدعون ابدا واحدا
منهم يقاسي الحاجة ، بل انهم يعولون المسن والاعمى والاعرج ويساوون
بينهم وبين الآخرين . وقلما يفضون ، ولم اسمع مطلقا واحدا منهم
يسب الآخر ، ومع هذا فلم تكن وداعتهم صادرة عن حاجة الى
الشجاعة ، ان انهم شجمان كأي شعب في افريقية ، وهم مهرة
حدا في استعمال اسلحتهم ، وكانوا يستخدمون اسلحة تتكون من
الزغيات واليطفانات القصيرة ، والقوس والنشاب ، بل يستخدمون
البنادق في بعض الاحيان ، وهم مسلمون متمسكون بدينهم ، ومن النادر
ان يشرب احدهم الخمر او اى مشروب اقوى تأثيرا من الماء " .

وقد وجد دنفديو هذه الجماعات المنفصلة ، المتناثرة في شتى
اقاليم الحوصا ، وجعل منهم جماعة قوية . وفي سنة ١٨٠٢ حدثت اول
ثورة من مملكة جوير التي كانت لاتزال على الوتنية ، والتي بسطت نفوذها
على اقصى الشمال من بلاد الحوصا ، وقد حاول ملك جوير ان يعسوق
قوة الفلاني المتزايدة في بلاده فأدى ذلك الى ان رفع دنفديو علم الثورة
وسرعان ما وجد نفسه على رأس جيش قوى ، لم يتعرض به للقبائل
الوتنية وحدها ويفرض عليها الاسلام ، بل تعرض ايضا لولايات
الحوصا الاسلامية ، فسقطت هذه الولايات واحدة بعد اخرى ، واصبحت
كل اراضي الحوصا تحت حكم دنفديو قبل وفاته سنة ١٨١٦ . ولا يزال
قبره في سوكونو Sokoto مثابة تعظمها جموع كثيرة من الزائرين .
وقد قسم دنفديو مملكته بين ولديه ، اللذين زادا كذلك في توسيع حدود
بلاد الفلاني ومدينة ادماوا ، التي اسست سنة ١٨٣٢ على انقاض
عدة ممالك وثنية تعتبر حدا لفتوحاتهم نحو الجنوب الشرقي . وكانت

مدّينة الـورن Ilorin ، في بلاد الـيوروا Yoruba ، الـتي
تأسست في عهد دنفديو ، هي الحد الجنوبي الغربي لامبراطورية
بول Pul . وقد ظلت السيطرة على هذه البلاد طوال القرن
التاسع عشر في ايدي الفلاني ، على تفاوت في التوفيق والنجاح في
الحكم ، وظهروا بمظهر القسوة والتعصب في الدعوة الى الاسلام ،
حتى قام الحكم البريطاني في نيجريا سنة ١٩٠٠ .
وقد ساعد دخول القانون والنظام في نيجريا الجنوبية على نشر
الدعوة الى الاسلام ، كما كانت الحال في جهات افريقية الاخرى التي
اصبحت تحت الحكم الاوربي . فاستطاع مسلمو الحوصا ، الذين ينتسب
بعضهم الى الطريقة التجانية ، ان يتنقلوا في البلاد بحرية ، وان ينفذوا
الى القبائل الوثنية التي كانت حتى ذلك الحين تمنع ، في تعصب
وصلابة ، تطرق كل المؤثرات الاسلامية اليها . ويقال ان الاسلام في
مملكة الـيوروا بوجه خاص ترسخ قدمه بسرعة . وهناك اسطورة عن محاولة
قام بها احد دعاة الاسلام في هذه البلاد ، في وقت مبكر الى القرن
الحادي عشر او الثاني عشر الميلادي ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح .
كان هذا الرجل من الحوصا جاء الى مدينة ايف Ife حاضرة مملكة
الـيوروا الوثنية وجعل يدعو الناس ويتلو عليهم آيات من القرآن ، وكان
لا يستطيع ان يتكلم لغة الـيوروا بطلاقة ، فلم يكن بد من ان يردد على
سامعيه في لهجة اجنبية قوله " هلم نعبد الله الذي خلق الجبال والوهاد
وخلق كل شيء وخلقنا " . وكان يقوم بذلك من وقت لآخر دون ان ينجح
في كسب فرد واحد يتحول الى الاسلام ، وقد مات هذا الرجل بعد
وصوله الى مدينة ايف بأشهر قليلة . وبعد موته وجدوا المصحف
معلقا على مشجب في حائط حجرته فصار اهل هذه البلاد يقدسونه

على انه من وثن . وحيث اخفق داعية هذا الدين القديم نجسـ
المحدثين من ابناء دينه ينجحون نجاحا رائعا . وفي فترة الفوضى
التي سبقت الاحتلال البريطاني كانت غالبية المسلمين تقيم في مدن
كبيرة تكتنفها الاسوار ، ولكنهم يستطيعون في ظل الطمأنينة
والامن الجديد ان يستقروا في القرى ، على مقربة من اعمالهم الزراعية .
وعلى هذا النحو اخذ نفوذ الاسلام يزداد اتساعا في هذه البلاد
وكما كانت الحال في شرقي افريقيا الالمانية ، ثبت ان وجود مسلمين
في جيش هذه البلاد قد ساعد على نشر الاسلام . وغالبا ما كان
المجندون من الوثنيين يعتنقون الاسلام كي يتجنبوا سخرة الناس
ويظفروا باحترامهم . وكذلك نلاحظ في مملكة ايجيبو Ijebu ، وفي
نيجريا الجنوبية ، حركة حديثة جدا للدعوة الى الاسلام ، على ان —
الاسلام لم يدخل في هذا الجزء من نيجريا الا في سنة ١٨٩٣ ، وفي
سنة ١٩٠٨ كانت هناك بلدة بها عشرون مسجدا واخرى بها اثنا عشر
مسجدا . ويمكن ان نلاحظ سرعة انتشار الاسلام هذه على طول ضفتي
نهر النيجر في نيجريا الجنوبية بوجه خاص ، ويقرر احد مبشـرى
المسيحيين ما يأتي : " عندما غادرت هذه البلاد في سنة ١٨٩٨ كان
هناك قليل من المسلمين بأسفل اده Iddah ، ولكنهم الآن منتشرون
في كل مكان ، ما عدا اسفل ابو Abo ، وعلى هذا النحو من السرعة
التي نلاحظها في تقدم الاسلام ، سيكون من النادر ان نجد قرية
وثنية على ضفتي النيجر في سنة ١٩١٠ " .

محمد عثمان الميرغني : وهكذا كان في هذا الجزء من افريقية
نشاط كبير في الدعوة الى الاسلام قام به رجال لم يمتشقوا الحسام في
سبيل تحقيق غايتهم — اعني بذلك تحويل الوثنيين الى الاسلام ،

وعلى هذا الاسلوب كان يسير الذين يتبعون بعض المبادئ الدينية الاسلامية الجليلة ، تلك المبادئ التي كانت تكون الصفة الغالبة على النشاط الديني في افريقية الشمالية . وقد حققت جهود دعاة الاسلام نتائج عظيمة خلال القرن التاسع عشر ، ومع ان كثيرا من اعمالهم لاشك انها لم تدون قط ، لا يزال لدينا اخبار عن بعض الحركات التي بدأها هؤلاء الدعاة . ومن اسبق تلك الحركات حركة يعزى قيامها الى سي احمد بن ادريس ، الذي كان يتمتع بشهرة واسعة كمعلم ديني في مكة من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٣٣ ، وكان الزعيم الروحي لجماعة الخضرية ، وقد ارسل قبل موته سنة ١٨٣٥ احد اتباعه ، ويدعى محمد عثمان الاميرغنى ، في رحلة الى افريقية لنشر تعاليم الاسلام . ولما عبر البحر الاحمر الى القصير ، شق طريقه حتى بلغ النيل . وهنا بين جماعات اسلامية انحصرت جهوده بصفة عامة في ضم اعضاء الى الطائفة التي كان ينتسب اليها ، ولكنه لم يصادف في رحلته الى اعالي النهر نجاحا كبيرا حتى وصل الى اسوان ، ونجحت رحلته من اسوان حتى دنقلة نجاحا تاما ، وقد اسرع النوبيون الى الدخول في الطائفة التي كان ينتسب اليها محمد عثمان هذا ، واثرت في هؤلاء الناس تلك الابهة الملكية التي كانت تحيط به تأثيرا فعالا ، كما جذبت اليه كراماته في نفس الوقت عددا كبيرا من الاتباع . وفي دنقلة ترك محمد عثمان وادى النيل ليذهب الى كردفان ، حيث مكث زمنا طويلا ، وهنا بدأ عمله في نشر الدعوة بين الكفار . وكانت قبائل كثيرة في هذه البلاد رحول سمنار لا تزال على الوثنية ، وقد نجحت دعوة محمد عثمان بين هؤلاء القوم نجاحا رائعا جدا ، وعمل على توطيد نفوذه فيهم بأن تزوج ببضع زوجات منهم ، فتولى نسله منهن بعد ان مات في سنة ١٨٥٣ ، نشاط الطائفة التي

اسسها وتسموا امر غنية نسبة اليه .

وقبل ان يقوم محمد عثمان برحلته ، التي دعا فيها الى الاسلام بسنين قلائل ، كانت جنود محمد علي ، مؤسس الاسرة التي كانت تحكم مصر حينذاك ، قد اخذت توسع من فتوحاتها في السودان الشرقي ، وشجعت الحكومة المصرية رسل المذاهب الوثنية العديدة في مصر على القيام بدعاية في هذه البلاد التي عرفوها حديثا ، عسى ان تساعد اعمالهم على تهدئة الحال في هذه البلاد ، فواصلوا نشر الدعوة في تلك الاراضي التي استولوا عليها حديثا حيث قاموا باعمال صادفت نجاحا كبيرا ، حتى ان ثورة السودان الحديثة بزعامه المهدي قد عزيت الى الحماسة الدينية التي اثارها دعوتهم .

القادرية والتجانية : وفي غرب افريقية كانت هناك طائفتان تعملان بصفة خاصة على نشر الاسلام ، هما القادرية والتجانية . وقد تأسست الاولى ، وهي اوسع الجماعات الدينية الاسلامية انتشارا ، في القرن الثاني عشر على يد عبد القادر الجيلاني ، ويقال انه كان اشهر اولياء المسلمين كافة واعطاهم هبة ، - ودخلت القادرية في افريقية الغربية في القرن الخامس عشر على ايدي مهاجرين من توات Tuat ، وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء ، فاتخذوا من ولاته Walata اول مركزا لطريقتهم ، ولكن احفادهم طردوا عن هذه المدينة فيما بعد ، فلهجثوا الى تبككتو واقاموا في جهة نائية شرقي ولاته . وفي مستهل القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الاسلامي تأثيرا عميقا ، تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي ، الى حياة ونشاط جديدين ، ولم يمض زمن طويل حتى وجدنا فقهاء مثقفين ، وجماعات صغيرة من المريديين قد انتشروا في ارجاء السودان الغربي من السنغال الى مصب النيجر .

وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوتهم في كندا وتيمبو Timbo بجبال
(فوتاجالون) ومسر دو Musrdo (الواقعة في بلاد الماندونجو
Mandingo) . وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الاسلامي
وسط شعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم كتابا وفقهاء وكتاب تائم
ومعلمين . وتسلمت القادرية على من كان يحيط بها شيئا فشيئا .
وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام من حالات فردية الى جماعة
صغيرة من هؤلاء الذين اسلموا كان يرسل منهم في اغلب الاحيان من
هم معقد الرجاء الى المراكز الرئيسية للطائفة ، لاتمام دراستهم ، بل
كانوا يبعثون الى مدارس القيروان او طرابلس ، او الى جامعات فاس
والازهر بالقاهرة . وربما قضوا في هذه البلاد عدة سنوات ، حتى
يتقنوا دراستهم الدينية ثم يعودون الى اوطانهم مزودين تزودا تاما
للاشتغال بنشر العقيدة بين مواطنيهم . وعلى هذا النحو تسربت
نواة الاسلام الى عبدة الاوتان والاصنام ، وانتشرت العقيدة تدريجيا
انتشارا عظيما بصفة مستمرة وتم ذلك بخطوات غير محسنة في الغالب .
وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر ، يؤسسون المدارس في
السودان ويشرفون عليها ، وكان هؤلاء المعلمون قد تربوا في كنف
القادرية ونظامهم الذي اقاموه على طريقة منظمة مستمرة في دعوة القبائل
الوثنية . وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة ذا طابع سلمي للغاية ،
يعتمد كل الاعتماد على الارشاد وعلى ان يكون الواحد منهم قدوة
لغيره ، كما كان يعتمد على مبلغ تأثير المعلم منهم في تلاميذه ، كما
يعتمد على انتشار التعليم . وبهذه الخطة برهن دعاة القادرية في
السودان على انهم اوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة ولتقاليد العامة .
ذلك لان اهم المبادئ التي كانت تسطر على حياة عبد القادر هي

حَبَّ الجار والتسامح . ومع ان الملوك واصحاب الثراء كانوا يرادفون له هداياهم ، كان كرمه البالغ يجعله دائما في فقر ، ولا نجد في كتبه ولا في مواعظه ما يدل على سوء نية او عداوة نحو المسيحيين . وكان كلما تكلم عن اهل الكتاب ، لم يزد على ان يعبر عن اسفه على ما هم فيه من باطل ، ويدعو الله ان ينير لهم السبيل . وقد اوصى تلاميذه بهذا السلوك السمع الذي كان صفة بارزة في اتباعه في جميع العصور . اما التجانية التي تنتسب الى طائفة نشأت في بلاد الجزائر حول نهاية القرن الثامن عشر ، فقد سارت منذ قامت في السودان حول منتصف القرن التاسع عشر على نفس اساليب القادرية في الدعوة . وساعد تعدد مدارسهم في الغالب على نشر العقيدة ، ولكن التجانية ، التي كانت تختلف عن القادرية ، لم تتورع عن اللجوء الى السيف ، يستعينون به على نشر خطتهم في تحويل الناس الى الاسلام . واذما قدرنا نشاط هؤلاء في الدعوة الى الاسلام في افريقية الغربية فقد يرا صحيحا ، فانه يوسعنا ان نجد شهرة جهادهم او حروبهم الدينية قد طغت على نجاح الدعاة المسلمين ، على الرغم من ان اعمال الاخيرين كانت احدى على انتشار الاسلام من انشاء دويلات صغيرة قصيرة الاجل . ونجد اخبار الحملات وخاصة عندما كانت تتناول المشروعات او خطط الغزو التي قام بها الجنس الابيض ، تسترعي بطبيعة الحال انتباه الاوربيين اكثر من ان تسترعي انتباههم الاعمال السلمية التي كان يقوم بها دعاة المسلمين ومعلموهم . ولكن تاريخ امثال هذه الحركات له تلك الاهمية ، وهي ان الغزو — كما كان يحدث دائما في حالة — الرساليات المسيحية ايضا — قد فتح ميادين جديدة لنشاط الدعوة ، وجعلهم يعتقدون بوجود آفاق واسعة من البلاد لا يزال اهلها على الوثنية .

اما اولى الحركات الحربية التي قام بها افراد التجانية في نشر الدعوة ، فتعزى نشأتها الى الحاج عمر الذى كان قد دخل في هذه الجماعة على يد احد زعمائها الذى تعرف عليه في مكة . ولد الحاج عمر سنة ١٧٩٧ على مقربة من بودور Podor على السنغال الادنى ، ويظهر انه كان رجلا كريم السجايا ، ذا نفوذ شخصي ، ومظهر يوحى بالسيطرة والقوة . وكان ابنا لاحد المرابطين ، وتثقف ثقافة دينية متينة ، واشتهر بعلمه وورعه حين خرج الى الحج سنة ١٨٢٧ . ولم يعد ، من الحج ، الى وطنه الا سنة ١٨٣٣ ، حيث نشط في نشر تعاليم التجانية وهاجم ابناء دينه لجهلهم مهاجمة عنيفة ، وخاصة شيوخ القادرية الذين اتار تساهلهم وتراخيهم بنوع خاص سخطه وفضبه وقد عبر الحاج عمر السودان الاوسط ، فظفر بكثير من الاتباع ، وكُرِّم كمهدي جديد ، وما ان وافت سنة ١٨٤١ حتى كان قد بلغ جبال فوتاجالون ، حيث سلح اتباعه وبدأ سلسلة من الحملات في نشر تعاليم الدعوة بين القبائل التي كانت لا تزال على الوثنية ، وكانت تقيم حول النيجر الاعلى والسنغال . وفي احدى هذه الغزوات لقي حتفه في سنة ١٨٦٥ . ولم ينجح ابنه ، احمد وشيخو ، في ضم مختلف الولايات في مملكة ابيه الا سنوات قلائل ، ثم صدعتها المنازعات الداخلية وقدوم الفرنسيين ، وانتقلت اراضيها الى حكم فرنسا .

ذكرنا من قبل طرفا عن دخول الاسلام في هذا الجزء من افريقية . كانت البذرة التي بذرها هناك عبد الله بن ياسين واصحابه تتغلغل في الصلة المستمرة مع تجار المسلمين ومع عرب واحة الحوص وغيرهم . ويحدثنا رحالة في القرن الخامس عشر كيف جاهد العرب في تعليم رؤساء الزنج شريعة محمد ، مبينين لهم انه من العار عليهم ، ان يكونوا

رؤساء يعيشون من غير ان تكون لهم اية شريعة من الشرائع الالهية ،
وان يفعلوا ما فعلت الجماعات المنحلة التي عاشت من غير ان تكون
لها شريعة على الاطلاق . ومن هنا ، قد يظهر ان هؤلاء الدعاة
الاول استغلوا الطابع الذي تميز به الدين الاسلامي ، ودسستور
الحكم فيه ليؤثروا في عقول هؤلاء غير المتحضرين .

ولدينا تفاصيل اوفى عن حركة من هذا النوع ذاتها احدث من تلك
قامت في جنوب سنغامبيا ، على يد احد الماندنجو ، ويدعى صمودو ،
وقد اشتهر باسم صمودو ، وهو جندي وشي موسر ، ولد حول سنة
١٨٤٦ ، واصبح مسلما في عهد مبكر من تاريخ حياته ، واسسس
امبراطورية في جنوب سنغامبيا في البلاد التي يرويها نهر النيجرالاعلى
وروافده . وقد كتب احد مؤرخي هذه البلاد بالعربية عن سيرة
سمرى ، كتابة تمدنا ببعض تفاصيل ممتعة عن اعماله ، ويبدأ كالآتي :

" هذه قصة الامام احمد صمودو ، احد افراد الماندنجو . لقد
انعم الله عليه بعونه منذ اخذ في زيارة الوثنيين عبدة الاصنام ،
اولئك الذين يعيشون بين البحر وبلاد وسولو ، وكان يزورهم بقصد
دعوتهم الى اتباع دين الله ، الدين الاسلامي . ولتعلموا يا من
تقرون هذا ان الامام صمودو وجه همته اول الامر الى بلدة تدعى
فولندية . ولما كان يعمل بالكتاب والشريعة والسنة ارسل رسلا الى
ملك هذه البلدة ، ويدعى سنديدو ، يدعوه الى الانعان لحكومته ،
ونبذ عبادة الاصنام ، والى عبادة الاله الواحد العلي الحق الذي
تنفع عبادته خلقه في هذه الدنيا وفي الآخرة ، ولكنهم ابو الخضوع ،
ففرض عليهم الجزية ، كما امر بها القرآن ، ولكنهم ظلوا في عماوتهم
وصممهم ، فجمع الامام للجهاد قوة صغيرة تقرب من خمسمائة رجل ،

كانوا شجعانا اشداء ، وحارب هذه المدينة ، فأعانه الله ونصره عليهم ، وقد طارد هم بخيله حتى سلموا . انهم لن يعودوا الى وثنياتهم ، وذلك لان كل اولادهم الآن في مدارس يحفظون فيها القرآن ، ويلمون فيها بأطراف من الدين والتهذيب . والحمد لله على هذا " . وليس من الممكن في هذا المقام ان نتتبع سلسلة فتوحاته التي تميزت بكثرة المذابح والتخريب . وقد بلغ احمد صمود اوج قوته حول سنة ١٨٨١ ، وبعد ذلك بقليل دخل في نزاع مع الفرنسيين ، فأسروه سنة ١٨٩٨ . بعد سلسلة من الغزوات القاسية ، ومات في سنة ١٩٠٠ . ومع ان فتوحاته انتهت بالقضاء على جموع كبيرة من الوثنيين ذبحهم القساسة ، وتظاهر آخرون بقبول الاسلام بدافع الخوف ، يظهر انه لم يكن يهدف الى نفس هذا الغرض الديني الواضح الذي كان يهدف اليه الحاج عمر . وقد خلف للمرابطين من القادرية مهمة الدعوة ، فبذلوا ، بما عرف عنهم من التقاليد التي ساروا عليها في التسامح ، مجهودا كبيرا ليخففوا من اعماله القاسية . وفتحوا المدارس في المدن التي كانت قد غلبت على امرها ، وهناك وضعوا نظام جساعتهم ، وعلموا من دخلوا في الاسلام حديثا ، كما سَعَوْا في نفس الوقت الى جذب مسلمين جدد .

* اما فيما يتعلق بهذه الحركات العسكرية في الدعوة الى الاسلام ، فمن المهم ان نلاحظ ان الانتصارات الحربية وفتح البلاد لم تكن اهم ما ساعد على تقدم الاسلام في هذه المناطق ، ان اتضح ان ما قام به الحاج عمر من تحويل الناس الى الاسلام بالقوة قد نسي سريعا فيما عدا هذه المناطق الصغيرة التي بقيت في ايدي خلفائه بصفة نهائية . وعلى الرغم من عظمة انتصاراته المؤقتة وحماسة جيوشه ، لم يبق لهذه الدعوة المسلحة الآثار يسيرة جدا . اما الاهمية الحقيقية لهذه الحركات في

تاريخ الدعوة الإسلامية في غربي إفريقيا فهي ما أثاره هؤلاء من حماسة دينية ، تجلت في نشاط الدعوة الواسع النطاق بين الشعوب الوثنية ، ذلك النشاط الذي كان ذا طابع سلمي خالص . ولم تكن هذه الحروب الدينية ، إذا ما نظرنا إليها نظرة صحيحة ، إلا أحداثا عارضة في النهضة الإسلامية الحديثة . ولم تكن بحال ما صفة تميز القوى والوان النشاط التي كانت تؤثر تأثيرا حقيقيا في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا : والواقع أنه لو لم يتبع هذه الحروب نشاط متميز في نشر الدعوة ، لدلت على أنها لم تكن ذات اثر فعال على الاطلاق في خلق مجتمع اسلامي خالص والواقع ان الحروب الهدامة والقسوة الفاشمة من جانب الفاتحين من امثال الحاج عمر وسموري ورسيل التيجانيية بصفة خاصة ، جعلت عقيدة الاسلام مكروهة كرها شديدا من قبائل السودان الوثنية في البلاد التي يرونها السنغال والنيجر . ويكاد يتخذ هذا العداء الذي اضرته هذه القبائل للدين الاسلامي صورة حركة قومية . ولكن برغم هذا ساعدت هذه الدعوة الاسلامية على نشر الاسلام في نواح كثيرة من غينا وسنغاميا ، هذه الجهات التي كان التجار الفلانيون في بلاد الحوصا يحملون اليها معارف دينهم فبي رحلاتهم التجارية المتكررة ، ونجحوا خلال القرن الماضي والقرن الحالي في الظفر بجموع كبيرة دخلت في الاسلام . ومما هو جدير بالذكر نشاط هؤلاء الدعاة من القادرية وتجار المسلمين الذين كسبوا لدينهم مسلمين جدا ادخلوهم في دينهم منذ جلب الاحتلال الفرنسي السلام الى البلاد . وان تغلفل الدين في السودان الفرنسي بالطرق السلمية ، وكذلك تغلفله في اجزاء اخرى من افريقية كانت قد دخلت حديثا تحت سلطان النفوذ الاوربي ، قد لقي تيسيرا بفضل ما اظهره

الموظفون الفرنسيون من الاحترام والتقدير للطبقات المتعلمة ، وكلها بطبيعة الحال من المسلمين ، وما اظهره هؤلاء الموظفون من احتقار سافر للمعدات المنحطة والخرافات التي كانت متفشية بين عبدة الفتش الوثنيين .

السنوسية : لكن نشاط نشر تعاليم الدعوة الذي قامت به الفرقة السنوسية لم يكن مقتربا بحال ما يعمل من اعمال العنف والحرب ، ولم يستخدم في خدمة الدين الا كل وسائل الترغيب . وفي سنة ١٨٣٧ - اسس سيدي محمد بن علي السنوسي الفقيه الجزائري ، فرقة دينية ، تهدف الى اصلاح شأن الاسلام ونشر العقيدة الاسلامية . ولم يمت السنوسي سنة ١٨٥٩ ، حتى كان قد نجح ، في تأسيس دولة دينية ، بقوة عبقرية الصافية دون ان يريق الدماء . وبدين اتباعه بالطاعة والولاء لهذه الدولة التي يوسع خلفاؤه حدودها كل يوم . ويلتزم افراد هذه الجماعة القيام بأوامر القرآن في دقة بما يتفق واكثر مبادئ التوحيد المطلق ، تلك المبادئ التي تجعل التعبد لله وحده ، وتحرم التضرع للاولياء وزيارة قبورهم تحريما تاما . وقد اوجبوا على انفسهم ان يمتنعوا عن شرب القهوة والتدخين ، وان يتجنبوا كل اتصال باليهود او المسيحيين ، وان يساهموا بنصيب معين من دخلهم يضاف الى اموال الجماعة ، اذا لم يستطيعوا ان يكسروا انفسهم لخدمتها كما اوجبوا على انفسهم ان يوقفوا كل نشاطهم على تقدم الاسلام ، وان يقاوموا في الوقت نفسه اي لون من الوان الخضوع للنفوذ الاوربي . وتنتشر هذه الطائفة في افريقية الشمالية كلها ، وتنتشر زواياها حول بلاد شمال افريقية من مصر الى مراكش ، كما تمتد الى الداخل ، فني واحات الصحراء وفي السودان . وكان مركز تنظيمها في واحة جغبوب

في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس . وفي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة ثم يرسلون الى كافة اجزاء افريقية الشمالية دعاة للاسلام . وكانت زواياهم الفرعية (ويقال انها بلغت ١٢١ زاوية) تتلقى من زوايتهم الرئيسية في جغوب التعليمات والاوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع هذه الدولة الدينية الكبرى ، التي كانت تضم في نظام رافع ، آلافا من اشخاص ذوي جنسيات وقوميات متباينة ، ولو لم يكن الحال على هذا النحو لفرقت بينهم الفوارق الجغرافية الشاسعة والمنافع الدنيوية . ولما كان النجاح الذي تحقق على ايدي دعاة هذه الجماعة المتحمسين النشيطين عظيما ، لم يقتصر وجود اتباعهم على كل افريقية الشمالية من مصر الى مراكش وفي ارجاء السودان وسنغامبيا وبلاد الصومال كافة ، بل نجدهم كذلك في بلاد المغرب والعراق وجزائر اربيل الملايو . ومع ان السنوسية كانت في اول امرها حركة اصلاح داخلية في الاسلام نفسه ، اصبحت الى جانب ذلك حركة لنشر تعاليم الدعوة ، واصبحت عدة قبائل افريقية كانت من قبل وثنية او مسلمة اسلاما اسميا بحثا ، من اتباع الاسلام المتحمسين منذ ان حل فيهم دعاة السنوسية . ومن هذا النوع من النشاط ، نذكر على سبيل المثال ، ما بذله دعاة السنوسية من جهد ليدخلوا في الاسلام هذا الفريق من قبيلة بيلي Baele ، (وهي قبيلة تسكن بلاد انيمدي Ennedi الجبلية شرقي بوركينا) ، الذي كان لا يزال على الوثنية ، بل انهم حملوا حماسهم الدينية الى البقية الباقية من هذه القبيلة حين وجدوا ان معرفتهم بالاسلام سطحية ، وكانوا مسلمين اسما ، كما ان السنوسية حينما نزلوا بين شعب التيدا Teda في بلاد تيبستي Tibesti بالصحراء الجنوبي واحة فزان ، نجحوا في ادخالهم في الاسلام بعد ان كانوا مسلمين اسما .

ورائي المنطقة الساحلية المنخفضة ، والفيتني على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمونه السودان الاوسط ، لاحظت تحسنا مطردا فـسي المظهر الاخلاقي عند الاهلين ، واختفت الوحشية ، وتبعثها الوثنية في هذه السبيل . وزالت تجارة الخمر الى حد بعيد ، على حين صارت ملابسهم اكبر واكثر اجتهاما ، واصبحت النظافة عندهم عادة ، على حين دل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وادب جم . وقد دل كل شيء على ان هناك نواة لمبدأ اكثر رقيا الى حد ما . ومن الواضح ان هذا المبدأ كان يؤثر تأثيرا عميقا في طبيعة الزنجي ويجعل منه انسانا جديدا . ولعلك تدعش لو علمت ان هذا المذهب هو الاسلام . ولما مررت بـلوكجا Lokja عند ملتقى نهر بنوى Benué بالنيجـر تركت ورائي المراكز الامامية لنشر الدعوة الاسلامية ، فلما دخلت السودان الاوسط وجدتني في دولة احسن نسبيلا في طريقة حكمها ، غاصة بجماعة نشيطة من التجار الانكيا ، واناس مهرة في صناعة المنسوجات ، والنحاس ، والجلد ، والواقع انهم شعب تقدم تقدما عظيما في مراقي الحضارة والمدنية .

ولكي نقدر نشاط الدعوة الاسلامية في افريقية الزنجية Nigrita تقديرا صحيحا ، يجب الا يغرب عن اذهاننا انه بينما كان الداعـبي المسلم ، على السواحل وامتداد الحدود الجنوبية لمنطقة النفـوس الاسلامي ، مهبط الطريق لدينه ، فانه كان لا يزال متروكا وراءه هناك مجال واسع للدعاية الاسلامية في البلاد الداخلية التي تمتد نحو الشمال والشرق ، على الرغم من ان الاسلام رسخت اقدامه في هذه البلاد منذ زمن بعيد . وكانت هناك جماعات من الفونج ، وهم الجنس الزنجي الذي كانت له السيادة على سنار ، يدين بعضهم بالاسلام وبعضهم الآخر

بالوثنية . وقد حاول تجار مسلمون من بلاد النوبة ان يدخلوا هؤلاء الوثنيين في الاسلام .

اما قبيلة جوكون Jukun الوثنية ، التي دالت دولتها ، وكانت قوية يوما ما قبل ان يسير الفلاني في سبيل الفوز والغلبة ، فقد ناهضت النفوذ الاسلامي الزاحف ، مع ان وزير ملكهم كان اجنبيا يختار دائما من المسلمين ، وكانت جاليات من الحوصا وغيرهم من المسلمين تستقر بين ظهرا نبيهم . ولكن هؤلاء المستوطنين من المسلمين — لا يصادفون نجاحا في ان يدخلوا في الاسلام احدا من بين الجوكون الذين كانت تقاليد مجدهم القديم تجعلهم يتمسكون بعقيدتهم — القومية ، وكانت زعامتها الروحية تتمثل في شخص ملكهم .

ولعله من الميسر ايضا ان نحصى كثيرا من شعائر السودان — وسنغامبيا ، مازالت تحتفظ بعاداتها وعقائدها الوثنية ، او تكسو هذه العادات والعقائد بستار من شعائر الاسلام ، على الرغم من ان اتباع النبي كانوا (في معظم الاحوال) يحيطون بهم منذ قرون ولا يزال الكنو Konnohs ، وهم فرع من قبيلة الماندنجا الكبيرة ، يدين معظمهم بالوثنية ، ولم يتقدم الاسلام بينهم الا في السنين الاخيرة . وكان من اثر ذلك ان الحماسة العظيمة في مهمة نشر الدعوة والتي تجلت بين مسلمي هذه الجبهات في خلال القرن الحالي ، لم تجد مجالا واسعا يمكنها من اظهار نشاطها . ومن ثم جاءت الاهمية في تاريخ الدعوة الى الاسلام في هذه القارة ، ثم اهمية حركات — الاصلاح في الاسلام ذاته ونهضات الحياة الدينية ، وهي مسائل لغتنا النظر اليها من قبل .

الاسلام على الساحل الغربي من افريقية

اما الساحل الغربي من افريقية فهو ميدان آخر لمشروع الدعوة الاسلامية ، حيث وجد الاسلام نفسه امام شعب ضخم لم يكن قد اسلم بعد ، على الرغم من انه ازدهر على ساحل غينا ، وفي سييراليون ولييريا ، تلك البلاد التي نجد عدد المسلمين في ليبيريا اخيرا اكثر من عدد الوثنيين . وهناك ملاحظة من اسبق ما لوحظ على نشاط الدعوة الاسلامية في البلاد المجاورة لسيراليون ، نجدها في التماس لحمل شركة سييراليون Sierra Lone Company امر مجلس العموم بطبعه ، في الخامس والعشرين من ما يوسنة ١٨٠٢ ، وهذا نصه : " منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما ، استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون من ناحية الشمالي بما يقرب من اربعين ميلا وسموها بلاد الماندنجو . وكما هي العادة عند فقهاء هذا الديـن (الاسلام) فتحوا مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد ، وجروا على عادات المسلمين وخاصة في عدم بيع ابنا د ينهم بيع الرقيق . وقد اقاموا لانفسهم شرائع استخرجوها من القرآن واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان . وعلى الرغم من وجود كثير من اضطرابات قومية ، جلبوا الى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيا ، كما جلبوا اليها الاتحـاد والطمأنينة . وكان من اثر ذلك ، ان ازداد السكان زيادة سريعة ، وانتقل الى ايديهم شيئا فشيئا كل النفوذ في تلك الجهة من البلاد التي يقيمون فيها . اما هؤلاء الذين تعلموا في مدارسهم فانهم يسبـرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة للماندنجو ، ويمـودون ومعهم قسط وافر من الدين والشرعية . وهناك رؤسا آخرون ينتحلون

الاسماء التي اتخذها هؤلاء المسلمون لانفسهم بسبب ما يقتزن بهما من احترام وتوقير ، ويبدو انه من الممكن ان ينتشر الدين الاسلامي في امن وسلام انتشارا سلميا ، في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الماندنجو ، حاملا معه تلك المزايا التي تتغلب فيها يظهر دائما ، على خرافات الزنوج " . ويظهر ان الاسلام لم يجد له منفذا في بلاد مندى اخسير التي تقع على بعد مائة ميل تقريبا جنوبي سيراليون ، الا في القرن الحاضر ، ولكنه الآن يتقدم تقدما ثابتا . " ولا يقوم هناك بالدعوة اية جماعة خاصة من الدعاة تفرغت لهذا الغرض ، بل كل مسلم هناك داعية نشيط . واذا ما اجتمع في مدينة ستة رجال منهم ، واقل من ذلك واكثر ، وعزموا على ان يقيموا فيها فترة من الزمن ، سارعوا الى بناء مسجد واخذوا ينشرون الدعوة ، فهم يتقدمون اولا الى رئيس المدينة ويحصلون منه على الموافقة على عملهم الذي يقصدون اليه ، وربما ظفروا بوعده منه ان يصبح مشايخا لهم ويعلمونه صلاتهم بالعربية ، او يحفظونه منها القدر الذي يستطيع ان يحفظه او يعينه . ويمدونه بالصيغ والشعائر التي تستعمل في الصلاة ويحرمون عليه تناول المشروبات الروحية — وسواء روعي هذا الشرط ام لم يراع اصبح الرجل مسلما " . وعلى ساحل فينا تنتشر المؤثرات الاسلامية بوجه خاص على ايدي تجار الحوصا الذين نجدهم في كل المدن التجارية على هذا الساحل ، وكلما انشعوا لهم مقرا ، اسرعوا الى بناء مسجد ، واثروا في السكان الوثنيين بمسلكتهم القائم على الورع وثقافتهم المتفوقة ، وقد دخلت في الاسلام قبائل باجمعها من عبدة الاوثان دون ان يبذل المسلمون اية جهود خاصة يستوجبها اغراؤهم ، وانما كان ذلك نتيجة لاقتدائهم بما يرون انه حضارة ارقى من حضارتهم .

اما اشنتي Ashanti فكان فيها نواة لمجتمع اسلامي يرجع وجوده فيها الى سنة ١٧٥٠ ، ولما كان دعاة الاسلام قد لقوا ترحيبا من اهالي هذه البلاد وظفروا بنفوذ كبير في البلاط ، جدوا في العمل منذ ذلك الحين مع نجاح بطيء ولكنه محقق ، واستطاعوا بواسطة مدارسهم ان يسيطروا على عقول الجيل الاحدث ، ويقال ان هناك علامات واضحة على ان الاسلام ستصير له الغلبة في اشنتي اذ دخل فيه كثير من الرؤساء . وفي دهومي Dahomey وساحل الذهب يتقدم الاسلام كل يوم تقدما جديدا ، حتى حين لا يعتقد شيـخ القبائل الوثنية انفسهم الاسلام نجدهم ييحيون لانفسهم ، ففي اوقات كثيرة ، ان يصبحوا تحت تأثير دعاة هذا الدين ، الذين يعرفون كيف يستغلون هذا التفوذ للدعوة بين عامة الناس . وفي هذا الجزء من القارة تعتبر دهومي واشنتي اهم الدول التي لا تزال يحكمها حكام وثنيون ، ويقال ان تحولهما الى الاسلام لا يحتاج الا الى زمن قصير . ويوجد قرابة ١٠٠٠٠ مسلم في لاجوس Lagos ، كما ان كل المراكز التجارية في الساحل الغربي تضم بين سكانها جماعات اسلامية من القبائل الزنجية الزاقية ، من امثال الفلاني والماندنجو والحوصا . وحين يهبط رجال هذه القبائل الى مدن الساحل ، وهم يأتون اليها جماعات ضخمة ، اما تجارا واما جنودا يخدمون في جيوش السلطات الاوربية ، لا يعجزون بحال عن ان يوءثروا في زنجي الاراضي الساحلية ، وذلك بما لهم من جرأة وروح استقلالية . ويرى زنجيي الساحل ان احكام الاوربيين والموظفين والتجار يحترمون الذين يوءمنون بالقرآن اينما كانوا ، وان هؤلاء المؤمنين لا يختلفون عنه في الجنس والمظهر ، ولا في الزى او الطباع اختلافا بعيدا يستحيل

معه ان يدخل في زمرةهم ، بل ان هؤلاء المؤمنين فضلا عن ذلك قد منحوه حظا من امتيازاتهم على شريطة ان يدخل في دينهم . واذما اظهر الزنجي الوتني ، مهما كان خاملا مغمورا ، رغبته في قبول تعاليم الاسلام بادروا بضمه اليهم ، فيصبح واحدا منهم متساويا معهم . وليس قبوله في اخوة المسلمين امتياز يمنحونه اياه متبرمين ، ولكنه امتياز يمنحه اياه عن رغبة وحرية ، دعاة ذو غيرة وحماسة في نشر تعاليم الدعوة . ولهذا فمن مصب السفال حتى لاجوس ، في مسافة تبلغ الفي ميل ينذر فيما يقال ان نجد مدينة ذات اهمية على ساحل البحر ليس فيها مسجد واحد على الاقل ومعه دعاة نشيطون يعملون في اغلب الاحيان جنبا الى جنب مع معلمي المسيحية .

الاسلام على الساحل الشرقي من افريقية

ولننتقل الآن الى تاريخ انتشار الاسلام على الجانب الآخر من قارة افريقية ، ذلك الجانب الذي كان سكانه وثيقي الصلة بالارض التي نشأ فيها الاسلام . على ان الحقائق التي دونت عن المواطن الاولى التي استقر فيها العرب على الساحل الشرقي ضئيلة جدا ، ويذكر احد الكتب التاريخية العربية ، وكان قد وجده البرتغاليون في مدينة كلوا Kiloa حين اجتاحتها دون فرنسيسكو دالميدا Don Francisco d'Aimerda في سنة ١٥٠٥ ، ان اول من هاجر كانوا جماعة من العرب نفوا لانهم اتبعوا تعاليم خارجة على الدين ، كان يقول بها شخص يدعى زيدا ، من سلالة النبي ، وقد سموا اموزيديج (وربما قصدوا بذلك امة زيدية) نسبة اليه . ولا يبعد ان يكون زيد الذي اشير اليه هنا هو زيد بن علي حفيد الحسين ، كما

هو احد احفاد علي ابن عم محمد (عليه السلام) : وقد ادعى في عهد الخليفة هشام انه الامام المهدي ، واشعل نار الثورة بين حزب الشيعة ، ولكنه هزم وقتل سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) .
ويظهر ان هذه الجماعة عاشت في خوف عظيم من سكان البلاد الاصليين الوثنيين ، ولكنها نجحت بالتدريج في بسط مواطنها على طول الساحل ، حتى جاءتها جماعة اخرى من المهاجرين الذين قدموا من الشاطيء العربي للخليج الفارسي ، من مكان لا يبعد عن جزيرة البحرين . وجاء هؤلاء في سفن ثلاث بزعامة سبعة اخوة ، هارين من اضطهاد ملك لاساء (الاحساء) ، وهي مدينة قريبة من موطن قبيلتهم . واول مدينة بنوها هي مقدشيو التي ارتفعت فيما بعد الى تلك القوة التي جعلتها سيدة على كل عرب الساحل . ولكن لما كان المستوطنون الاصليون وهم الاموزيديج من حزب يختلف عن حزب اللاجئيين الجدد ، حيث كان الاولون من الشيعة والآخرين من اهل السنة ، ابوا ان يخضعوا لسلطة حكام مقدشيو ، وارتدوا الى الداخل حيث اندمجوا في السكان الاصليين وتزاوجوا معهم وتطبعوا بطباعهم وتخلقوا بأخلاقهم .

وقد انشئت مقدشيو حول منتصف القرن العاشر وظلت اقوى مدينة على الساحل زهاء سبعين سنة ، حينما ادعى قدوم مهاجرين آخرين من الخليج الفارسي ، الى انشاء وطن آخر ينافسها على بعد منها من ناحية الجنوب . وكان زعيم هؤلاء المهاجرين يدعى عليا ، وهو احد الابناء السبعة لاحد سلاطين شيراز ويدعى حسنا : ولما كانت امه حبشية ، ازدراه اخوته ، وعاملوه معاملة قاسية ، جعلته يصمم على ان يهجر وطنه ويبحث عن موطن في مكان ما . لهذا ابصر

من جزيرة أرمز Ormuz ومعه زوجته وأولاده وجماعة صغيرة من أتباعه ، وسار متجنباً مقدشيو ، التي ينتمي سكانها الى مذهب دينسي يختلف عن المذهب الذي ينتمي اليه ، فمضى في طريقه صوب الجنوب ان سمع ان الذهب يوجد في ساحل زنجبار ، واسس مدينة كلــــو ، وهناك استطاع ان يحتفظ بمركز مستقل ، وان يكون متحرراً من تدخل اسلافه المقيمين بعيداً عنه في الشمال .

وبهذه الطريقة ظهر عدد من المدن العربية على طول الساحل الشرقي من خليج عدن حتى مدار الجدى على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب في العصور الوسطى يطلقون عليه اسم بر الزنج . وايا كانت الجهود التي بذلها المستوطنون المسلمون في تحويل الزنج الى الاسلام ، فالظاهر انه لم يبق لنا سجل عنها . وهناك قصة غريبة محفوظة في مجموعة رحلات قديمة ، لا يبعد انها كتبت في اوائل القرن العاشر ، تصور لنا الاسلام بأنه دخل في احدى هذه القبائل على يد ملكها نفسه . ذلك ان سفينة تجارية عربية اقصتها الريح عن طريقها في سنة ١٩٢٢ م وارسستها الى بلاد الزنج الذين يأكلون لحم البشر ، حيث توقع البحارة موتاً محققاً ، ولكن حدث لهم عكس ما توقعوه ، ان تلقاهم الملك لقاءً رحيباً ورحب بهم ترحيباً كريماً عدة شهور ، باعوا في خلالها بضاعتهم بشروط مريحة ، ولكن التجار ردوا عليه كرمه بخيانة شائنة ، فاوثقوه هو وحاشيته حتى ركبوا السفينة يودعونهم . وحملوهم معهم الى عمان رقيقاً ، وبعد سنوات قليلة طوحت الريح بهم الى التجار انفسهم الى نفس الميناء ، فعرفهم الاهالي وطوقوه

بقواربهم ، فسلموا انفسهم متوقعين الموت في هذه المرة فصلى كل منهم على الآخر صلاة الموت . ثم اخذوا الى حضرة الملك ، حيث ثبينوا في دهش وعجب ، انه الملك نفسه الذي عاملوه معاملة جد مخزية قبل

ذلك ببضع سنين . وبدلا من ان يقتص منهم باى نوع من القصاص
لمسلكتهم الغادر ، ابقى على حياتهم ، وتركهم يبيعون بضاعتهم
ولكنه رفض الهدية الثمينة التي قدموها اليه رفضا ينطوى على التقريع .
وقبل ان يبرحوا تقدم واحد منهم في جرأة الى الملك وسأله ان يقص
قصة فراره . فوصف لهم كيف اخذريقا الى البصرة ، ومنها الى بغداد
حيث اسلم وتفقه في الدين ، فلما هرب من مولا له لحق بقافلة من
الحجاج كانت ذاهبة الى مكة ، وبعد ان ادى مناسك الحج ، وصل
الى القاهرة وصعد في النيل صوب بلاده ، فوصل اليها اخيرا بعد
ان تجشم كثيرا من الاخطار ، ووقع في الرق اكثر من مرة . ولما عاد
الى مملكته من جديد ، علم قومه دين الاسلام ، " وانا اليوم فرح
مسرور لما من الله به علي " وعلى اهل دولتي من الاسلام والايمان
ومعرفة الصلاة والصيام والحج والحلال والحرام ، وبلغت ما لم يبلغه
احد في بلاد الزنج وعفوت عنكم لانكم السبب في صلاح ديني . فعرفوا
المسلمين ان يأتونا فانا نحن قد صرنا اخوانا لهم ، مسلمين
مثلهم " .

ومن هذا المصدر نفسه نعلم انه حتى في هذه الفترة المبكرة ،
كانت جموع كبيرة من تجار العرب ، تختلف الى هذه البلاد الساحلية .
ولكن على الرغم من وجود صلة دامت قرونا بين اهليها وبين المسلمين ،
كان تأثيرهم (فيما عدا اهالي السومال) بالاسلام قليلا قليلة
ملحوظة . وحتى قبل الفتوحات البرتغالية ، في القرن السادس عشر ،
يظهر ان ما تم من حالات قليلة من تحول الناس الى الاسلام كان كله
مقصورا على الحدود الساحلية . وكذلك بعد ان تدهور النفوذ
البرتغالي في هذا الجزء من العالم ، وعاد هناك الحكم العربي
تحت امرة سادة عمان ، والى ان جاء القرن العشرون ، كان من

العسير ان تبذل اية جهود في نشر معارف الاسلام بين قبائل الجهات الداخلية ، عدا قبائل الجلا وقبائل السومال . ويقول رحالة حديث : " لم ار في خلال الرحلات الثلاث التي قمت بها في شرقي افريقية الوسطى ، شيئا يحمل على الظن بأن الاسلام هناك قوة تصبغ البلاد بصبغة من الحضارة والمدنية . ومهما كانت القوة الحية في هذا الدين ، فانها ظلت مستكنة ، ولم يكن العرب ، ولا احفادهم في هذه البلاد دعاة اسلام . وليست هناك بعثات تدعو اليه ، وانما قنع اهل مسقط بأن يسير عبيدهم ، الى حد ما ، وفق شعائر الدين . وقد تركوا قبائل افريقية الشرقية ، الذين كانوا في الواقع ، في جهلهم المطبق راضين فيما يظهر بأن يظلوا سعداء في جهلهم . وتظهر عدم قابليتهم للحضارة ظهورا جليا في هذه الحقيقة الغريبة : وهي انهم اتصلوا خمسة قرون بشعب نصف متحضر ، ولم يترك فيهم ذلك اقل اثر للصفات الراقية التي كان يتصف بها جيرانهم — ولم تنبت وتزهر بذرة واحدة صالحة طوال هذه السنين " . واستسلم العرب في افريقية الشمالية كل استسلام سعياء وراء التجارة وصيد الرقيق ، فأظهروا فتورا في ترقية شئون دينهم ، فكان الفارق كبيرا بين نشاطهم وبين ما اظهره اخوانهم في الدين نحو نشر الدعوة في اجزاء اخرى من افريقية .

الاسلام في اوغندة

على ان هناك حالة جديدة بالذكر نستثنيها ، وهي نشاط نشر الدعوة الذي قام به تحار من العرب اتيح لهم ان يدخلوا اوغندة في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ومن المحتمل انهم عرفوا ان قوة روح الحرية في اهل بجندة جعلت قنص الرقيق من بينهم امرا مستحيلا ، ولهذا سعوا الى كسب ثقتهم عن طريق تحويلهم الى دينهم . واسلم كثيرون من اهل بجندة في عهد الملك موتزا Mutesa ولكن

زيارة استانلي لهذا الملك في سنة ١٨٧٥ ادت الى دخول ارساليات مسيحية في السنة التالية ، وازمحت قوة المسلمين في هذه الدولة بالزيادة السريعة في عدد المنتصرين وقيام الحماية الانجليزية هناك . ولكن لا يزال في اوغندا عدد من المسلمين يشغلون مراكز هامة ، ومن المقرر ان دخول الولاية الشرقية في الاسلام امر ممكن . ويقال ان عددا ضخما من ذوي النفوذ في بلاد بوسوجا Busoga الفنية ، الواقعة في شمال اوغندا ، والتي تخضع لانجلترا ، قد دخل في الاسلام سنة ١٩٠٦ . ومع هذا الاستثناء ، كان الاسلام في افريقية الاستوائية الشرقية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر منحصر في البلاد الساحلية وما يتاخمها من البلاد . وقد يبدو تفسير ذلك ، في انه لم يكن في مصلحة جلاب الرقيق ان ينشروا الاسلام بين القبائل الوثنية التي يأخذون من بينها ضحاياهم التاعسين ، ان لو تحولت هذه القبائل الى الاسلام ، لتأخت معهم في الدين ، ولاستحالت الاغارة عليهم واسترقاقهم .

الاسلام في افريقية الشرقية

ولما منعت تجارة الرقيق لانتشار الحكم الاوربي في افريقية الاستوائية الشرقية ، تلا ذلك توسع كبير في نشاط نشر الدعوة الاسلامية وتوطد السلام والنظام في الجهات الداخلية ، ومدت السكك الحديدية وانشئت الطرق ، وحينئذ استطاع التاجر المسلم ان يشق طريقه فسر مناطق كانت مغلقة في وجهه وحتى ذلك الحين . وقد اختارت ادارة هذه البلاد موظفيها من بين اكثر السكان المسلمين ثقافة ، فأنشأت حكومة افريقية الشرقية (الالمانية) آلافا من الوظائف ، اسندتها

الى موظفين من المسلمين ، استغلوا نفوذهم في ادخال قري باجمعها
في الاسلام . وكان معلوم مدارس الدولة مسلمين كذلك ، وفي وقت
مبكر يرجع الى العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، لوحظ ان معلمي
المدارس من السواحلية ، يقومون بنشاط حي ناجح في نشر الدعوة
بين اهالي بندئي ووديجو Bondéj and the wadigo

(الذين يسكنون في الداخل على مسافة قصيرة من الساحل) ففي
افريقية الشرقية الالمانية . ولكن نشاط هذه الحركة الجديدة في نشر
الدعوة اصبح يسترعي النظر الى حد كبير في الجهات الداخلية ففي
مستهل القرن العشرين ، وخاصة بعد القضاء على ثورة سنة ١٩٠٥ في
افريقية الشرقية الالمانية . وقد ساهمت حركة التوسع في نشر الدعوة
هذه بصفة خاصة ، السكك الحديدية والطرق التجارية الكبيرة ، فانتشرت
في خط مستقيم عبر افريقية الشرقية الالمانية حتى حدودها الغربية
على بحيرة تنجانيقا ، وانتشرت نحو الشمالي من سمبارا Usambara
الى مقاطعة كلنجارو ، ونحو الجنوب حتى بحيرة نياسا . وكان الذين
قاموا بنشر هذه الدعوة من التجار ، وخاصة اهالي الساحل ، ممن
السواحلية والجنود وموظفي الحكومة . وينظر الوثنيون هناك الى
قبول الاسلام على انه دليل على الترقى الى حضارة ومنزلة اجتماعية
ارفع مما هم فيها ، ويقال ان الازدراء الذي كان ينظر به المسلمون الى
الوثنيين طالما كان عاملا حاسما في تحولهم الى الاسلام . ونستطيع
ان نتخذ مثلا لتأثير هذا الاحساس من سمبارا الغربية ، التي قيل
انها كانت لاتزال في سنة ١٨٩١ موصدة في وجه الاسلام ، وكان
شعور الرؤساء والشعب كليهما شعورا عدائيا نحو المسلمين ، فكانوا
يكرهونهم ويخافونهم باعتبارهم تجار رقيق ، ولكنه لما انتهى عهد تجارة

الرقيق وانشئت ادارة منظمة ، كان اول من عين من الموظفين الوطنيين كلهم تقريبا من المسلمين . وقد اثر هؤلاء في الزعماء وغيرهم ممن الشخصيات الهامة التي اتصلت بهم الى حد ان الدخول في الاسلام كان هو التصرف الصحيح للذين اشتغلوا في الدوائر الرسمية ، وبذلك نجحوا في ان يدخلوا في الاسلام بعضا من الزعماء اعظم من هؤلاء الذين نجدهم قد اثروا فيما بعد مثل هذا التأثير في زعماء اقل منهم منزلة . ويظهر ان هناك شواهد قليلة على نشاط دعاة محترفين او نشاط اية فرقة من الفرق الدينية ، ولكن الشواهد لاتعوزنا على وجود جهود منظمة في نشر الدعوة ، كذلك الجهود التي قام بها معلم مسلم ، ذكرانه كان يزور منطقة في بلاد كلنجار وكل اسبوع زيارة منظمة ، وظل على ذلك خمسة شهور يدعو الى الاسلام ، وقد رحب بجهوده الاهالي الذين كان يقيم لهم ولائم يقدم لهم فيها طعام الارز وغيره . وما يلفت النظر في هذه الدعوة الحماسية ان الدعاة لم يقصروا اهتمامهم على الوثنيين وحدهم ، بل سعوا ايضا لكسب متحولين الى الاسلام من بين الاهالي المسيحيين .

وقد شق الاسلام طريقه الى نياسالاند من الساحل الشرقي ايضا ، ودخلها على ايدي النخاسين من العرب وحلفائهم الياوس Yaos الذين جاء اجدادهم من مكان قريب من الساحل الشرقي ، حيث كانوا قد اعتقدوا الاسلام منذ زمن بعيد . ويقال انه من النادر ان ترى عربيا الآن في نياسالاند ، ولكن الياوس يولفون قبيلة من اقوى القبائل الوطنية ، وينظرون الى الاسلام على انه دينهم القومي . ومع انه لا تبدو هناك دعوة منظمة ، انتشر الاسلام بسرعة فائقة ابان العقد الاول من القرن العشرين ، وكان انتشاره بين بعض القبائل التي تعد من اشد القبائل ذكاء في نياسالاند .

قبائل الجلا والسومال

سجل الاسلام مثل هذا النجاح بين قبائل الجلا والسومال . وقد ذكرنا من قبل استيطان الجلا في الحبشة ، ومن المحتمل ان هؤلاء المهاجرين ، الذين ينقسمون الى سبع قبائل ، تسمى بالولو جلا ، وهم اسم الجنس الذي ينتمون اليه ، كانوا جميعا وثنيين في وقت اغارتهم على هذه البلاد ، ولا يزال جزء كبير منهم على الوثنية حتى يومنا هذا . وبعد ان استقروا في الحبشة لم يلبثوا ان تأقلموا فيها ، واتخذوا لانفسهم ، في كثير من الاحيان ، لغة سكان البلاد الاصليين وتعودوا عاداتهم وتطبعوا بطبائعهم .

اما قصة دخولهم في الاسلام فيكتنفها الغموض : فبينما يقال ان بعضهم ادخلوا كرها في الديانة المسيحية ، نجد ان عدم وجود اية سلطة سياسية في ايدي المسلمين يدفع اماكن القيام بأى نشاط في تحويل الناس الى الاسلام على هذا النحو . وفي القرن الثامن عشر قيل ان معظم الذين في الجنوب يعتقدون الاسلام ، اما الذين كانوا في الجهات الشرقية والغربية فمعظمهم وثنيون . وتشير اخبار احدث من تلك الى زيادة اخرى ، في عدد اتباع النبي . وفي سنة ١٨٦٧ تنبأ مونتسنجر Munzinger بأن كل قبائل الجلا ستدخل في الاسلام في مدة قصيرة . وان قد قيل عنهم " انهم متعصبون جدا " ، فانا نستطيع ان نستنتج انهم لم يكونوا بحال ما غير متحمسين او متراخين في اعتقادهم هذا الدين . ولا شك ان هذا الرجل المعتقد الذي ينتمي الى الجلا والذي قابله داووتسي Doughty في خير قد اظهر درجة عظيمة من الحماسة نحو دينه ، وكان هذا الرجل قد انتزع من بلده في طفولته وبيع ببيع الرقيق في جدة ،

فلما سأله داوتي : الا يزال يضم السخط نحو هؤلاء الذين سرقوه
واسلموا حياته للمعبودية في اقاصي الارض ، اجاب ، " ان شيئاً
واحداً قد عوضني ، - وهو اني لم اعد فارقا في الجهل بين عبدة
الاوثان ، ما اعجب عناية الرحمن ، تلك التي جئت بفضلها الى بلاد
الرسول هذه ، وتوصلت بها الى معرفة الدين " . " آه ما اشد
حلاوة الايمان ، صدقني ايها الرفيق العزيز ، انه امر يعجز كل
قلب عن الافصاح عنه ، كم اتمنى ان يهديك الله الى تلك المعرفة
السماوية ، ولكنني موقن ان الله سيرعاك حتى لا تهلك قبل ان تدخل
هذا الدين ، حقا ما اجمل ان اراك مسلما ، وان تصبح واحدا منا ،
ولكنني اعرف ان الاجل بيد الله . يفعل الله ما يشاء " .

وبعض السكان ، في قبائل الجلا التي تقيم في بلاد الجلا
الصميعة ، مسلمون (ان كانت بعض القبائل قد تحولت الى الاسلام
حول سنة ١٥٠٠) ، وبعضهم الآخر وثنيون ، ماعدا تلك القبائل
التي تقيم على حدود الحبشة مباشرة ، والتي ارغمها ملك هذه البلاد
على انتقال المسيحية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر .
والمسلمون بين الجبال قلة ، اما في السهول ، فقد صادف دعوة
الاسلام نجاحا رائعا ، ولقيت تعاليمهم قبولا من الناس اخذ ينمو
نموا سريعا في خلال القرن الماضي . ويذكر انطونيوس تششي
Antonio Cécchi الذي زار مملكة لمو الصغيرة في سنة ١٨٧٨ ،
قصة عن اسلام ابا باغيو Abba Baghibo والد الامير الذي كان يحكم
ان ذاك ، على ايدي مسلمين ظلوا عدة سنين يجدون في نشر
الدعوة في هذه البلاد في زى التجار . وقد حذا حذوه رؤساء ممالك
الحلا المجاورة ورجال حاشيتهم ، وظفرت العقيدة الجديدة بفرد
من العامة كذلك ، واستمرت تتقدم بينهم ولكن السواد الاعظم منهم

كان يتشبت بعبادته القديمة . وقد لقي هؤلاء التجار ترحيبا حارا في بلاط رؤساء الجلا ، لما وجدوه هناك من سوق لاستبدال حاصلات البلاد التجارية بسلع مستوردة من المصنوعات الاجنبية . ولما كان هؤلاء التجار يرتحلون الى الساحل مرة واحدة كل عام ، او مرة فقط كل عامين ، وكانوا يقضون كل ما بقي من الوقت في بلاد الجلا ، لذلك كانت لديهم فرص كثيرة عرفوا جيدا كيف ينتهزونها للعمل في نشر الدعوة الاسلامية ، وحيثما وضعوا اقدامهم كان من المؤكد ان يظفروا بعدد كبير من الداخلين في الاسلام في مدة قصيرة من الزمن . وقد دخل الاسلام هنا في نزاع مع مبشرين مسيحيين من اوربا ، صادفت جهودهم نجاحا قليلا جدا ، على الرغم مما ظفروا به من تنصير نفوس قليل - وحتى الذين نصرهم الكردينال ماساجا Cardinal Massaja فانهم (بعد ان طرد من هذه البلاد) اما اسلموا ، او انتهوا الى عدم الايمان ، لا بالمسيح ولا بالله - بينما حقق الدعاة المسلمون نجاحا مستمرا ، وشقوا طريقهم بعيدا نحو الجنوب ، وعبروا نهر وابي . وكانت غالبية قبائل الجلا التي تقيم في غرب بلاد الجلا لا تزال وثنية قبيل نهاية القرن التاسع عشر ، ولكن يبدو ان عبادة الطبيعة القديمة بين الذين كانوا في اقصى الغرب ، وتعني بهم الليجا ، كانت فني طريقها الى التدهور ، وقد جعل تأثير الدعاة المسلمين الاخذ في النمو ودخل كل قبائل الليجا في حظيرة الاسلام في مدى سنوات قليلة ، امرا محتملا .

وان افريقية الشمالية الشرقية في الوقت الحاضر لتمثل لنا حقا صورة لنشاط ذي حيوية وحماسة رائعتين في نشر الدعوة من جانب المسلمين . وتفدنا من بلاد العرب عدة مئات من الدعاة كل عام . وهم

ايضا اكثر نجاحا في جهودهم بين قبائل السومال منهم بين الجلا .
ولا بد ان يكون القرب الشديد بين بلاد السومال وبلاد العرب قد
جعل الاولى ، في زمن مبكر ، مسرحا لنشاط الدعوة الاسلامية ،
ولكن يظهر لسوء الحظ ان ما دون عن اخبار هذا النشاط قليل .
وقد ذكر ابن حوقل ان اهالي زيلع كانوا مسيحيين في النصف الثاني
من القرن التاسع الميلادي ، ولكن ابا الفداء يتحدث عنهم في النصف
الاول من القرن الرابع عشر على انهم مسلمون . ومن المحتمل ان تجارا
من العرب اللاجئين الى السومال هم الذين حملوا الدين عبر البحر .
وتشيخ لدى السوماليين اسطورة تقول بأن عربيا عريقا في الاصل ،
اجبر على ان يفادر بلاده ، فعبر البحر الى عدل ، حيث دعا الى
الدين الاسلامي بين اجدادهم . وفي القرن الخامس عشر جاءت من
حضرموت جماعة تتألف من اربعة واربعين عربيا يدعون الى الاسلام ،
فنزلوا في بربرة على البحر الاحمر ، ومن هناك انتشروا في بلاد
السومال ليدعوا الى الاسلام . وقد شق احدهم ، وهو الشيخ ابراهيم
ابو زباى طريقه الى مدينة هرر حول سنة ١٤٣٠ ، واكتسب هناك
كثيرين من الذين تحولوا الى الاسلام ، ولا يزال قبره موضع تعظيم
في هذه المدينة . وهناك بالقرب من بربرة جبل لا يزال يسمى جبل
الاولياء تخليدا لذكرى هؤلاء الدعاة ، الذين يقال انهم كانوا
يجلسون هناك في خلوة مقدسة قبل ان ينتشروا في طول البلاد وعرضها
لتحويل الناس الى الاسلام . وقد ساد الاسلام شيئا فشيئا في جميع
انحاء افريقية الشمالية الشرقية ، ولكن تزايد نفوذ الامبراطور منليك
واحتلاله هرر في سنة ١٨٨٦ ادى الى تحول عدد معين من الاهالي
الى المسيحية .

في مستعمرة الكاب الساحلية

ولكي نستكمل هذا الوصف الخاص بانتشار الاسلام في افريقية ، لا يبقى الا ان نشير الى هذه الحقيقة ، وهي ان الدين قد شق طريقه الى اقصى الجنوب من هذه القارة ، ونعني مستعمرة الكاب . ومسلمو الكاب هؤلاء الذين من سلالة اهل الملايو ، جاء بهم الهولنديون الى هذه البقعة اما في القرن السابع عشر او الثامن عشر ، وهم يتكلمون لهجة محرفة من لغة البوير ، مع خليط كبير من اللغة العربية ، وبعض كلمات انجليزية وكلمات من لغة الملايو . وهناك كتاب صغير عجيب ، مؤلف بهذه اللهجة ومكتوب بحروف عربية ، وقد نشره وزير المعارف التركية في القسطنطينية سنة ١٨٧٧ ، ليستعمل كتيبا صغيرا لتعليم قواعد الدين الاسلامي . وان الاسماء الهولندية الصرفة التي يتسمى بها بعضهم ، وملاحم الوجه التي تلاحظ في كثير منهم ، ليدل على احتمال انهم تلقوا في مجتمعاتهم في وقت ما بعض اشخاص من اصل هولندي ، وان بدماهم على الاقل مزيجا كبيرا من الدم الهولندي . وكذلك اكتسبوا بعض متحولين الى الاسلام من بين الهوتنتوت Hottentots . ولم يكتب عنهم الرحالة الاوربيون ، بل اخوانهم في الدين ، حتى الايام الاخيرة ، الا مذكرات قليلة . وفي سنة ١٨١٩ لفت كولبروك الانذهان الى نمو الاسلام ، في بعض مذكرات ممتعة كتبها عن مستعمرة الكاب ، قال : " يقال ان الاسلام يتقدم بين الفبيد والسود الاحرار من اهالي الكاب ، ونعني بذلك ، ان الذين تحولوا من الوثنية الى الاسلام من بين الزنوج والسود على اختلاف انواعهم كانوا اكثر عددا من الذين تحولوا من الوثنية الى المسيحية ، وهذا على الرغم من الجهود القوية التي

يبدلها مشرون اتقيا . وقد ثبت ان النفور الشديد الذي ابداه —
السادة من تعمد عبيد هم كان سببا من اسباب هذا التحول ، وقد
نشأ ذلك من بعض افكار خاطئة او من فرط تخويفهم من الحقوق التي
ينالها العبد الذي يعتمد . ولا شك ان العبيد متأثرون بفكرة بقاء
هذا النفور ، ولم يكن من النادر ان يجيب العبد ، ان ما سئل عن
بواعث تحوله الى الاسلام ، بأنه يجب ان يكون له دين ، وانه لم
يسمح له بأن يتنصر . والتعصب في هذا الامر أخذ في الزوال ، وقد
قلت الآن معارضة هؤلاء السادة في تنصير العبيد عما كان من قبل .
وقد ثبت ان السادة اخذوا يدركون ان العبيد لا يسيئون استعمال
التعاليم التي يتلقونها في واجباتهم الدينية . وهناك جموع أخذت في
الزيادة على ايدي المبشرين ويوجد في كل بلد من البلدان الرئيسة
واحد ممن كرسوا جهودهم على تثقيف العبيد ثقافة دينية ، ويأمل
المبشرون الا تكون جهودهم غير مثمرة . ولكن الدعاية المسلم حول
جموعا اكبر بمجهود اقل من مجهود المبشرين " . وفي خلال الخمسين
سنة الاخيرة كان يزور المسلمون في مستعمرة الكاب جماعة من بلاد
اخرى من اخوانهم في الدين المتحمسين ، وقد اثاروا الآن اهتمامهم
بالتعليق اكثر مما مضى ، وبعثوا بينهم حياة دينية اعمق من تلك التي
كانوا يحبونها ، ويقال انهم يقومون بدعوة حماسية ، وخاصة بين الاهالي
السود في الكاب وانهم حصلوا على نجاح محقق . وان حركة نشر
تعاليم الدعوة هذه قوية في الجزء الغربي من مستعمرة الكاب
خاصة . ويقال ان هناك حركة سائرة في طريق التنفيذ لتأسيس كلية في
كليرمونت Claremont بجوار مدينة الكاب ، وانها ستصبح
مركزا لنشر الدعوة الاسلامية . ومن الوسائل التي تستغل الآن تنهي

ميزا خطة الجهاد ، التي دبرت لاستئصال شأفة الكفار . وان كلمات الشاب المسلم الذي كان من برنو والذي قابله الكاتب بورتن Burton في قصر ملك ابيكوتا Abeokuta ، لتعبر بدون شك عن مظاهر كثيرين من مسلمي افريقية : " اعطنا هذه البنادق وهذا البارود ندخل في الحال هذه الكلاب في الاسلام " . ويتروى صدى هذه الكلمات في الرسالة التي يوردها منجو بارك Mango Park باعتبارها مرسلة من ملك فوته تورو Futih Toro المسلم الى جاره الوثني: " بهذه السكين سينزل عبد القادر ويخلق رأس دامل ، ان دخل دامل في الاسلام ، وبهذه السكين الثانية سيدق عنق دامل ان ابى ان يدخل في هذا الدين ، فاختر لنفسك " .

ولكن بقدر ما يمكن ان يعزى الاسلام الى البسالة الحربية التي قام بها امثال هؤلاء المتعصبين ، لدينا الدليل القاطع الذي شهد به الرحالون وغيرهم على نشر الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداعي المسلم بأعمال تنطوي على الرفق والناة ، تلك الاعمال التي عملت في سبيل انتشار الاسلام انتشارا سريعا في افريقية الحديثة ، اكثر مما عمل اي اسلوب من اساليب العنف . وربما استأصل الاسلام حقا شأفة مقاومة بالاساليب الاخيرة ، ولكنه عن طريق الاولى بصفة خاصة انجز عملية تحويل الناس الى الاسلام ، ولعل نشاط التحول لا يزال يتقدم في كثير من الاقاليم الساحلية والداخلية . وحيثما شق الاسلام طريقه ، نجد هناك الداعي المسلم حاملا الدليل لعقائد هذا الدين — فالتاجر سواء كان من العرب ام البول ام الماندنجو ، يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته ، وان مهنته وخذها لتصله صلة وثيقة بمأسرة بأولئك الذين يريد ان يحولهم الى الاسلام ، وتنفي عنه كل ما يحتمل

ان يتهم به من دوافع شريرة . و اذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية
وشية فسرعان ما يلفت الانظار بكثرة وضوئه ، وانتظام اوقات الصلاة
والعبادة ، التي يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائنا خفيا . وان
ما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الاهالي
الوثنيين ، الذين يبدى لهم في نفس الوقت استعدادهم ورغبته في
مد هم بمزاياه ومعارفه السامية — والحاج الذي عاد من مكة مليئا
بالحماسة من اجل نشر العقيدة ، التي يقف عليها كل جهوده ، منتقلا
من مكان الى آخر ، يعيش على صدقات المؤمنين الذين يحملون
الدليل على الحق بين خيرانهم الوثنيين ، — وطالب العلم الذي
يلقى تكريما باعتباره رجل علم تفقه في الدين والشريعة الاسلامية ،
بل احيانا يزاوئ الطب ، او على الاقل يكون ذا مهمة عظيمة باعتباره
كاتب تعاويذ . وآيات من القرآن ، تطوى في قطع من الجلد او القماش
وتعلق على الازرع او حول العنق ، وهي مهمة يستطيع ان يستغلها
كوسيلة لاكتثار عدد المتحولين الى الاسلام ، مثال ذلك ، انه حينما
تطلب منه هذه التعاويذ النساء العواقر او اللاتي فقدن اولادهن
اطفالا ، يفرض عليهن ، شرطا لنجاح هذه التعاويذ ، ان ينشئن
اطفال المستقبل على الاسلام . هؤلاء المعلمون الدينيون ، او المرابطون
او الالوف *Alufas* كما يطلق عليهم بحسب اختلاف اسمائهم ،
يحظون بأوفى نصيب من التقدير . وفي بعض قبائل افريقية الغربية
تضم كل قرية دارا لاستقبالهم ، ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير
ففي دارفور يحتلون اعظم مكانة بعد هؤلاء الذين يشغلون مناصب
الحكومة ، كما يحتلون بين الماندنجو مكانة اعظم شأنا ، وينالون
احتراما يلي احترام الملك ، ويعتبر الرؤساء ، التابعون لغيرهم اقل
منهم هبة . وفي تلك الدول التي اتخذ فيها القرآن اساسا للحكم
في كل المسائل المدنية ، تحتاج الدولة لخدماتهم احتياجا شديدا

لكي يفسروا معاني القرآن . وقد بلغ من اجلال الناس لاشخاص هؤلاء المعلمين ، انه لا يتعرض لهم احد حين يجوسون خلال امارات لا يعادى بعضها بعضا فحسب ، بل يتقاتلون مع بعض في حرب فعلية . ويجلبهم الناس مثل هذا التبجيل ، لا في البلاد الاسلامية وحدها ، بل في القرى الوثنية ، التي يؤسسون فيها مدارسهم ، حيث يحترمهم الناس باعتبارهم معلمي ابنائهم ، ويعتبرونهم — واسطة بينهم وبين الله سواء في الحصول على حاجاتهم ، او في درء المصائب وصرفها عنهم . وقد درس كثير من هؤلاء المعلمين في مساجد القيروان وفاس وطرابلس وغيرها من مراكز الثقافة الاسلامية ، ولكنهم درسوا بصفة خاصة في الجامع الازهر بالقاهرة . ويهرع الطلاب الى هذا الجامع من كل بقاع العالم الاسلامي ، ومن بينهم في الغالب جماعة من زنج افريقية — طلبة من دارفور وواي وبرنو ، بل يشق فريق من المسلمين طريقه سيرا على الاقدام من اقاصي الساحل الغربي فاذا ما اتموا دراستهم في الدين والشريعة الاسلامية ، صار كثير من منهم دعاة بين اهالي بلادهم الوثنيين . وينشئ هؤلاء الدعاة في المدن التي يزورونها مدارس يختلف اليها الاطفال الوثنيون والمسلمون على سواء ، فيحفظون القرآن ويتفقهون في عقائد الاسلام وشعائره ، فاذا ما نجح الداعي المسلم ، على هذا النحو ، بماله من حفظ موفور من العلم والمعرفة للصاميتين ، فانه لا يتوانى عن ان يوءثر تأثيرا كبيرا في الاهالي الذين جاء يعيش بينهم ، ويساعده على ذلك ان عاداته وطباعه في الحياة تشبه عاداتهم وطباعهم في كثير من الوجوه . وما دام التاجز قد مهد له الطريق من قبل فلا يرتاب فيه الاهالي . وبالتزاوج مع السكان الذين يرحبون بدخوله في نظامهم الاجتماعي ،

يتوطد نفوذ ه ويستقر ، وهكذا تنشر بينهم معارف الاسلام شيئاً فشيئاً وبطريقة طبيعية الى ابعد حد .

وقد زاد من تيسير جهود الداعي في نشر الدعوة ان الاعتقاد بوجود الله مع انكار الوحي والاديان Deism ، وهو اساس الشعور الديني عند كثير من عبدة الاوثان ، يمكن ان يتحول ، في سهولة ، الى عقيدة التوحيد عند المسلمين ، وكذلك الحال في بعض مظاهر اخرى في فلسفتهم الدينية . وهكذا نجد ان نظرتهم العامة في الحياة وكثيراً من شرائعهم الدينية قابلة لان تصطبغ بصفة اسلامية ، وان تتحول الى نظام الدين الجديد دون اجراء تغيير كبير .

وان نزول المسلمين في بلاد وثنية هو كذلك ايذان بفتح باب للتجارة اوسع مدى وانتشاراً ، وبالاتصال بمراكز اسلامية تجارية كبيرة من امثال جني اوسجو Sego اوكانو Kano ، كما ان هؤلاء المسلمين قدموا الى الاهالي نصيباً من مزايا هذه الحضارة المادية مع الدين الاسلامي . ومن ثم " قد يكون الداعية بين القبائل الزنجية غير المتحضرة على ثقة دائمة من الاستجابة السريعة : فهو يستطيع ان يمد هم بكثير من الحقائق المتعلقة بالله والانسان تصل الى القلب وتنمي الادراك ، بل يستطيع الى جانب ذلك ان يمنحهم ترخيصاً بالدخول في وحدة اجتماعية سياسية ، تخولهم حق الحماية والمساعدة في مسافة تمتد من المحيط الاطلسي الى سور الصين . وحيثما يستطيع المسلم ان يجد هناك داراً اسلامية يجد الاسود الذي تحول الى الاسلام والذي يستطيع ان يرد اركان عقيدته الاثني عشر وثيقاً من المأوى والقوت والنصيحة ، وسرعان ما يجد نفسه ، في بلاده ، عصوا في طبقة ذات نفوذ ان لم يكن في الطبقة

السائدة . ويبدو ان هذا هو السر الحقيقي في نجاح الدعوة
المسلمين في افريقية الغربية . اما عدد المتحولين الى الاسلام ، فانه
كان كبيرا ، سريعا في التحول ، وذلك لسبب واضح هو ان الداعي
المسلم كان منذ اللحظة الاولى التي يعترف فيها المتحول الى
الاسلام بالعقيدة ، يسير سيرا عمليا على المبادئ القائمة على اخاء
المؤمنين جميعا وتساويهم امام الله ، وهي مبادئ يشترك فيها
الاسلام مع المسيحية ، غير ان هذا الداعي المسلم ، بصفة عامة ،
اسرع واحسم في القيام بهذا العمل من المبشر المسيحي الذي يشعر
في اغلب الاحيان بأنه مضطر الى المطالبة بدليل قوى على اخلاص
المتنصر قبل ان يضافه مضافة التأخي في المسيحية ، والذي كان
دائما يثير تعصبا جنسيا لم يكن محتملا ان يزول في جيل واحد ،
حيث كان يعد المسيحي الابيض ، طوال اجيال ، سيذا ، كما كان
يعد الوثني الاسود عبدا ” .

ومن المهم ، ايضا ، ان نلاحظ ان لون الزنجي وجنسه لم
يحملا بأية حال اخوانه الجدد في الدين ، على ان يتعصبوا عليه .
ولا شك ان نجاح الاسلام قد تقدم في افريقية الزنجية Nigritia
تقدما جوهريا بسبب عدم كل احساس باحتقار الاسود — وفي الحق
يظهر ان الاسلام لم يعامل الاسود قط على انه من طبقة منحطة ،
كما كانت الحال ، لسوء الحظ ، في كثير من الاحيان ، في العالم
المسيحي .

وان هذه الملاحظة لتفسر الى حد ما نجاح المسلم اذا ما قورن
بالرساليات المسيحية بين الشعوب الزنجية ، ويتضح في اغلب الاحيان
ان الاسود المتنصر يميل الى الاحساس بأن ابناء دينه من الاوربيين

ينتمون الى لون من الحضارة لا يلائم طباعه في الحياة ، على حين
يشعر في المجتمع الاسلامي بأنه اكثر تعلقا به واطمئنانا اليه . وقد
اجاد احد المشاهدين المحدثين توضيح ذلك في الرسالة الآتية .
" ان الاسلام ، على الرغم من تقصيره ، لا يتطلب من وجهة نظر اهل
نيجريا ، ان يفقد احد هم قوميته باعتباره ان ذلك شيء يصحـب
الدخول في الاسلام ، ولا يستلزم تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية
يستحيل تحققها في المرحلة الحاضرة من تطور اهل نيجريا ، ولا هو
يقوض نفوذ الاسرة او سلطة الجماعة . وليست هناك قوة بين الداعي
الى الاسلام والمتحول اليه ، فكلاهما متساو واحد هما مع الآخر ،
لانظريا ، بل عمليا ، امام الله . وكلاهما افريقي ، وهما من ابناء ارض
واحدة . وينفذ مبدأ التآخي الانساني تنفيذاً عمليا ، ولا يعنى
الدخول في الاسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شئونه واسرته وحياته
الاجتماعية ، ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الاصليين . وليس
هناك من لا يجب بسلوك المسلم النيجري وقاره — بل بسلوك
مسلم افريقية الغربية عامة ، وان هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور
بالقومية واعتزاز بالجنس ، يخيل اليك انه يقول : ان كلامنا يختلف
عن الآخر ، ولكننا جميعا بشر . وان انتشار الاسلام الذي نشهده
اليوم في نيجريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثرا اجتماعيا . ويمنح
الاسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلة ارقى وفكرة اسمى عن مكانة
الانسان من العالم المحيط به ويحرره من ريق الف من الاوهام
الخرافية " .

وقد ورد في الروايات الاسلامية ان موسى كان رجلا اسود ، كما
قد نتبين ذلك من الآيات القرآنية . " واضم يدك الى جناحك تخرج

بيضاء من غير سوء آية اخرى " (سورة ٢٠ : آية ٢٣) " ونزع يده ،
فاذا هي بيضاء للناظرين . قال الملاء من قوم فرعون : ان هذا
لساحر عليم " (سورة ٧ : آية ١٠٥ - ١٠٦) . والقصة الآتية
التي وصلت الينا عن العصر الذهبي للدولة العباسية ، مهمة
باعتبارها شاهدا على شعور المسلمين نحو السود . وكان ابراهيم بن
المهدي ، اخو هارون الرشيد وابن احدى الجوارى ، قد نصب
نفسه خليفة في بغداد ، ولكن المأمون الذي كان يحكم ان ذاك ٨١٩م
هزمه وعفا عنه . ويقص ابراهيم قصة مقابلته مع الخليفة على النحو الآتي :
" قال لي المأمون وقد دخلت عليه بعد العفو عني : انت الخليفة
الاسود ؟ فقلت : يا امير المؤمنين ، انا الذي مننت عليه بالعفو ،
وقد قال عبد بني الحساس :

اشعار عبد بني الحساس فمن له

عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما

او اسود الخلق اني ابيض الخلق

فقال لي : " ياعم ، اخرجك الهزل الى الجند " . واتشد :

لنيس يزرئ السواد بالرجل الشهم

ولا بالفتى الاديب الارييب

ان يكن للسواد فيك نصيب

فبياض الاخلاق منك نصيبي

وعلى هذا النحو ، سرعان ما يضح الاسود المتحول الى الاسلام
مع المؤمنين على قدم المساواة ، ولا يحول دون ذلك لونه او جنسه
او اية ملابس من ملابس الماضي . ولا شك ان ما كان يلقاه السود

الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الاسلام ، هو الذي كان
يرغبهم في الانضمام الى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم
ان يوثروا التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية ، وضمما
يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جدا على تفسير نجاح هذا الدين
ان مجرد الدخول في الاسلام يدل ضمنا على الترقى في الحضارة
وانه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقليا وماديا . وكانت
القوى المحشودة جنبا الى جنب مع العقيدة الاسلامية ، تبلغ من القوة
والبأس الى حد ان البربرية والجهل والخرافة الدينية ، تلك الامور
التي كان الدين يجد في القضاء عليها ، لاتجد الا فرصة بيسيرة في
اطالة المقاومة . وقد اتضح ما تقدمه حضارة افريقية اسلامية الى
الزنجي الذي تحول الى الاسلام ، وضوحا يبعث على الاعجاب
في العبارات الآتية : " ان اقبح الرذائل وهي اكل لحوم البشر ،
وتقديم الانسان قربانا ، ووأد الاطفال احياء — تلك الرذائل
التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل
افريقية ، ولا يزال في بقاع كثيرة منها ، حتى تلك الجهات التي لاتبعد
عن ساحل الذهب وعن مواطننا — قد اختفت فجأة والى الابد .
والمساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدوا يرتدون
الملابس بل يتأنقون في ملابسهم ، والمساكنون الذين لم يغتسلوا قط
من قبل ، بدوا يغتسلون ، بل يكثرون من الاغتسال ، لان الشريعة
المقدسة تأمر بالطهارة ، وهو فرض لا ينطوى على تأثير قوى جدا
في غرائزهم التي جبلوا عليها . ويميل النظام القبلي الى فسح
المجال لاساس اوسع نطاقا ، وبعبارة اخرى الى اندماج القبائل بعضها
في بعض لتصير امما ، وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الامم امبراطوريات

ونستطيع ان نورد كثيرا من امثال هذه الحالات من تاريخ السودان
والبلاد المتاخمة له في خلال مئة السنة الاخيرة . ومتى اشيرت الروح
الحربية على هذا النحو ، فان المراكز التي تنبعث منها نار الحرب
تصبح اقل عددا واكثر انعزالا منها قبل . وفي هذه الحالة تكون
الحرب احسن تنظيما كما تكون متأثرة بصورة من صور التقيد ، وهم
لا يثيرون القتال دون سبب من الاسباب . وقل السلب المطلق الذي
لا يقوم على تفرقة بين من يسلبونهم ، كما اصبح تأمين الناس على
املاكهم وارواحهم اكثر من ذي قبل وتنشأ مدارس اولية كتلك المدارس
التي وصفها مونجوبارك Mungo Park منذ قرن مضى . حتى
لو ان هذه المدارس اقتصرت على تعليم تلاميذها تلاوة القرآن ، لكنت
ذات قيمة في نفسها ، وقد تكون خطوة في سبيل ما هو اعظم منها
بكثير . وقد اصبح المسجد الجيد البناء النظيف ، بما فيه من اذان —
للصلاة خمس مرات في اليوم ، وقبله تتجه الى مكة وامام وصلاة جمعة ،
مركزا للقرية بدلا من دار عبادة اوتان او اليويو Juju ذات المنظر
البشع . وقد طفت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن في كل مكان
العليم ، الرحيم ، على كل ما لقن الاهالي عبادته من قبل ، طفينا
لاحد له ، وبلغت اللغة العربية ، وهي اللغة التي تكتب بها دائما
الكتب الدينية الاسلامية ، حدا يفوق كل وصف من الغنى والجمال .
وانا ما تعلموا هذه اللغة ، اصبحت لغة الشاطب بين قبائل نصف
القارة . وتستخدم كمقدمة لدراسة الادب ، بل هي ادب في ذاتها .
وهي الى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة حلت محل نزوات شيخ القبيلة
الاستبدادية — وهذا تغير يعتبر في ذاته تقدما هائلا في الحضارة .
وظهرت صناعات وتجارة ، لا كالتجارة الصامتة التي تقوم الاشارات فيها

مقام اللغة في التفاهم ، ولا كالمبادلة البدائية في الخامات ، تلك المبادلة التي نعرف من هيرودوت انها وجدت في افريقية منذ اقدم العصور ، ولا كالمقايضة بالودع ، او البارود او الطباق او الخمر ، تلك المقايضة التي لا تزال تستخدم على طول الساحل وسيلة اساسية في التبادل ، ولكنها صناعات تنطوى على مهارة فائقة ، وتجارة منظمة نظاما محكما . وظهرت هذه المدن الكبيرة في ارض الزنجوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الاكثر استقرارا التي جاء بها الاسلام ، وهي مدن نجد ان الرحالين الاوربيين حين وصفوها اول الامر لم يستطيعوا الا ان يهملوا مجرد وجودها . واني لا استطيع القول بأن الدين هو العلة الوحيدة في هذا النجاح النسبي . وانما اقول انه ملائم لهذا النجاح ودافع اليه . وقد ساعدت الاحوال الجوية والمؤثرات الاخرى المختلفة على الوصول الى هذه النتيجة ، ولكن ما الذي يحمل افريقية الوثنية ، حيث توجد الظروف التي تتشابه كثيرا مع تلك ، على ان تقارن بين حالتها وبين هذا النجاح ؟ اما فيما يتعلق بالفرد ، فمن المسلم به من كل الوجوه ان الاسلام يمتد السود الذين اسلموا حديثا بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جدا ان نجدها في مواطنيهم الوثنيين او المسيحيين .

وقد كتبنا هذه العبارات السابقة التي اقتبسناها قبل تقسيم الجزء الاكبر من افريقية بين حكومات اوربا المسيحية — انجلترا وفرنسا والمانيا وقتذاك — ولكن طابع الحضارة الاسلامية الغالب لم ينقطع عن التأثير في العقلية الزنجية او عن العمل باعتباره احد المؤثرات التي تساعد على تحويل عبدة الاوتان الافريقيين الى الاسلام ، ولما مست هؤلاء الثقافة الاوربية فجأة ، مضوا قدما في طريق الحضارة ،

ولكنهم ، وقد عجزوا عن ان يقيعوا جسرا على البرخ الذي يفصلهم
عن حكامهم الاجانب ، وجدوا في الاسلام ثقافة ملائمة لاجاثهم
وجديرة بتكليف مطالبهم ومطامحهم ، ولذلك ، كان بعيدا كل البعد
على انتشار السيادة الاوربية ان تعوق نشاط الدعاة المسلمين ،
بل ان انتشار هذه السيادة قد ساعد الى حد كبير على تقـدم
الاسلام . وقد ساعد دخول السلام في بلاد نهكتها من قبل حروب
مهلكة او غارات جلاب الرقيق ، ثم قيام اساليب الحكم والادارة المنظمة
والزيادة في تسيير المواصلات بانشاء الطرق ومد السكك الحديدية —
ساعد كل ذلك على ترويج التجارة ، وكن التجار والدعاة المسلمين
النشيطين من ان يبسطوا تأثيرهم في مناطق لم تطأها الاقدام
من قبل ، وان يجولوا في الأراضي المألوفة وهم اكثر امانا وطمانينة .
زد على ذلك ان منع تجارة الرقيق ازال عقبة من العقبات الكبيرة فـي
سبيل انتشار الاسلام في افريقية الوثنية ، لانه كان من مصلحة
العرب وغيرهم من تجار الرقيق المسلمين الا يضيقوا مجال اعمالهم
بالتآخي في الاسلام مع ضحاياهم . والآن تدخل في الاسلام من القبائل
الوثنية التي لم يضل اليها نشاط الدعوة ايام تجارة الرقيق . وقد
ساعدت الحكومات الاوربية على الوصول الى هذه النتيجة بتوظيف
المسلمين في الوظائف الثانوية في الادارة المدنية (حيث لم يكن
هناك اشخاص متعلمون الا بين المسلمين) وتوظيف مسلمين فـي
مدارس الحكومة ، وجمع جيوشها من بين القبائل الاسلامية ، وعلى
هذا النحو زادوا من شهرة الاسلام في نظر الافريقيين الوثنيين — وهي
فرصة لم يتوان المسلمون عن استغلالها لمصلحة عقيدتهم .

وليس في القول بأن الاسلام انما يتقدم بقوة السلاح

الا قليلا جدا من الحقيقة ، بل الامر على العكس من ذلك
فتقسيم افريقية بين السلطات الاوربية ، التي انتزعت السيف من
ايدى الرؤساء المسلمين الذين كانوا تحت حكمهم حينذاك ،
قد هيا للدعوة الى الاسلام ان تصادف النجاح بعد
قرون من الاخفاق .

انتشار الاسلام في ارخبيل الملايو

=====

بين الملايو والعرب والهند

يعدنا تاريخ ارخبيل الملايو في خلال الاعوام الستائة الاخيرة بفصل من اهم الفصول في قصة انتشار الاسلام ، بفضل ما بذله الدعاة من جهود . ففي غضون هذه الفترة كلها ، نجد شواهد تدلنا على نشاط متصل قام به الدعاة المسلمون في جزر الهند الشرقية ، او في بعضها على الاقل . وفي بدء الدعوة ، لم يكن بد من ان ينفذ الدعاة اعمالهم ، في كل لون من ألوان هذه الدعوة ، دون مساعدة او معاضدة من جانب حكام البلاد ، وانما نفذت بقوة الاقناع وحدها ، وصاد فهم في سبيل ذلك معارضة شديدة في كثير من الاحيان ، ولا سيما من جانب الاسبان . ولكن الدعاة والوا جهودهم بنشاط لا يعرف الملل ، برغم كل الصعاب ، وبألوان من النجاح متباينة وانجزوا اعمالهم (وخاصة في الوقت الحاضر) أينما كانت هذه الاعمال جزئية او ناقصة .

ومن المحال ان نعرف على وجه التحقيق التاريخ الدقيق لاول دخول الاسلام في ارخبيل الملايو . وربما حمله الى هناك تجار العرب في القرون الاولى للهجرة ، وذلك قبل ان تصل اليها اية معلومات تاريخية عن حدوث امثال هذه المؤثرات في تلك البلاد بزمان طويل . وما جعل هذا الغرض اكثر احتمالا ، ما نعرفه من ان العرب زاولوا مع بلاد الشرق تجارة واسعة النطاق منذ عصور مبكرة جدا . ففي القرن الثاني للهجرة ، كانت تجارتهم مع سيلان كلها في ايديهم وفي مستهل القرن السابع الميلادي ، لقيت تجارتهم مع الصين ، عن

طريق سيلان ، رواحا عظيما ، حتى لقد وجدنا تجار العرب ، في
اواسط القرن الثامن يقيمون في كانتون في جموع عفيرة . وفي الفترة التي
بين القرنين العاشر والخامس عشر ، حتى قدوم البرتغاليين ، كان
العرب سادة التجارة مع الشرق دون منازع . لذلك نستطيع ان نزعّم
في شيء من التأكيد المقبول ، انهم لابد ان يكونوا قد اسسوا مستعمرا^{تهم}
التجارية في بعض جزائر ارجبيل الملايو ، كما فعلوا ذلك في الاماكن
الاخرى في عصر مبكر جدا .

ومع اننا لانجد ذكرا لهذه الجزائر في مؤلفات جغرافي العرب
قبل القرن التاسع ، نجد في حوادث سنة ٦٨٤ م في الاخبار الصينية
المدونة حسب السنين ، خبرا عن زعيم عربي ، يظن من التعليقات
التأخرة انه كان زعيم مستعمرة عربية على ساحل سومطرة الغربي .
على ان الدعاة لابد ان يكونوا قد وفدوا كذلك على ارجبيل الملايو
من جنوب الهند ، نستدل على ذلك من بعض خصائص معينة وجدت في
العقيدة الاسلامية التي اعتقدها سكان هذه الجزائر . ويتبع السواد
الاعظم من مسلمي الارخبيل المذهب الشافعي ، الذي يسيطر في
الوقت الحاضر على سواحل كورومانديل ومليبار ، كما كانت الحال كذلك
حول منتصف القرن الرابع عشر ، عندما زار ابن بطوطة هذه البقاع .
فاذا قدرنا ان المسلمين في البلاد المجاورة ينتمون الى المذهب
الحنفي ، استطعنا ان نفسر ذبوع تعاليم المذهب الشافعي بشيء
واحد ، هو الزعم بأن هذه التعاليم قد جلبت الى هناك من ساحل
مليبار الذي كان التجار الاتون من جاوة يترددون على موانئه ، كما كان
يتردد عليها التجار القادمون من الصين واليمن وفارس . كذلك لابد
ان يكون التشيع قد جاء الى هناك من الهند ايضا ، او من فارس ، ولانزال

آثاره قائمة في جاوة وسومطره . ونعلم مما ذكره ابن بطوطة ان سلطان
سمدرة المسلم قد دخل في صلات ودية مع بلاط د هلي ، وكان من بين
علماء الفقه الذين خصهم هذا السلطان المتدين بالرعاية قاض من
شيراز وآخر من اصبهان . ولكن قبل هذا الوقت بزمن طويل ، كان
التجار المقيمون في الدكن ، الذين قامت الحركة التجارية على ايديهم
بين الدول الاسلامية في الهند وارخبيل الملايو ، قد استقروا في
جناعات كبيرة في المواني التجارية الواقعة في هذه الجزائر ، حيث
القوا بذور الدين الجديد .

اساليب نشر الدعوة

ويرجع الفضل في وجود الاهالي المسلمين ، الذين وجدنا ذكرهم
في الاخبار التاريخية الاولى التي تشير الى الاسلام في هذه الجهات
الى تلك الجهود التي بذلها تحار العرب والهنود في نشر تعاليم
الدعوة . فانهم بعد ان استقروا في مراكز التجارة ، تصاهروا الى سكان
البلاد ، ومن ثم كون اولئك النسوة الوثنيات وعبيد اسراتهن نساء
الجماعة الاسلامية التي لم يأل افرادها جهدا في زيادة عددهم
ويعمدنا الوصف التالي للوسائل التي اتخذها الدعاة من هؤلاء التجار
في جزائر الفيليبين ، بصورة لما كان قد صنعه من غير شك ، تجار
المسلمين في الاجيال الكثيرة السابقة : " كان اقوم السبل لادخال
دين المسلمين الى هذه البلاد ، ان اتخذوا لغة القوم وكثيرا من
عادات الاهالي ، وتزوجوا من نساءهم ، واشتروا عبيدا ليوقعوا من
قيمتهم الشخصية ، ونجحوا آخر الامر في ان يدخلوا انفسهم في زمرة
الزعماء الذين يتبوءون ارفع مكانة في الدولة . وعطوا يدا واحدة على
نحو اكثر حدقا وتناسقا مما كان يصنعه الاهالي ، فزادوا من قوتهم

شيئا فشيئا . ولما كانوا يمتلكون عددا من العبيد ، الفوا فيما بينهم نوعا من الحلف ، واسسوا ضربا من الحكومات الملكية جعلوها وراثية في اسرة واحدة . ومع ان مثل هذا الحلف قد امدهم بقوة عظيمة ، احسوا الحاجة الى التراضي على شروط ودية مع الطبقة الارستقراطية القديمة . كما احسوا الحاجة الى اخذ ضمان لحريتهم من هـذه الطبقات التي لم يكن في وسعهم ان يستغنوا عن تأييدها " ولا بد ان يكون المسلمون الذين استوطنوا ارضييل الملايو ، على اختلافهم ، قد وضعوا بطريقة تشبه تلك التي تحدثنا عنها ، اساسا سياسيا واجتماعيا ثابتا لجهودهم في سبيل نشر تعاليم الدعوة . انهم لم يقدوا على هذه البلاد غزاة ، كما فعل الاسبان في القرن السادس عشر ، ولم يستخدموا السيف اداة لتحويل الناس الى الاسلام بل لم يدعوا لانفسهم حقوق جنم اسى يتمتع بالغبلة والسيادة ، لكبي يحطوا بذلك شأن السكان الاصليين ويسلبوا حقوقهم ، بل قد مـسوا في زى التجار ، واستخدموا كل مالد يهـم من ذكاء اسمى ، ومدنية ازهر في سبيل دينهم ، اكثر من ان يكونوا قد استخدموا ذلك وسيلة لتوسيع نفوذهم الشخصي اولتنمية ثرواتهم . اما وقد قررنا بصفة عامة الوسائل الثانوية التي اتخذوها في نشر الدعوة ، فلنتبع بالتفصيل جهودهم في نشر تعاليم هذه الدعوة في الجزائر المختلفة .

الاسلام في سومطره

تصور لنا الروايات ان الاسلام دخل الى سومطرة من بلاد العرب . على انه ليس هناك اساس تاريخي صحيح لمثل هذا الاعتقاد ويظهر ان الشواهد كلها تشير الى ان الهند هي المنبع الذى استقى منه اهالي سومطرة معرفتهم بالعقيدة الجديدة . كانت العلاقات

التجارية الفعالة ، قد قامت منذ قرون بين الهند وارخبيل الملايو ، ولا يبعد ان يكون اول دعاة في سومطرة تجارا من الهنود . على انه ليس لدينا اخبار تاريخية عن اعمالهم ، وتنسب اخبار الملايو شرف اول دعوة في مدينة اتجيه Atjeh ، شمال غربي سومطرة ، الى عربي يدعى عبد الله عارف ، قيل انه زار الجزيرة حول منتصف القرن الثاني عشر ، وقيل ان احد تلاميذه ، برهان الدين ، حمل معرفة العقيدة الى الساحل الغربي حتى بريامان Priaman

ولما كان هذا الخبر غير موثوق بصحته ، فانه مع ذلك قد يوضح وجود بعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة حول هذه الفترة . ذلك ان اخبار مؤرخي الملايو الخاصة بأنجيه تجعل سنة ١٢٠٥ تاريخاً لاعتلاء جنيهان شاه العرش ، وهو الذي تزعم الروايات انه مؤسس الاسرة الاسلامية . وقد قيل انه كان اجنبيا ، من الغرب ، وانه قدم الى هذه السواحل ليدعو الى عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ادخل كثيرين في هذا الدين ، وتزوج امرأة من اهالي هذه البلاد ، فرحبوا به ملكا عليهم وتلقب بلقب سرى بدوكا سلطان ، وهو لفظ خليط من السنسكريتية والعربية . والراجح ان العقيدة الجديدة ظلت وقتا ما مقصورة على الموانئ التي اتصل بها تجار المسلمين ، وان تقدم هذه العقيدة في داخل البلاد كان اكثر بطئا ، فهنا لم يكن بد من ان تصطدم العقيدة بالمؤثرات الهندوكية القوية التي اتخذت لها مركزا في مملكة مانجكباو .

ويتحدث ماركوپولو ، الذي قضى خمسة اشهر على ساحل سومطرة الشمالي في ١٢٩٢ م عن جميع السكان باعتبارهم عبدة اوثان ، اللهم الا في مملكة رلاك الصغيرة على الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة ،

حديث كان سكان المدن وحدثهم مسلمين كذلك ، لان " تجار العرب ،
 كما ينبغي ان تعلم ، قد بلغ من كثرة تردد هم على هذه المملكة ،
 انهم ادخلوا الاهالي في شريعة محمد " ، اما سكان المرتفعات
 فكلهم وثنيون او منوحشون يأكلون لحوم البشر . اضاف الى ذلك ان احد
 اخبار الملايو التاريخية يقول ان اول من صرب المثل في اعتقاد الاسلام
 ثم هذا رعاياه حذوه ، هو السلطان علي مغايت شاه ، وكان قد حكم
 اتجيه من سنة ١٥٠٧ الى ١٥٢٢ . ولكن لا يبعد ان يكون شرف اول
 حاكم مسلم للدولة قد نسب الى هذا السلطان لاعتباره مجدا يضاف
 الى الحاكم الذي اسس عظمة اتجيه ، واخذ في بسط نفوذه على البلاد
 المجاورة . كما لا يبعد ان يكون الاصب ان حدث اثرا في انعاش
 حياة رعاياه الدينية ، او انه بث روحا جديدة في هذه الحياة ، لا ان
 يكون قد امدهم بأول معرفة بعقيدة النبي . فقد رسخت قدم
 الاسلام في سومطرة قبل ذلك الوقت بزمن طويل . وتخيرنا الروايات
 التي تتحدث عن مدينة سمدره ، ان شريف مكة ارسل بعثة لتحويل
 شعب سومطرة الى الاسلام . وكان قائد الجماعة رجلا يدعى الشيخ
 اسماعيل . وكان اول ما وصلوا اليه من الامكنة في هذه الجزيرة ، بعد
 ان تركو مليبار ، بلدة باسوري Pausri (وربما كانت على مسافة قليلة
 من جنوب الساحل الغربي) ، وبفضل دعوتهم اقتنع شعب هذه البلدة
 باعتقاد الاسلام . ثم تقدموا شمالا حتى لمبري Lambri ، ثم اخذوا
 يساحلون الجزيرة حتى وصلوا الى الجانب الآخر منها ، وابتعدوا من
 هناك حتى وصلوا الى آرو Aru على الساحل الشرقي من جهة
 الجنوب ، وهي تقابل ملقا تقريبا . وفي كلتا هاتين البقعتين ،
 تشكلت جهودهم بنجاح كذلك . وفي آرو ، تحروا الطريق الى سمدره ،

وهي مدينة على الساحل الشمالي من الجزيرة ، ويظهر انها خاصة كانت هدفا لدعوتهم ، فوجدوا انهم قد تجاوزوها . ومن اجل ذلك قفلوا راجعين الى برلاك Parlak ، حيث كان ماركو بولو قد وجد جماعة من المسلمين قبل ذلك بأعوام قليلة ، وبعد ان ظفروا بمسلمين جدد في هذه البقعة كذلك ، استأنفوا رحلتهم الى سمدره . وكانت هذه المدينة ، والمملكة التي تسمت باسمها ، قد تأسست اخيرا على يد شخص يدعى مراسيلو Mara Silu . وقد اقمه الشيخ اسماعيل باعتقاد الاسلام فاتخذ لنفسه اسم الملك الصالح ، وتزوج من ابنة ملك برلاك فأنجب منها ولدين ، ولكي يترك لكل منهما ولاية بعد وفاته ، اسقى هذه المدينة الاسلامية ومملكة باسي Pasei وهي كذلك على الساحل الشمالي .

ولا يبعد ان يكون الملك الظاهر الذي وجده ابن بطوطة حاكما في سمدره عندما زار هذه الجزيرة في سنة ١٣٤٥ ، اكبر هذيين البولدين . وقد اظهر هذا الملك اعظم ما تتجلى به المملكة الاسلامية من ابهة ، وامتدت بلاده مسيرة ايام كثيرة على طول الساحل . كان مسلما من اهل السنة ، غيورا على دينه ، مولعا بعقد المناظرات مع الفقهاء وعلماء الدين . وكان بلاطه مقصد الشعراء ورجال العلم . ويذكر لنا ابن بطوطة اسمي قاضيين ، كانا قد اتيا اليه من فارس كما يذكر اسم امير كان قد ورد رسولا على السلطان في دهلي - وهذا يدلنا على ان سيطرة كانت من قبل على اتصال بكثير من ارجاء العالم الاسلامي . كذلك كان الملك الظاهر قائدا عظيما ، وقد اعلن الحرب على الوثنيين الذين يقيمون في البلاد المجاورة حتى ادعوا لحكمه ، وادوا له الجزيرة .

وكان الاسلام من غير شك قد احرز في ذلك العهد تقدما عظيما في سومطرة ، وبعد ان توطدت دعائمه على طول الساحل ، اخذ يشق طريقه الى المناطق الداخلية . وكانت دعوة الشيخ اسماعيل وجماعته قد آتت ثمارا وافرة ، فقد تحدث رحالة صيني ، زار هذه الجزيرة في سنة ١٤١٣ هـ ، عن بلدة لامبري ، فقال ان عدد الاسرات التي كانت تقيم فيها الفاسرة ، كلهم مسلمون ، و " على جانب عظيم من كرم الاخلاق " ، وكان ملك آرو وشعب مملكته يعتقدون جميعا هذا الدين نفسه . وقد حدث ، اما في نهاية هذا القرن نفسه او في القرن الخامس عشر ، ان وجد دين النبي اشياعا من مملكة مانجكباو العظيمة ، التي امتدت اراضيها يوما ما من الساحل الى الساحل وعلى جزء عظيم من الجزيرة يقع شمالي خط الاستواء وجنوبيه . وعلى الرغم من ان قوتها كانت لذلك العهد قد انحلت الى حد بعيد ظلت تضع عقبات كبيرة ، باعتبارها معقلا قديما من معازل الهندوكية ، في سبيل تقدم الدين الجديد . ومع هذه الحقيقة ، كان تأصل الاسلام في نفوس رعايا هذه المملكة آخر الامر اقوى منه في نفوس السود الاعظم من سكان المنطقة الداخلية من هذه الجزيرة . ومن الواضح البين ، ان هؤلاء ، وهم اوسط شعوب الجزيرة مركزا ، لم يكن بد من ان يكونوا بأسرهم راسرعا دخولا في الاسلام من سكان كثير من سائر المقاطعات التي كانت اشد اتصالا بالمؤثرات الاجنبية . ولا يزال السود الاعظم من سكان بلاد البتاك Batak ، الى اليوم ، على الوثنية ، بيد ان الاسلام قد ظفر ببغض آثار فيهم ، مثال ذلك فريق يعيشون على حدود اتجيه ، دخلوا في الاسلام على يد خيرانهم المسلمين ، وفريق آخر يسكنون في جبال اقليم راو Rau على خط الاستواء ، تحولوا مثلهم الى الاسلام .

كذلك عرفت حالات من اسلام البتك على الساحل الشرقي ، وكانوا على اتصال وثيق بسكان الملايو .

ولم تجد الجهود النشيطة التي بذلتها اسرة بدرى Padris المتعصبة لفرع الاسلام على البتك بحد السيف ، فخرّبوا بلادهم وقتلوا كثيرا منهم . ولكن هذه الوسائل العنيفة لم تجذب احدا الى الاسلام . على انه ، عندما اخمدت الحكومة الهولندية حركة البدرى وضت الى املاكها الجزء الجنوبي من بلاد البتك ، اخذ الاسلام ينتشر بالوسائل السلمية ، وخاصة عن طريق الجهاد الحماسية التي بذلها الموظفون المرؤسون من الاهالي الذين جاء بهم النظام الجديد والذين كانوا جميعا من سكان الملايو المسلمين ، وكذلك عن طريق نفوذ التجار الذين طوفوا في البلاد ، والذين حذوا حذوهم في نشر الدعوة جماعة (الحاجي) وفيهم من علماء الدين المعروفين . ومن الحقائق الواضحة ، ان البتك الذين كانوا قد ابدوا معارضة عنيدة في دخول الاسلام بينهم قرونا عديدة ، مع انهم كانوا يحاطون بمجموعتين من السكان المسلمين المتعصبين ، وهم الا تشينيون في الشمال واهل الملايو في الجنوب ، قد استجابوا فني السنين الاخيرة للجهود السلمية التي بذلت لادخالهم في الاسلام ، واظهروا حماسة في هذه السبيل . ويظهر ان من الممكن ايجاد تفسير لذلك ، فيما اعترى صفاتهم القومية الحاضرة المنيعة ، من ضعف ووهن ، بسبب الاحتلال الهولندي ، والغزو الذي عرض بلادهم للمؤثرات الاجنبية التي دلت على بداية عصر جديد في تطوّرهم الثقافي ، كما نجد تفسير ذلك ايضا في تلك الخطوات السديدة التي تقدم بها ائمة هذا الدين الجديد ، الذين عرفوا كيف يلائمون بين تعاليمهم وعقائد

البتك الراهنة ، وتقاليدهم المتأصلة في نفوسهم . ويظهر ان تأسيس
الرساليات المسيحية بين البتك في سنة ١٨٩٧ قد زود الدعوة
الاسلامية في هذه البلاد بباعث لا يستهان به ، بل يظهر ان هذه
الرساليات قد مهدت السبيل لنجاح تلك الدعوة ، فقد قيل ان قريتين
من قرى البتك ، وكان جميع اهليهما قد تنصروا ، انتقلتا جميعا
واحد الى الاسلام ، بعد تنصرهما بزمان قصير .

ولا يزال في سومطرة الوسطى ، عدد كبير من الاهالي
الوثنيين ، على الرغم من ان السواد الاعظم من السكان مسلمون . ولكن
هؤلاء على جانب عظيم من الجهل بديانتهم ، اللهم الا اذا استثنينا
عددا قليلا من جماعة الحاجي والمعلمين . بل اننا نجد بين شعب
كورنتجي وهم في معظمهم يشايعون الاسلام ويتحمسون له ، بعض
الطوائف من الاهالي لا يزالون يعبدون آلهة اجدادهم الوثنيين . على
ان الجهود تبذل في سبيل نهضة دينية ، كما ان دعاة المسلمين
يقومون بغزوات جديدة بين الوثنيين ولا سيما على طول الساحل الغربي
وفي مقاطعة سيبيروك Sipirok ادخل معلم ديني ، وكان قد لزم
المسجد في المدينة التي كانت تحمل اسم هذه المقاطعة مدة ربع قرن
جميع اهالي هذه المقاطعة في الاسلام ، اللهم الا المسيحيين الذين
كانوا يعيشون هناك ، وكانوا في الغالب من سلالة الاهالي الذين كانوا
عبدا من قبل . وقد افلحت حركة حديثة لنشر الدعوة ، قامت في العقد
الاول من القرن العشرين ، في اجتذاب كثير من مسيحيي هذه
المقاطعة الى الاسلام ، بل في اجتذاب فريق ممن يعيش في وسط
المحيط الذي تجلى فيه نفوذ الرسالية المسيحية .

وتصور الروايات ان الاسلام دخل الى بالبنج Palembang
حول سنة ١٤٤٠ على يد ران رحمت ، وسنذكر فيما بعد نبذة

عن نشاطه في الدعوة . ولكن يظهر ان المؤثرات الهندية كانت متأصلة ثابتة في هذه المنطقة ، وان تقدم الدين الجديد كان بطيئا . وقد قيل ان مسلمي بالمينج كانوا حتى القرن التاسع عشر ، يعرفون القليل عن دينهم ، الا ما كان من طقوسه الشكلية ، اللهم الا سكان الحاضرة الذين كانوا يتصلون بالعرب كل يوم . ولكن قد يظهر ان في العقد الاول من القرن العشرين ، كان هنالك نهضة للحياة الدينية ، ودعاية آخذة في النمو ، ان تقارير الحكومة الهولندية الخاصة بالمستعمرات قد لغت الانظار الى اطراف انتشار الاسلام بين الوثنيين من اهالي مقاطعات بالمينج على اختلافها .

ومن جاوه ، حمل الاسلام لأول مرة الى مقاطعات لميونج Lampong التي تكون اقصى حدود سومطرة الجنوبية ، وذلك على يد سيد هذه المقاطعات ، ويدعى منك كطه بومي . وحول نهاية القرن الخامس عشر ، عبر مضيق سندا Sunda الى مملكة بنتام على ساحل جاوة الغربي تلك المملكة التي كانت قد انتحلت تعاليم الدعاة المسلمين قبل ان يزورها هذا الزعيم بسنوات قليلة . وهنا اسلم هذا الرجل ايضا ، وبعد ان ادى فريضة الحج الى مكة ، نشر تعاليم عقيدته الجديدة التي اعتقد بها بين مواطنيه . وقد احرز هذا الدين تقدما لا يستهان به بين اهالي لميونج ، ولهم مساجد في معظم قراهم ، ولكن الخرافات القديمة لا تزال قائمة في اجزاء المنطقة الداخلية .

وفي مستهل القرن التاسع عشر ، قامت في سومطرة نهضة دينية ، ولم تكن عادة التأثير في ترويج دعاية للاسلام ابعد مدى واعظم اثرا . وفي سنة ١٨٠٣ رجع ثلاثة من جماعة الحاجي من مكة الى وطنهم سومطرة ، وكانوا في اثناء وجودهم في المدينة المقدسة ، قد تأثروا تأثرا عميقا بالحركة الوهابية التي قامت لاصلاح الاسلام ، فأصبحوا

الان يتوقون الى أن يدخلوا مبادئ هذا الاصلاح بين مواطنيهم ،
والى ان يبنوا فيهم حياة دينية اكثر صفاً واشد غيرة . ومن ثم اخذوا
في الدعوة الى التشدد في التوحيد الذى تقول به الطائفة الوهابية ،
وحرّموا التوسل الى الاولياء وشرب الخمر والميسر وسائر الاعمال التى
تتعارض مع القرآن . وجعلوا عدداً من بين اخوانهم فى الدين
والاهالي الوثنيين على سواء يدخل فى مذهبهم . واخيراً اعلنوا
الجهاد على البنك ، ولكن الحركة فقدت صبغتها الاصلية وانحطت
فأصبحت حرباً وحشية دامية ترمى الى الغزو ، وذلك بوفور هذه
الحركة فى ايدى قوم لا وازع لهم يطمحون الى الشهرة . وفى سنة
١٨٢١ وقع هؤلاء الذين يطلق عليهم جماعة البدرى Padris
فى نزاع مع الحكومة الهولندية ، ولم تأت سنة ١٨٣٨ حتى سقط آخر
معاقلهم وكسرت شوكتهم .

فى شبه جزيرة الملايو

ويرجع جميع اهالي الملايو الذين يقيمون فى شبه جزيرة الملايو
اصلهم الى هجرات اتت من سومطرة ، ولا سيما من مناجكباو تلك
المملكة المشهورة التى ذكرناها من قبل ، والتى يقال انها كانت فى
يوم ما اقوى الممالك فى الجزيرة . ولا يزال بعض رؤساء الولايات
الداخلية ، فى الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الملايو ، يتقلدون
مناصبهم من هذا المكان . اما معرفة الفترة التى تمكنت فيها هذه
الجاليات من قلب سومطرة فى داخل شبه الجزيرة ، فهذا امر يدخل
فى باب الحدس والتخمين ، ولكن يظهر ان سنغابور واقصى الحدود
الجنوبية من شبه الجزيرة ، قد تلقت هجرة من هذه الهجرات فى اواسط
القرن الثانى عشر ، وهى التى اسمى احفادها طاقاً بعد ذلك بقرن

تقريباً . وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مدينة كبيرة زاهرة ، لما تميزت به من موقع مناسب في طريق التجارة الآتية من الشرق . وهناك قليل من الشك في ان تجار المسلمين الذين استوطنوا هنا ، هم الذين ادخلوا الاسلام الى هذه البلاد . وتعزو اخبار مؤرخي الملايو عن ملقا تحول هذه المملكة الى الاسلام الى عهد احد ملوكها وهو — سلطان محمد شاه وكان قد اعتلى العرش سنة ١٣٢٦ م . وقد قيل انه حكم هذه البلاد سنوات قليلة ، قبل ان ترسو سفينة بقيادة سيدى عبد العزيز الى شواطئ ملقا آتية من جدة ، وان هؤلاء القادمين قد اقنعوا الملك بتغيير عقيدته وترك اسمه الوطني ، وقد اتخذ لنفسه اسماً يحمل اسم النبي . ولكن طابع هذه الوثيقة التاريخية العام يجعل الثقة بها والاطمئنان الى صحتها موضع شك الى حد بعيد ، على الرغم من انه من المحتمل ان يكون تاريخ حادثة هامة كتلك الحادثة ، قد يكون موضع ملاحظة دقيقة (كما حدث ذلك في جهات كثيرة من ارجبيل الملايو) من شعب يعتز بذكر الحادثة ، ويعدّها فاتحة عهد جديد في تاريخهم . ويذكر مؤرخ برتغالي تاريخاً متأخراً عن ذلك التاريخ ويقول انه حدث في سنة ١٣٨٤ ، كما يقول انه كان قاضياً ، قدم من بلاد العرب في هذه السنة ، وبعد ان حول الملك الى الاسلام ، سماه محمد اسوة بالنبي و اضاف كلمة شاه الى اسمه .

وفي اخبار قويدة ، وهي احدى ولايات شبه جزيرة الملايو ، في اقصى الشمال ، رواية عجيبة وصلت اليّنا عن دخول الاسلام الى هذه المملكة ، حول سنة (١٥٠٠ م) ، واليك هذه الرواية (وقد حذفنا منها بعض حوادث من خوارق العادات) : قدم عالم عربي يدعى الشيخ عبد الله ، الى قويدة ، وزار الراجة ، وسأل عن ديانة البلاد ،

فأجابه الراجة " ديني ودين رعيتي كلها ، هو الذي وصل اليها من الشعب القديم ، اننا جميعا نعبد الاصنام " . فقال الشيخ : " ان انا سمعتم جلالتم قط شيئا عن الاسلام ، والقرآن الذي انزله الله على محمد ، ونسخ به كل الديانات الاخرى ، وتركها في حوزة الشيطان ؟ " فقال الراجة : " ان ارجو منك ، ان كان حقا ما تقول ، ان تعلمنا هذا الدين الجديد ، وتهدينا بنوره . " وتهلل الشيخ عبد الله تهلل الحماسة المقدسة لسؤال الراجة ايها هذا السؤال ، واحتضن الشيخ الراجة ، ثم فقهه في الدين . ولما اقتنع الراجة بتعاليم الشيخ ، ارسل في طلب آنية الارواح (التي طالما عكف عليها) وافرج ما فيها على الارض بيديه . بعد ذلك امر ان تحضر كل الاصنام التي في قصره ، فجمعت بين يديه اكوام من اصنام الذهب والفضة والطين والخشب ، وكسرها الشيخ عبد الله قطعا بسيفه وبفأس ، واحرقت الاجزاء في النار . وطلب الشيخ الراجة ان يجمع كل نساء القلعة والقصر . فلما قدمت جميعا في حضرة الراجة والشيخ ، تعلمن عقائد الاسلام . وكان الشيخ مهذبا لطيف المعشر ، كما كان جذابا رقيقا في لغته ، حتى انه جذب اليه قلوب ساكني القصر . ولم يلبث الراجة ان ارسل في طلب وزرائه الاربعة المسنين . ولما دخلوا البهو ، استولى عليهم الدهش حين رأوا شيخا يجلس الى جوار الراجة . فأبان لهم الراجة المهمة التي جاء من اجلها هذا الشيخ . وعندئذ اظهر الزعماء الاربعة استعدادهم للاقتداء بجلالته ، وقالوا : " اننا نأمل ان يعلمنا الشيخ عبد الله كذلك " . ولما سمع هذا الاخير هذه الكلمات ، احتضنهم ، وقال لهم انه يأمل ، لكي يبرهنوا على اخلاصهم ، ان

يستدعوا شعبهم بأسره الى بهو الاستقبال ، ويحضروا معهم كل الاصنام التي تعودوا ان يعبدوها ، والاصنام التي انتهت اليهم عن طريق آباءهم الاولين ، واجيب الشيخ الى طلبه ، واحضرت في الوقت المحدد كل الاصنام التي كان الشعب يحتفظ بها ، وهناك حطمت وحرقت واصبحت رمادا تذروه الرياح . ولم يأسف واحد منهم على ما اصاب آلهتهم الزائفة من الخراب والدمار ، وكانوا جميعا فرحين مستبشرين بدخولهم في حظيرة الاسلام . ثم سأل الشيخ عبد الله الوزراء الاربعة : " ما اسم اميركم ؟ " قالوا : " اسمه براونج مها وانجنا . قال الشيخ : " فدعونا نستبدل باسمه اسما بلفظة الاسلام " . وبعد تبادل الرأي ، طلب الراجة نفسه ان يحول اسمه الى السلطان مزلف الشاه ، لان الشيخ قد اكد انه اسم مشهور وانه ورد في القرآن .

والآن بنى الراجة المساجد في البقاع الاهلة بالسكان ، وامر بأن يلحق بكل مسجد اربعة واربعون شخصا على الاقل من السكان على ان يكونوا جماعة تقيم في المسجد وتعكف على العبادة ، لان اى عدد اقل من ذلك قد يكون غير كاف لتأدية الواجبات الدينية . ومن ثم بنيت المساجد ، والحق بها طبول كبيرة تدق لدعوة الناس الى صلاة الجمع . وظل الشيخ عبد الله ، وقتا ما ، يفقه الناس في الدين ، واثالوا عليه من جميع سواحل قويدة ومقاطعاتها وما جاورها وتعلموا على يديه صيغ الاسلام وشعائره .

وقد وصلت اخبار تحول سكان قويدة الى الاسلام على يد الشيخ عبد الله ، الى اتجيه ، فأرسل اليهم سلطان هذه البلاد ورجل يدعى الشيخ نور الدين ، وهو داع عربي ، كان قد قدم من مكة ،

بعض كتب ، ورسالة ، وهذا نص الرسالة : — " هذه الرسالة من سلطان اتجيه ونورالدين الى اخينا سلطان قويدة والشيخ عبد الله اليميني الذي يقيم الآن في قويدة . ارسلنا اليكم كتابين من كتب الدين حتى تتأكد دعائم العقيدة الاسلامية ، ويتعلم الناس واجباتهم وشعائر دينهم تعلموا كاملا " . وارسل الراجة والشيخ عبد الله رسالة يردان فيها على هذه الرسالة ، ويشكرانها على ما انعم به عليهما . ومن ثم ضاعف الشيخ عبد الله جهوده وبني زوايا في كل القرى على اختلافها بالاضافة الى ما فيها من المساجد ، ليكون الانتفاع عاما ، وعلم الناس كل احكام الدين وشعائره . وكان الراجة وزوجته ملازمين للشيخ ، يتعلمان قراءة القرآن . وبحث هذان الزوجان عن امرأة من نسل الراجات لتكون زوجة للشيخ . ولكن لم يرغب احد في ان يهب ابنته زوجة للشيخ ، لان هذا الرجل المقدس كان يوشك ان يعود الى بغداد ، وانه كان لا ينتظر الا ان يفرغ من تعليم شخص تعليميا كافيا يقوم مقامه بعد مغادرته البلاد . وكان للسلطان في ذلك الحين ثلاثة اولاد : راجه معظم شاه ، وراجة محمد شاه ، وراجة سليمان شاه : وهذه الاسماء كان الشيخ عبد الله قد اخذها من القرآن ، وخلعها على هؤلاء الامراء الذين اسدى هذا الشيخ النصح اليهم بأن يصطنعوا الصبر والاناة ، والا يسرع اليهم الغضب في معاشرتهم عبيد هم والطبقات الدنيا ، وان ينظروا بعين الشفقة والعطف الى عباد الله اجمعين ، والى الفقراء والمعوزين .

ولا يزعم زاعم ان اعمال الشيخ عبد الله قد كللت بنجاح تام ، لاننا نعلم من اخبار اتجيه ان احد سلاطين هذه البلاد ، وكان قد غزا قويدة في سنة ١٦٤٩ ، قد نصب نفسه " لان يؤسس الاسلام

في البلاد تأسيسا اقوى ثباتا ، ويخرب معابد الليار Liar - اى
هياكل الاصنام . وعلى ذلك ، كان قد مضى قرن ونصف قرن قبل
ان تستأصل شأفة الوثنية من هذه البلاد .

وليس لدينا اخبار اخرى مفصلة في تاريخ تحول اهالي شبه
جزيرة الملايو الى الاسلام ، ولكننا نجد في اماكن كثيرة اضرحة دعاة
العرب الذين كانوا اول من دعوا بينهم الى هذه العقيدة ، تلقى من
هؤلاء الناس تعظيما . وقد ادت معاشرتهم الطويلة للعرب ومسلمي
ساحل الهند الشرقي الى جعلهم محافظين شديدي التمسك بفروض
دينهم ، واشتهروا بين الناس بأنهم خير من يقتدى به من مسلمي
الارخبيل . كما ادى اتصالهم المستمر بالهندوكيين والبنوديين
والمسيحيين والوثنيين من سكان بلادهم ، الى جعلهم في الوقت نفسه
على جانب من التساهل والتسامح . وهم شديدي التمسك بالمحافظة
على صوم رمضان وتأدية فريضة الحج الى مكة . ويرون دائما ان المنافع
الدينية التي ينالها الناس ، انما هي في الوقت نفسه ، سعادة
دنيوية لهم . واذا وجدوا قرية بها اكثر من اربعين منزلا ، ورأوا ان
سعتها تستلزم تنظيمها وتعيين موظفين دائمين للقرية ، جعلوا من
بين افراد هؤلاء الموظفين داعيا يعظ الناس في الدين . وقد
بنوا بطريقة رسمية مسجدا واسسوه .

في سيام : وفي الشمال ، حيث تتاخم ولايات الملايو منطقة
سيام ، اثر الاسلام تأثيرا لا بأس به بين اهالي سيام من البوديين .
ويطلق على من دخلوا في الاسلام منهم السمس Samsams
وهم يتكلمون لغة هي رطانة مزيجة من لغتي الشعبين جميعها . كذلك
ادخل في الاسلام فريق من بين القبائل المتوحشة في شبه الجزيرة .

وان تاريخ انتشار الاسلام في الهند الصينية يحوطه الغموض
والابهام . ولا يبعد ان يكون تجار العرب والفرس قد ادخلوا
دينهم الى المدن الساحلية منذ القرن العاشر ، ولكن يعزى اهم
توسع لهذا الدين الى هجرات اهل الملايو التي بدأت في نهاية
القرن الرابع عشر .

في جاوه : والآن ، يجب ان نرجع الى وراء قرونا كثيرة ، لنتتبع
تاريخ تحول جاوة الى الاسلام . ولا شك ان الدعوة الى مبادئ الاسلام
واناعتها في اهالي هذه الجزيرة ، كانت كلها نتيجة لما قام به افراد
من التجار او من زعماء الجاليات الصغوية منذ وقت طويل ، فلم يكن في
جاوة قوة اسلامية مركزية تشع آثارها في مصلحة الدين الجديد ، او تفرض
قبول هذا الدين بالوسائل الحربية . بل على العكس من ذلك ،
اصبح دعاة المسلمين في هذه البلاد على ارتباط بالحضارة الهندوكية ،
التي كانت قد تغلغت اصولها في اعماق حياة تلك البلاد ، ورفعت
الجاويين الى مستوى عال من الثقافة والرقي ، ويظهر ذلك اكثراً
وضوحاً في تلك النظم والقوانين التي تختلف عن نظم بلاد العرب وقوانينها
اختلافاً جوهرياً . بل لقد اخفقت الشريعة الاسلامية ، الى الآن ، في
ان توطد دعائمها وتوطيدا كاملاً ، حتى في الاماكن التي تتغلب فيها
سيطرة الاسلام . وهنالك صراع دائم بين انصار عادات الملايو القديمة
وجماة الحاجي ، الذين عادوا بعد ان ادوا فريضة الحج في مكة ،
متحمسين متشدين في المحافظة على الشريعة الاسلامية . ومن ثم
كان لابد ان يخطو عمل التحول الى الاسلام خطوات بطيئة جداً .
ويمكن ان نقول في تأكيد مقبول انه في الوقت الذي نجد فيه ان من
الممكن ان نخلص جانباً من تاريخ هذه الحركة التي قامت على نشر

تعاليم الدعوة مما شابه من الاساطير والتقاليد ، نرى لزاما ان يبقى كثير من هذا التاريخ مجهولا لدينا جهلا تاما . ونجد في اخبار الملايو ، التي تفيدنا فيما تمدنا به من وصف لاول الداعين الى هذا الدين ، ان ما كان يدخل ، من غير شك في عمل اجيال كثيرة ، وما كان يجب ان يستمر في خلال قرون شتى ، نراه ينحصر في نطاق سنوات قلائل ، وتكتسب اسما قليلة معروفة ، كما يحدث غالباً في التواريخ الشعبية ، الشهرة والثقة ، وهي في الحقيقة ترجع الى ما قام به اسلافهم المجهولون من اعمال قوامها الصبر والاناقة . زد على ذلك ان الاعمال الهادئة العفة التي قام بها كثير من هؤلاء الدعاة ، لم تكن على الأرجح لتسترعي انتباه المؤرخ الذي كان بطبيعة الحال يصوب عنايته اولا وقبل كل شيء الى اعمال الملوك والامراء ومن كان على صلة وثيقة بهم . ونحن اذا نفقد مثل تلك المعرفة العظمى ، لا مفر من ان نرضى بتلك الحقائق التي وصلت اليها .

لذلك نرى ان نورد في الصفحات التالية ، صورة موجزة عن تأسيس الدين الاسلامي في هذه الجزيرة ، كما تصورها الاخبار القومية التي لاشك انها ، على الرغم من امتلائها بالتناقض والخرافات ، تقوم على اساس تاريخي ، ويدلنا على ذلك ما نقش على مقابر الشخصيات الهامة التي ذكرت في هذه الاخبار ، وعلى آثار المدن القديمة ونحو ذلك . لهذا لا بأس من ان نقبل الاخبار الآتية ، مع افتقارها الى دليل يثبت صحتها ، على انها صحيحة في جوهرها ، على ان نأخذ الحذر الذي سبقت الاشارة اليه ، من نسبة آثار فائقة مفرطة الى جهود افراد في نشر تعاليم الدعوة .

كان اول من قام بالمحاولة الاولى لادخال الاسلام الى جاوة ، رجل من اهالي هذه الجزيرة حول نهاية القرن الثاني عشر . وقد ترك

اول ملوك باجاجاران Pajajaran ، وهي ولاية في الجهة الغربية من الجزيرة ، ولدين : اما اكبرهما فقد آثر ان يـزاول التجارة ، وياشر بعثة تجارية ذاهبة الى بلاد الهند ، تاركا اخاه الاصغر الذي خلفه على العرش في سنة ١١٩٠ ، وتلقب بلقب برابو موندنج ساري Prabo Munding Sari . وفي اثني عشر تطواف ذلك الابن الأكبر ، لقي بعض تجار العرب ، فدخل في الاسلام على ايديهم ، واتخذ لنفسه اسم حاجي بروا . ولما عاد الى وطنه ، حاول بمعونة أحد دعاة العرب ان يدخل اخاه والاسرة المالكة في دينه الجديد ولكن جهوده لم تصادف نجاحا ، فهرب الى الادغال خوفا من الملك ورعاياه الكفار ولم نسمع عنه شيئا بعد ذلك .

وفي النصف الاخير من القرن الرابع عشر ، تكونت حركة للدعوة ، نالت نجاحا اعظم ، على يد شخص يدعى مولانا ملك ابراهيم ، وقد رسا على ساحل جاوة الشرقي مع اخوانه في الدين ، واستقر قريبا من بلدة جريسك Gresik ، وهي قبالة جزيرة مادورة . ويقال انه كان يرجع نسبه الى زين العابدين احد ابناء احفاد علي ، وانه كان ابن عم راجه تشر من Chermen . وهنا شغل نفسه في القيام بتحويل الناس الى الاسلام واهرز نجاحا في هذه السبيل ، وسرعان ما جمع حوله فئة قليلة من المؤمنين . واخيرا اتصل بابن عمه ، راجه تشر من الذي قدم الى هذه البلاد املا في ان يحول راجه ملكة ماجاباهيت Majapahit الهندوكي الى الاسلام وان يعقد معه حلفا بعرض زواج ابنته عليه . فلما وصل ارسل ابنه ، صادق محمد الى ماجاباهيت ليحدد وقتا للمقابلة ، على حين شغل هو نفسه ببناء

مسجد وتحويل السكان الى الاسلام . وكان من اثر ذلك ان تمت
مقابلة الاميرين ، ولكن قبل ان يتمكن من موالاة ذلك التأثير الذى
بلغوه في ذلك الحين ، تغشى مرض بين شعب راجه تشر من ، فقضى
على ابنته ، وثلاثة من ابناؤه ، كان قد صحبهم معه ، وفريقا عظيما
من رجال حاشيته ، ومن ثم عاد هو الى مملكته . وقد جعلت هذه
الكوارث عقلية راجه ما جابهت تتعامل على هذا الدين الجديد ،
الذى كان ينبغي ، كما قال هذا الراجه ، ان يكون من الاصول
حماية معتنقيه . وكان من اثر ذلك ان اخفقت البعثة . على ان مولانا
ابراهيم تخلف ، ليتعهد مقابر ذويه واخوانه في الدين ، اما هو فقد
قضى نحبه بعد ذلك باحدى وعشرين سنة ، وذلك سنة ١٤١٩ ،
ودفن في جريسك حيث لا يزال المسلمون يعظمون قبره ويعدونه
اول رسل الاسلام الى جاوه .

ويذكر احد مسلمي الصين ، وكان قد صحب سفارة امبراطور
الصين الى جاوة في وظيفة مترجم ، قبل موت مولانا ابراهيم بسنت
سنوات ، اى في سنة ١٤١٣ ، قدوم اخوانه في الدين في هذه
الجزيرة تحت عنوان " وصف عام لسواحل المحيط " ، حيث يقول :
" في هذه البلاد ثلاثة انواع من الشعب : الاول المسلمون الذين
جاءوا من الغرب واستقروا هنا ، وزيهم وطعامهم نظيف مناسب ،
والثاني الصينيون الذين هربوا واستوطنوا هنا ، وما يأكلون
ويستخدمون بديع جدا كذلك ، وكثير منهم قد اعتقدوا الديـ
الاسلامي وحافظوا على تعاليمه . والثالث الاهالي الذين على جانب
عظيم من القبح والفظاظة ، وهم يجيعون ويذهبون حفاة حاسرى
الروءوس ، ويعتقدون في الشياطين في نخشوع وتبتل . ولكون بلادهم
معروفة بذلك اطلق عليها في كتب البوذية بلاد الشيطان .

والآن تقترب من الفترة التي أصبح فيها لحكم المسلمين السيادة في الجزيرة ، بعد ان تسرب دينهم اليها بما يقرب من قرن . وهنا نرى لزاما ان ندخل في تفصيلات التاريخ ، على نحو اكثر دقة نوعا ما ، لكي نبين ان ذلك لم يكن نتيجة اية حركة قوامها التعصب الديني ، اثارها العرب ، بل نتيجة ثورة قام بها اهالي البلاد انفسهم . الذين (مع انهم بطبيعة الحال اكتسبوا القوة من وراء ارتباطهم برباط دين مشترك) حرضوا على ان يجمعوا كلمتهم لينتزعوا السلطة العليا من ايدي ساكنيهم الوثنيين ، لا بالدعوة الى حرب دينية ، ولكن عن طريق ماوجه احد المطالبين بالعرش من الطامحين وكان قد لحقه ظلم ، من تحذير وانذار ، فأراد التشفي والانتقام .

ونستطيع ان نصف الحالة السياسية في الجزيرة كما يلي : — كانت الامارات الوسطى والشرقية من الجزيرة ، وكانت اكثر الامارات ثروة وعمرا ، وأبعدها تقدما نحو المدنية ، تحت سلطان دولة ماجاباهيت الهندوكية . وفي أقصى الغرب ، نجد تشريبون Cheribon وامارات اخرى كثيرة ، صغيرة مستقلة ، حين كان سائر الجزيرة ، ويشمل كل المقاطعات الواقعة في أقصى حدودها الغربية ، خاضعا لملك باجاجاران .

كان ملك ماجاباهيت قد تزوج من ابنة امير تشاميا Champa وهي ولاية صغيرة في كامبوديا شرقي خليج سيام . ولما كانت تغار من احدى جوارى الملك الحظيات ، بعث الملك بهذه الجارية الى ابنة آريه دامو Arya Damar حاكم بالينج Palembang في سومطرة حيث انجبت منه ابنا اسمه رادن بتاه Raden Patah وقد ربي على انه احد ابناء الحاكم . وقد ر لهذا الطفل بعد سنوات

(كما سنرى) ان يقدم على انتقام فظيع من جراء المعاملة القاسية التي لقيها من امه . وكانت بنت اخرى من بنات امير تشامبا قد تزوجت من عربي كان قد قدم الى تشامبا للدعوة الى الاسلام . ومن هذا الزواج ، ولد رادن رحمت ^{aden Rahmat} الذي اعتنق والده بتربيته على الدين الاسلامي ، ولا يزال الجاويون يعظمونه باعتباره اعظم رسل الاسلام الى بلادهم ، ولما بلغ العشرين من عمره ، بعث به ابواه ومنعه رسائل وهدايا الى عظم ملك ماجاباهيت وفي طريقه ، مكث شهرين في بالمنج ، ضيفا على ابيه دمر الذي كان ان يقنعه رادن رحمت اعتقاد الاسلام ، الا انه لم يجسر على ان يجهر باسلامه خوفا من الشعب الذي كان متمسكا اشد التمسك بتقاليد القديمة . وواصل رحلته حتى بلغ جريسك حيث رحب به احد دعاة العرب ، واسمه الشيخ مولانا جمادى الكبرى ، باعتباره رسول الاسلام المنتظر الى جاوة الشرقية ، وتنبا بأن يكون زوال الوثنية على يديه ، وبأن اعماله ستكلل بدخول كثير من الناس في هذا الدين . وقد قوبل في ماجاباهيت بترحاب عظيم ، من ملك تشامبا واميرتها . وعلى الرغم من ان الملك كان نفسه غير راغب في الدخول في الاسلام ، حمل لرادن رحمت مودة واحتراما ، حتى انه عينه حاكما على ثلاثة آلاف اسرة في امبل ^{Ampel} على الساحل الشرقي ، على مقربة من جريسك الى الجنوب ، وسمح له بأن يقيم شعائره الدينية ، وان يدخل من يشاء في الاسلام . وبعد وقت قصير ، جذب الى الاسلام معظم هؤلاء الذين كانوا تحت سلطته .

ومنذ ذلك الحين ، كانت امبل مقر الاسلام الرئيسي في جاوه ، وذاعت شهرة الحاكم الذي كان يعمل في حملة بالغة للدعوة الى

دينه ، وطبقت شهرته الاقاق . ومن ثم قدم الى اميل شخص يدعى مولانا اسحاق ، ليمد له يد المساعدة في تحويل الناس الى هذا الدين ، وعهد اليه في مهمة نشر الاسلام في مملكة بلمينجــــــــــــن Balambangan في اقصى الحدود الشرقية لهذه الجزيرة . وهنا شفى ابنة الملك التي كانت مصابة بمرض عضال ، فوهبها ابوها البار زوجة لهذا الشيخ . واعتقدت دين الاسلام وتحمست لــــه ، واباح ابوها لنفسه ان يتلقى تعاليم الاسلام ، ولكنه حين حشــــه مولانا على ان يجهر بهذا الدين ، كما كان قد وعده ذلك اذا شفيت ابنته على يديه ، طرده من مملكته ، وامر بأن يقتل الطفل الذى كانت بنته توشك ان تضعه . ولكن الام بعثت بالطفل خفية الى جريسك الى ارملة مسلمة غنية ، فربته كأحسن ما تربى الام ابنتها ، وعلمته حتى بلغ الثانية عشرة من عمره ، فأسلمته الى رادن رحمت ليتعهده ويرعاه . وبعد ان عرف قصة هذا الطفل ، سماه رادن باكو ، وبعد وقت ، زوجه من ابنته كذلك . بعد ذلك بنى رادن باكو مسجدا في جبرى Giri في الجنوب الغربي من جريسك ، حيث ادخل في الدين آلافا من الناس . وبلغ من عظم نفوذه ان عينه ملك ماجاباهيت بعد وفاة رادن رحمت ، حاكما على اميل وجريسك . وفي هذه الاثناء ، تألفت بعوث دينية كثيرة من جريسك . واستقر ولــــد رادن رحمت من جهات شتى من الساحل الشمالي الشرقي ، وزاغت شهرتهم بفضل حماسهم الدينية ، وادخل كثير من سكان هذه الجهات في الاسلام . كذلك ارسل رادن رحمت داعيا ، يدعى الشيخ خليفة حسنين ، الى جزيرة مادورة المجاورة ، حيث بنى مسجدا وكسب كثيرا من الناس للاسلام .

والآن نرجع الى ابيه دمر ، حاكم بالهنج . ويظهر انه ربي
ابناءه على الدين الذى خشى هوان يجهر به ، وحينذاك ارسل
رادن بتاه ، عندما بلغ العشرين من عمره ، مع اخيه في الرضاعة ،
رادن حسين ، وكان اصغر منه بسنتين ، الى جاوه حيث نزلا في
جريسك . ورفض رادن بتاه ان يصحب اخاه في الرضاعة الى
ماجابهيت ، لانه كان يعلم تمام العلم منبته ونسبه ، ساخطا على
المعاملة القاسية التي كانت امه قد لقيتها ، ولكنه بقي في اميل مع
رادن رحمت ، على حين واصل رادن حسين سفره الى الحاضرة
حيث احتفى به ، ووكل اليه امر مقاطعة من المقاطعات ، واصبح
فيما بعد قائد الجيش .

في هذه الاثناء ، تزوج رادن بتاه من حفيدة رادن رحمت ،
وكون مؤسسة في مكان يدعى بنتره Bintara ، وكان يتميز
بقوته الطبيعية العظيمة ، في وسط بقعة مليئة بالآجام ، غربي
جريسك . ولم يكد يسمع ملك ماجابهيت عن هذه الجالية الجديدة ،
حتى بعث برادن حسين الى اخيه يستقدمه الى الحاضرة ، ويطلب
اليه تقديم الطاعة للملك . وقد حمله رادن حسين على ان يفعل
ذلك ، فذهب الى البلاط حيث فطن الناس في الحال الى مشابته
الملك ، وحيث قوبل بترحاب ، وعين رسميا حاكما على بنتره . ولما
كان لا يزال يتحرق الى الانتقام ويجنح الى تخريب ملكة والده ، عاد
الى اميل ، حيث افضى بخططه الى رادن رحمت . وحاول هذا
الاخير ان يلفظ من غضبه ، مذكرا اياه انه لم يلق قط على يدي ابيه
ملك ماجابهيت ، الا كل لطف ورعاية ، وانه في الوقت الذى كان فيه
الامير على جانب عظيم من العدل واكتساب محبة الناس ، ابي عليه

دينه ان يعلن حربا او يلحق به اذى بحال من الاحوال . على ان
بتاه لم يقتنع بتلك النصائح (كما يتضح ذلك فيما بعد) ، فعاد
الى بنتره ، وكانت في ذلك الحين تزداد اهميتها ويكثر سكانها
يوما بعد يوم ، على حين كانت جماعات كبيرة من الاهالي في البلاد
المحيطة تدخل في الاسلام . وكان قد وضع خطة لبناء مسجد عظيم ،
ولكن بعد ان بدأ بناء هذا المسجد بوقت قصير ، وصلت الاخبار
بأن رادن رحمت قد اصاب بداء عياء . فأسرع رادن بتاه الى ابل ،
حيث الفى رؤساء الدعوة الى الاسلام يجتمعون حول فراشه ،
وينظرون اليه باعتباره زعيما لهم . وكان من بينهم ولدا رادن رحمت ،
وقد تقدم ذكرهما ، ورادن باكو الذى كان يقيم في جبرى ، وخمسة
اشخاص آخرين . ولفظ رادن رحمت نفسه الاخير بعد ايام قليلة ،
فزالت بذلك العقبة الوحيدة الباقية التي كانت تقف في سبيل خطط
رادن بتاه الانتقامية ، وصحبه الزعماء الثمانية عائد بين الى بنتره حيث
اعانوه على اتمام بناء المسجد . وقد اخذوا عهدا على انفسهم
ان يساعدوه في محاولته ضد ماجاباهيت . وارتبط الامراء المسلمون
جميعا بهذا الحلف ، عدا رادن حسين الذى ظل مخلصا
لسيده هو واتباعه جميعا ، وابتلى ان يدلي بدلوه مع اخوانه في الدين
الناثرين .

وتبع ذلك حملة طويلة الامد ، لا حاجة بنا الى الدخول في
تفصيلاتها ، ولكن في سنة ١٤٧٨ ، بعد ان نشب قتال مستعر
دام سبعة ايام ، هزم ماجاباهيت ، وحلت السلطة الاسلانية محل
السيادة الهندوكية في جاوة الشرقية . وبعد ذلك بوقت قصير ،
حوصر رادن حسين واتباعه في مكان حصين ، واضطر الى التسليم ،

وسيق الى امل ، حيث قابله اخوه مقابلة لطيفة . وهرب عدد كبير من الذين ظلوا مخلصين لديانتهم الهندوكية القديمة في سنة ١٤٨١ الى جزيرة بالي ، حيث لاتزال عبادة سيوه هي الديانة السائدة . ويظهر ان آخرين كونوا ممالك صغيرة بقيادة امراء بيت ماجاباهيت الذي ظل وقتا ما على وثنيته ، بعد ان سقطت قاعدة الهندوكيين الكينية .

ولقد ظل اهالي جاوة الوسطى على وثنيتهم وقتا طويلا ، حتى في ظل رؤساء المسلمين ، وكان تقدم الاسلام نحو الجنوب من المراكز الاولى للدعوة على الساحل الشمالي نتيجة عمل قرون . ويتجلى بوضوح تأثير عقيدتهم الهندوكية القديمة حتى الوقت الحاضر ، في الافكار الدينية لاهالي جاوة الوسطى من المسلمين . ومن الادلة الواضحة على تلك الجذور العميقة التي اقتها الديانة الهندوكية في هذه الجهة من الجزيرة ، تلك الحقيقة ، وهي ان الرجوع الى كتب القوانين الهندية ومجموعة قوانين مانو بوجه خاص ، لم تتقهقر امام مجموعة القوانين التي كانت اكثر تمشيا مع روح التشريع الاسلامي ، الا في سنة ١٧٦٨ .

دخل الاسلام الى الجهات الشرقية من الجزيرة بعد ذلك بسنوات قلائل ، وربما كان ذلك في اوائل القرن التالي ، بسبب نشاط الدعوة الذي اظهره الشيخ نور الدين ابراهيم احد اهالي تشرييون . وقد كسب لنفسه شهرة عظيمة لشفائه امرأة كانت مصابة بالجدام . وكان من اثر ذلك ان آلافا من الناس جاءوا اليه ليتعلموا شعائر الدين الجديد . وقد حاول من جاوره من الزعماء ان يناهضوا هذه الحركة اول الامر . ولكنهم لما وجدوا ان معارضتهم لاطائل

تحتها سمحوا لانفسهم ان يجروا مع التيار ، ودخل كثير منهم في الاسلام . وارسل الشيخ نورالدين ابراهيم التشريريني ، ابنه مولانا حسن الدين ، يدعو الى الاسلام في بنتام ، اكثر ولايات الجزيرة انحرافا نحو الغرب ، واحدى ملحقات مملكة باجاجاران الوثنية وهنا تكلفت جهوده بنجاح عظيم ، بين الداخلين في الاسلام الذين كانوا طائفة من النساك ، يبلغ عددهم ٨٠٠ . وتذكر اخبار هذه الجهة من البلاد ، بنوع خاص ، ان الامير الشاب قد كسب هؤلاء الذين دخلوا في الاسلام على يديه ، بوسائل الاقناع اللطيفة وحدها ، وليس بحد السيف . بعد ذلك ذهب مع ابيه الى مكة لتأدية فريضة الحج ، وعند عودته ، بسط نفوذه على ساحل سومطرة القريب من بلاده ، دون ان يمتشق سلاحا ، واجتذب الذين دخلوا في الاسلام على يديه بالوسائل السلمية وحدها .

ولكن يظهر ان تقدم الاسلام غربي جاوة كان ابطأ بكثير منه في شرقيها . فقد تبع ذلك ان قام نزاع طويل بين عباد الاله سيوه واتباع النبي ، ولا يبعد ان تكون مملكة باجاجاران الهندوكية ، التي يظهر انها باشرت السيادة على الامارات في الجهة الغربية من الجزيرة ، في وقت واحد من تاريخ جاوة ، لم تصل الى نهايتها الا في اواسط القرن السادس عشر ، على حين ظلت طوائف وثنية اخرى اقل عددا ، باقية حتى عصر احدث من ذلك بكثير - بل ظل بعضها حتى الوقت الحاضر . ولا حدى هذه الطوائف ، وتسمى البدوى Baduwis ، تاريخ ذواهمية خاصة . وهم ذرية قم من اشباع الدين القديم ، هربوا بعد سقوط باجاجاران الى الغابات ومخابيء الجبال ليتمكنوا من موالاة اقامة شعائر دين

وثنيتهم قرونا بعد قيام الممالك الاسلامية في الجزيرة . وجميع
اهالي جاوة في الوقت الحاضر مسلمون ، عدا قلة ليس لها شأن يذكر
ومع ان كثيرا من الخرافات والعادات قد بقي بينهم من ايام اجدادهم
الوثنيين ، لا يزال الميل يتجه دائما الى ارشاد التفكير والسلوك
على هدى تعاليم الاسلام . وقد سارت جهود التحويل الى الاسلام
تلك المدة الطويلة قدما في هدوء وتدرج ، كما يرجع نمو الولاءات
الاسلامية في الجزيرة الى تاريخها السياسي اكثر من ان يكون راجعا
الى تاريخها الديني ، ذلك ان ما احرزته الدين من تقدم كان نتيجة
اعمال الدعاة اكثر من ان يكون نتيجة اعمال الامراء .

وفي الوقت الذي كان مسلمو جاوة يتآمرون على الحكومة
الهندوكية ويضعون حكم البلاد في ايديهم بالقوة والعنف ، كانت
تدبر ثورة لا تحمل في طياتها الا طابع الهدوء ، في سائر اجزاء
الارخبيل ، عن طريق الدعوة الى الاسلام التي قام بها الدعاة الذين
كانوا يحرزون نجاحا بطيئا ، ولكنه كان مؤكدا ، فيما بذلوه من جهود
في نشر تعاليم الدعوة ولنوجه عنايتنا اولا الى تاريخ حركة الدعاة
هذه في جزائر ملوكس .

في ملوكس : ولا بد ان تكون تجارة القرنفل قد ادت الى
ارتباط اهل ملوكس بسكان الجزائر في النصف الغربي من الارخبيل
منذ ازمان مبكرة جدا ، ونشر الجاويين الذين دخلوا في الاسلام ،
واهل الملايو الآخرون الذين قدموا الى هذه الجزائر للتجارة ، دينهم
بين سكان الساحل . ويرجع رفاق ماجلان Magellan هذا
الى قصة عجيبة ، عن الطريقة التي ادخل بها هؤلاء الرفاق عقائد
الدينية بين اهالي ملوكس : " بدأ ملوك هذه الجزائر ، قبل قدوم

اجدادهم . وفي عصور احدث من ذلك ، عندما ادعوا لحكم سلطان بنتام المسلم ، سمح لهم ان يواصلوا اقامة شعائرهم الدينية ، على شريطة الا يسمح لهم بزيادة الجماعات التي تجهر بالعقيدة الوثنية . ومن الغريب ان يقال انهم لا يزالون يحافظون على هذه العادة ، على الرغم من ان الحكم الهولندي قد توطدت دعائمه في جاوة مدة طويلة ، وانه يحررهم من ضرورة الاذعان لما اتفقوا عليه منذ القدم . وهم يحدون عددهم تحديدا دقيقا ، بحيث لا يتجاوز اربعين اسرة ، فاذا زادت الجماعة على هذا الحد ، وجب على اسرة او اكثر ان يتركوا النطاق الداخلي الذي يقيمون فيه ، ويستقروا بين الاهالي المسلمين في احدى القرى المحيطة بهم .

ولكن على الرغم من ان عمل التحويل الى الاسلام في غرب جاوة كان ابطاً منه في سائر جهات الجزيرة ، كان انتصار الاسلام على العبادة الوثنية التي حل هذا الدين محلها ، اتم منه في المقاطعات التي كانت اسرع في الانصواء تحت حكم راجيات ماجاباهيت ، وانما يرجع ذلك بنوع خاص ، الى تلك الحقيقة ، وهي ان الديانة الهندوكية لم تكن قد تغلغلت بين الشعب في هذه البقعة ، كما تغلغلت في وسط الجزيرة . والشريعة الاسلامية هنا قوة حيوية ، كما ان الحضارة التي جلبت من بلاد العرب الى هذه البلاد ، عند اتسقت مع الحكومة وحياة الشعب . وقد لاحظنا ان مسلمي غربي جاوة في الوقت الحاضر ، وهم الذين يدرسون ديانتهم دراسة تامة ويؤدون فريضة الحج في مكة يولفون في العادة ، اشد طبقات الاهالي نجاسة ورفاهية .

ولقد رأينا من قبل ان طوائف كبيرة من الجاويين ظلوا على

الاسبانيين بسنوات قليلة يعتقدون خلود الروح ، ولم يقتنعوا الا بحجة واحدة ، وهي انهم كانوا قد رأوا طائرا صغيرا رائع الجمال لا نظير له على الارض ، ولا على اى شي* يتعلق بالارض . وقد اخبرهم المسلمون الذين كانوا يزاولون التجارة في هذه الجزائر ، ان هذا الطائر الصغير قد ولد في الجنة ، وان هذه الجنة هي المكان الذى تستريح فيه ارواح الموتى . ولهذا السبب ، انضم السادة الى طائفة المسلمين لانها تعد لهم اشياء كثيرة عجيبة في هذا المكان الذى تستريح فيه الارواح .

ويظهر ان الاسلام بدأ يحرز تقدما لاول مرة في هذه البقعة في القرن الخامس عشر . وقد ادعى ملك تيدور الوثنى لما قدمه اليه عربي يدعى الشيخ منصور من اقناع ، واعتقد الاسلام مع كثير من رعاياه .
Tjireli Lijatu

وايدل باسم الملك الوثنى ، تجيريلي ليجاتو
اسم جمال الدين ، كما سعى اكبر ابنائه منصورا على اسم معلمهم العربي . وكان هذا الامير الاخير هو الذى اكرم وفادة البعثنة الاسبانية التي وصلت الى تيدور في سنة ١٥٢١ ، بعد ان لاقى مجلان حنفته المشعوم بزمان قصير . ويسميه بيجافتا ، مؤرخ هذه البعثنة ، باسم ريا سلطان موزور
Raia Sultan Mauzor

يهقول ان عمره كان يزيد على خمس وخمسين سنة ، وانه لم يمض اكثر من خمسين سنة على قدوم المسلمين للاقامة في هذه الجزائر .

ويظهر ان الاسلام قد رسخت قدمه في جزيرة ترنات المجاورة قبل ذلك بوقت قصير . فقد اخبر سكان هذه الجزيرة البرتغاليين ، الذين قدموا الى هذه الجزيرة في نفس السنة التي وصل فيها الاسبان الى تيدور ، ان الاسلام كان قد دخل في بلادهم منذ اكثر من ثمانين سنة بزمان وجيز .

ويروى البرتغاليون كذلك ، ان سلطان ترنات كان اول زعماء ملوكس الذين اصبحوا مسلمين . وتحكي اسطورة دخول الاسلام الى هذه الجزيرة كيف اثار احد التجار ، ويدعى داتو ملا حسين ، حب الاستطلاع في نفوس الشعب عندما رآوه يتلو القرآن بصوت عال على مشهد منهم . وقد حاولوا تقليد الحروف المكتوبة في المصحف ، ولكنهم عجزوا عن قراءتها ، فسألوا التاجر كيف تمكن من قراءتها ، على حين عجزوا فهم عن ان يفعلوا ذلك . فأجاب ان من الواجب عليهم اولاً ان يؤمنوا بالله ورسوله . ومن ثم اعربوا عن رغبتهم في قبول تعاليمه ، وانتهوا الى الدخول في العقيدة . وقد قيل ان سلطان ترنات الذي تبوأ ارفع مكانة بين الحكام المستقلين في هذه الجزائر ، قام برحلة الى حريسك في جاوة ، ليعتقد الدين الاسلامي هناك في سنة ١٤٩٥ ، وقد ساعده فيما بذل من جهود لنشر الدعوة شخص يدعى بتاه Pati Putah ، وكان قد قام برحلة من هيتو فسي امبوينا الى جاوة ليتعلم عقائد الدين الجديد ، وينشر معارف الاسلام بين شعب امبوينا بعد عودته . على انه يظهر ان الاسلام لم يخط اول الامر نحو التقدم الا خطوات بطيئة ، وانه لقي معارضة كبيرة من سكان هذه الجزائر ، الذين تشبثوا بخرافاتهم واساطيرهم القديمة في حماسة وغيرة ، حتى ان الوثنية القديمة ظلت فترة من الزمن مشوبة بتعاليم القرآن ، جاعلة عقول الشعب في حالة مستمرة من القلق كذلك جعلت فزوة البرتغاليين تقدم الاسلام ابطأ مما قد يكون لو ان هذه الفزوة لم تحدث . فقد طردوا القاضي ، الذي وجدوه ينفقه الناس في عقائد محمد ، ونشروا المسيحية بين الاهالي الوثنيين ، ولقوا في ذلك شيئاً من النجاح ، وان كان قصير الامد . ذلك انه عند ما

استغل اهل ملوكس انصراف البرتغاليين الذين اشتغلوا بتاعبهم الوطنية الخاصة ، في النصف الاخير من القرن السادس عشر ، وحاولوا التخلص من سلطانهم ، دبروا اضطهادا عنيفا في وجه المسيحيين الذين استشهد كثير منهم ، وارثد آخرون منهم عن ديانتهم ، حتى لم يعد للمسيحية ذلك الشأن الذي كان لها من قبل . ومنذ ذلك الحين ، هيأت مناهضة سلطة المسيحيين صدرا ارحب لقبول المعلمين المسلمين الذين جاءوا من الغرب في جموع تزداد شيئا فشيئا . وقد اجهز الهولنديون على المسيحية في ملوكس بطرد الاسبان والبرتغاليين من هذه الجزائر في القرن السابع عشر ، ومن ثم حمل الاباء اليسوعيون البقية الباقية القليلة من مسيحي ترنات معهم الى جزائر الفيلبيين .

ومن هذه الجزائر ، انتشر الاسلام في سائر ملوكس ، سعان الذين دخلوا في الاسلام كانوا مقصورين فترة من الزمن على سكان الساحل . وقد جاء معظم الذين دخلوا في الاسلام من بين سكان الملايو الذين يؤلفون جميع اهالي الجزائر الصغرى ، ولكنهم يسكنون في الاراضي الساحلية ، من الجزائر الكبرى وحدها ، على حين يسكن الالفور Alfurs في المناطق الداخلية . ولكن الذين دخلوا في الاسلام في عصور حديثة قد اخذوا من بين هؤلاء الالفور كذلك . بل كان هنالك في عهد مبكر جدا ، في سنة ١٥٢١ ، ملك مسلم لولاية جيلولو Gilolo على الجانب الغربي من الطرف الشمالي لجزيرة هليماهيرا . وفي ازمان حديثة ، ادى وجود قوانين خاصة ، سنت لمصلحة دين الدولة ، الى تسهيل تقدم الدين الاسلامي ، الى حد ما ، بين الالفور الساكنين في المناطق الكبرى ، من هذه القوانين انه اذا ثبت ان اى فرد منهم كان يعاشر فتاة مسلمة معاشرة

غير شرعية ، وجب عليه ان يتزوجها ، وان يدحل في الاسلام ، وان اية امرأة من الالفور تتزوج من مسلم وجب ان تعتقد دين زوجها . وقد يكفر المرء عما يقترف من آثام يعاقب عليها القانون ، بالتحول الى الاسلام . و اذا اريد شغل منصب شاغر من مناصب الرؤساء ، فانه لا ينظر الى مؤهلات المرشح القانونية ، بقدر ما ينظر الى استعداد له لاعتقاد الاسلام .

في بورنيو : وعلى هذا النحو ، ينحصر المسلمون في بورنيو غالبا على الساحل ، مع ان الاسلام قد كسب نفوذا في الجزيرة فـي عهد مبكر ، اعني في مستهل القرن السادس عشر وحول هذا الوقت ، اعتقد هذا الدين شعب بنجرماسين Banjarماسين ، وهي مملكة على الجانب الجنوبي ، كانت خاضعة لمملكة ماجاباهيت الهندوكية ، حتى دالت في سنة ١٤٧٨ . ويرجع الفضل فـي دخولهم في الاسلام الى احدى الولايات الاسلامية التي قامت على انقاض مملكة ماجاباهيت . والقصة هي ان شعب بنجرماسين طلب المساعدة لقمع احدى الثورات ، وان هذه المساعدة قدمت لهم على شريطة ان يعتقدوا الدين الجديد ، ومن ثم قدم عدد من المسلمين من جاوة ، وقضوا على الثورة ، وعملوا بهذا الشرط فتحولوا الى الاسلام . وعلى الساحل الشمالي الغربي ، وجد الاسبان ملكا مسلما في بروناي Brunai ، عندما بلغوا هذا المكان في سنة ١٥٢١ . وبعد ذلك بقليل ، اعني في سنة ١٥٥٠ ، دخل الاسلام الى مملكة سوكدنه Sukadana ، في الجانب الغربي للجزيرة ، على ايدي العرب الذين جاءوا من بالبنج في سومطرة . وابى الملك الحاكم ان يترك دين آباءه ، ولكن يبدو ان الدين الجديد ، في غضون الاربعين سنة التي انقضت قبل موته (في سنة ١٥٩٠) قد احرز

تقدما كبيرا ، واصبح خليفته على العرش مسلما ، وتزوج بنت امير من امراء الجزيرة المجاورة ، التي كان الاسلام فيها قد توطدت دعائمه توطدا ظاهرا منذ وقت طويل ، ويتحدث رحالة في عهده ، زار الجزيرة في سنة ١٦٠٠ عن الاسلام باعتباره الدين الشائع على طول الساحل . على ان سكان المنطقة الداخلية ، كما يخبرنا ، كانوا جميعا وثنيين — واكثرهم في الواقع لا يزال في وثنيته حتى الوقت الحاضر . ويظهر ان تقدم الاسلام في مملكة سوكندن قد لفت الانظار مركز العالم الاسلامي الى تلك البقعة النائية ، وفي عهد الاخير الذي خلفه ، قدم شخص يدعى الشيخ شمس الدين من مكة يحمل هدية تتألف من نسخة من القرآن ، وخاتم موضوع بحجر يمني كبير ، مع كتاب ذكر فيه ان هذا الذائد عن الدين ، قد منح لقب شرف سلطان محمد صفى الدين .

وفي النصف الاخير من القرن الثامن عشر ، قيل ان احدى القبائل التي تسكن في الداخل ، وتسمى قبيلة ايدان *Idaans* وكانت تقطن في المنطقة الداخلية من شمال رورنيو ، كانت تنظر الى مسلمي الساحل نظرة ملوءها الاحترام والتقدير ، باعتبار انهم يعتقدون ديانة لم يدن بها افراد هذه القبيلة انفسهم . ويخبرنا دالرايمبل *Dalrymple* ، الذي استقى معلوماته عن قبيلة ايدان التي تقيم في بورنيو ، في اثناء زيارته الى سولو *Sulu* من سنة ١٧٦١ الى ١٧٦٤ ، ان افراد هذه القبيلة " يكتسبون اسفا صادقا على جهالتهم ، وفكرة وضیعة عن انفسهم لهذا السبب عينه ، ذلك انهم ، عندما كانوا يأتون الى دور المسلمين او سفنهم ، راهم يظهرهم لهم اشد الوان التبجيل والاحترام ، باعتباره هم ذوي

عقول اسى من عقولهم ، ولا نهم يعرفون خالقهم . وهم لا يجلسون في المكان الذي ينام فيه المسلمون ، ولا يضعون اصابعهم في نفس التشونان او علية الفلفل ، ولكنهم يأخذون قليلا منها في خضوع بالغ ، وهم ، في كل مثال ، يعبرون ، بأشد ميولهم واشاراتهم ضعة وحقارة ، عما يضمونه من تعظيم للاله الذي لا يعرفونه ، بما يظهرهونه من احترام وتوقير لهؤلاء الذين عرفوا ذلك الاله . ويلوح ان هذا الشعب قد اعتقد الاسلام منذ ذلك الحين ، وهذا من الشواهد الكثيرة التي تدل على التأثير القوي الذي احدثه الاسلام في القبائل التي بلغت احوط درجات المدنية . وقد تحدثت حالات من الدخول في الاسلام ، من حين الى حين ، بين الجاليات المختلفة ، كالعرب ، والبيوجي Bugis ، واهالي الملايئو ، والصينيين (الذين كانوا قد استوطنوا هذه البقاع منذ القرن السابع) والعبيد الذين دخلوا الى هذه الجزيرة من اقطار مختلفة ، حتى ان مسلمي بورنيو في الوقت الحاضر ، يكونون جنسا خليطا من كثير من العناصر . وكان كثير من هؤلاء الغرباء لا يزالون على وثنيتهم ، عندما قدموا لاول مرة الى بورنيو ، وكانوا ارقى حضارة من قبائل الدياك Dyaks الذين غزاهم هؤلاء الغرباء ، وطردوهم الى اداخل حيث لا يزال السواد الاعظم منهم على وثنيته ، اللهم الا في الجانب الغربي للجزيرة ، حيث تعتقد الاسلام قبائل قليلة العدد من الدياك من حين الى حين . وعند ما كان الوثنيون من قبائل الدياك يغفرون عقيدتهم ، كان الاعم الاغلب انهم كانوا اكثر خضوعا للمؤثرات الاسلامية ، منهم للتبشير المسيحي ، او كانوا يدخلون اولا في المسيحية ، ثم يتحولون الى الاسلام ، ويبدل المسلمون

جهودا تنطوى على الحماسة ، لاكتساب الداخلين في الاسلام من بين الدياك الوثنيين والمسيحيين على سواء .

في سليبيين : على هذا النحو ، نجد الدين الاسلامي ينمو نموا بطيئا في جزيرة Celebs ، بعد ان نبت بين سكان الساحل ، وشق طريقه ببطء نحو الداخل . على انه لم يعتقدا الاسلام الا الجانب الارقى مدنية من السكان . وينقسم هذا الجانب الى قبيلتين : قبيلة مكسر Macassar والبوجي Bugis الذين يسكنون في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة ، هذا الى ان البوجي كذلك ، يكونون نسبة كبيرة من اهالي الساحل في اشباه الجزائر الاخرى . ولا يزال الاهالي الذين يقيمون في داخل الجزيرة على وثنييتهم ، عدا الجنوب الغربي لشبه الجزيرة ، حيث يعتقد الاسلام جميع السكان تقريبا ، واكثر سكان الداخل من الالفور ، وهم شعب منحط في مستوى الحضارة ، ويكون السوان الاعظم من سكان الشمال والشرق والجنوب الشرقي من اشباه الجزائر . وفي اقصى اول اشباه الجزائر هذه ، اى في ميناهسا Minahassa ، دخل الناس في المسيحية في جموع كبيرة ، ولم يشق المسلمون طريقهم الى هذه البقعة الا بعد ان رسخت اقدام البرتغاليين في هذه الجهة من الجزيرة ، ونجد الالفور الذين حولهم البرتغاليون الى الكاثوليكية الرومانية ، ينقلبون بروستانتيين على يد الهولنديين ، الذين قام بمشروهم بأعمالهم في ميناهسا ، ولقوا نجاحا عظيما جدا في هذه السبيل . ولكن الاسلام يشق طريقه في بطة بين القبائل الوثنية من الالفور في جهات شتى من الجزيرة ، سواء في المقاطعات التي تدبرها الحكومة الهولندية مباشرة ، او في تلك التي كانت تحت ظل

حكم الروءساء الوطنيين . وعندما زار البرتغاليون الجزيرة لأول مرة ،
حول سنة ١٥٤٠ ، لم يجدوا الا قليلا من الغرباء المسلمين في جوا
Gowa ، قاعدة مملكة مكسر ، وكان اهلوها لم يدخلوا في الاسلام
بعد . ولم يأخذ الناس في الدخول في الاسلام بصفة عامة الا في
مستهل القرن السابع عشر ، وتاريخ هذه الحركة ذو اهمية خاصة ،
لأننا نلتمس فيها احدى الحالات القليلة ، التي كانت تتنافس فيها
المسيحية والاسلام لاكتساب ولاء الشعب الوثنى . من ذلك ما يقصه
مصنف قديم عن احدى حوادث هذا النزاع بطريقة الاعجاب :
" ينظر البرتغاليون الى كشف قطر على هذا النحو من الاهمية ، على
انه مسألة ذات شأن عظيم ، وقد اتخذت التدابير لكسب عواطف
هؤلاء القوم الذين وجد ان فوزهم امر ليس من السهولة بمكان ، على
انهم كانوا ، من جهة اخرى ، على استعداد لان يقبلوا المعروف ،
وينقلبوا قوما صالحين ، كخلفائهم ، بالمعاملة الطيبة . كان الشعب
اشجع بل احسن فهما وادراكا من السواد الاعظم من الهنود . ولذلك
اخذوا بوجه عام يدركون ، بعد مناقشة قصيرة مع الاوربيين ، ان
د يانتهم خالية من اى معنى او مغزى ، ولم يكن قليل منهم ، ممن
كان قد دخل في المسيحية برعاية دون انطونيو جلفانو —
Don Antonio Glavano (حاكم ملوكس) ، قد عرفوا تعاليم
المسيحية معرفة كاملة ، بحيث يتسنى تعليمهم ديننا جديدا . على
ان الشعب بأشده ، قد انكر خرافاته القديمة على وجه العموم ،
واصبح يؤمن بالله دفعة واحدة . ولكنهم لم يقنعوا بذلك ، فقرروا
ان يرسلوا ، في وقت واحد ، الى ملقه يطلبون قساوسة المسيحيين ،
والى اتشين يطلبون ائمة في الشريعة الاسلامية ، وعقدوا النية على

ان يعتقدوا ديانة اول من يقدم عليهم من الذين ارسلوا اليهم . ولكن يظهر ان دون رويس بريرا Don Ruis Perera الذي كان حاكم ملقه في ذلك الحين ، كان يعوزه بعض الاهتمام بشئون الدين ، ان احدث تأخيرا كبيرا لامر له ، في ارسال القساوسة الطلبيين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، لم تكد ملكة اتشين ، وهي مسلمة متعصبة ، تتلقى خبرا عن استعداد اهالي جزيرة سليبيس وميلهم ، حتى بادرت الى ارسال سفينة مملوءة بأئمة الشريعة ، الذين وطدوا دعائم دينهم بين سكان الجزيرة توطيدا قويا في زمن قصير ، وبعد فترة من الزمن قدم القساوسة المسيحيون ، وحقروا من شأن الشريعة الاسلامية تحقيرا مريرا ، ولكن دون جدوى ، فقد اختار اهالي سليبيس ديانتهم ، ولم يعد في الامكان حملهم على تغييرها . والحق ان احد ملوك الجزيرة ، وكان قد اعتقد المسيحية من قبل ، تشبهت بدينه ، وتحول معظم رعاياه اليه ، ولكن السواد الاعظم من اهالي سليبيس ظلوا مسلمين ، وهم كذلك الى اليوم ، كما انهم اشد حماسة لدينهم من اهالي اية جزيرة من جزر الهند الشرقية " .

وقد قيل ان هذه الواقعة حدثت في سنة ١٦٠٣ . وان كثرة الاشارة اليها في الاداب المعاصرة تجعل الشك في صحتها التاريخية امرا محالا . وفي ولاية تلوالصغيرة Tallo ، شمالي جوا ، التي كانت دائما حليفة لها ، لا يزال يرى ضريح احد مشاهير الدعاة الى مكسر ، واسمه خطيب تونجال . وقد برهن امير هذه الولاية ، على انه اشد ابطال الدين الجديد حماسة وفيرة ، وعن طريق نفوذه ، اعتقد الاسلام ، كل القبائل التي تتكلم لغة مكسر على وجه الاجمال . ولم تكن نتيجة هذه الحركة ذات طابع سلمي بحت ، فقد انجرف

اهالي مكسر في تيار حماستهم لدينهم الذي اعتقدوه حديثا ، ليقوموا بمحاولة لفرضه على جيوانهم من البوجي . وعرض ملك جوا على ملك بوني Boni ان يعتبره ماثلا له من جميع الوجوه لوانه عبد الاله الحقيقي وحده . وشاور ملك بوني شعبه في الامر فقالوا له : " لم نحارب بعد ، ولم ننهزم بعد " . وقد ذاقوا عاقبة الحرب ، وحلت بهم المهزيمة . وكان من اثر ذلك ان اعتقد الملك الاسلام ، واخذ من ناحيته يحاول ان يفرض عقيدته على رعاياه ، كما حاول ان يفرض هذه العقيدة على ما جاوره من الولايات الصغيرة ، بالقوة والاكرام . ومن الغريب ان يقال ان الشعب طلب معونة ملك مكسر ، فأرسل رسلا يطلبون الى ملك بوني ان يجيب عن الاسئلة الآتية : — هل فعل الملك ما فعله من الاضطهاد بوحي خاص من النبي ؟ — ام فعل ذلك تلبية لنداء عادة قديمة ؟ — ام فعل ذلك جريا وراء لذته الخاصة ؟ فان كان السبب الاول ، فان ملك جوا يتوق الى معرفة تفصيل ذلك ، وان كان السبب الثاني ، فسوف يمد اليه يد المساعدة باخلاص ، وان كان السبب الثالث ، فعلى ملك بوني ان يكشف ، لان هؤلاء الذين ظن انهم يظلمهم ، انما هم اصدقاء جوا . ولم يجب ملك بوني عن شيء من هذه الاسئلة ، وسير اهالي مكسر جيشا عظيما الى تلك البلاد ، وتغلبوا عليه في ثلاث معارك متتالية ، وارغموه على مغادرة البلاد ، وحولوا بوني الى امارة . وبعد ان ظلم شعب بوني خاضعا ثلاثين عاما ، رفعوا لواء العصيان في وجه مكسر بمساعدة الهولنديين ، وادعوا زعامة قبائل سليبيس ، بدلا ممن سادتهم السابقين . ولا شك ان الدعوة الى الاسلام كانت تسير بين البوجي فيما يظهر تدريجيا وفي ببطء ، ولكن لم يكادوا يعتقدون الدين

الجديد حتى اثار هذا الدين ، فيما يظهر ، روح العمل فيهم ، كما اثار العرب من قبل (ولوان هذا النشاط الذي اوقف حديشا في كل من هاتين الحالتين كان يتحول الى اتجاهات مختلفة كل الاختلاف) ، وخلق منهم القوم الذين نراهم الآن قوما كانوا من قبل اشجع الناس ، واكثر سكان الارخبيل مزاولة للتجارة واشتغالا في الملاحة . فهم يشقون طريقهم بسفنهم التجارية ، الى كافة انحاء الارخبيل ، من ساحل غينا الجديدة الى سنغافورة ، وقد ادخلت جالياتهم المتنوعة ، التي ميزت قبائل البوجي انفسهم في تكوين هذه الجاليات تميزا خاصا ، دين الاسلام الى كثير من الجزائر الوثنية : مثال ذلك ، ان احدى مستعمراتهم كانت مؤسسة في ولاية تنبسط على جزء كبير من ساحل فلورز الجنوبي حيث احرزوا النجاح ، بعد ان اختلطوا بالاهاالي الاصليين ، الذين كان جانب منهم يتألف من الرومان الكاثوليك ، في تحويل كل سكان هذه الولاية الى الاسلام . كذلك ربط البوجي في بلادهم الاصلية ، جزيرة سليبيس ، بين الجهود في نشر تعاليم الدعوة ، واعمالهم التجارية ، وقد نجحوا في ملكة بولانج مونجندو Bolaang - Mongondou في شـبـه الجزيرة الشمالي في خلال القرن الحالي ، في ان يضموا الى الاسلام عددا من الاهاالي المسيحيين الذين يرجع تاريخ تحولهم الى الاسلام الى نهاية القرن السابع عشر . وكان اول ملك مسيحي لملكـة بولانـج — مونجندو ويعقوب منوبو Jacobus Manopo (١٦٨٩ — ١٧٠٩) ، وفي عهده انتشرت المسيحية انتشارا سريعا ، بسبب نفوذ شركة الهند الشرقية الهولندية ، وتبشير رجال الكنيسة من الهولنديين . وكان جميع خلفائه مسيحيين حتى سنة ١٨٤٤ ، عندما اعتقد الاسلام الراجـه

الحاكم في ذلك الحين واسمه يعقوب مانويل منوبو ، وكان دخوله في الاسلام بداية سلسلة من الجهود في نشر تعاليم الدعوة ، التي كانت قد احرزت تقدما منذ بداية هذا القرن . ذلك انه حدث حول ذلك الوقت ، ان الجهود الحماسية التي قام بها بعض تجار المسلمين - البوجي وغيرهم - قد ظفرت بفريق تحولوا الى الاسلام في احدى المدن الساحلية لمملكة مونجندو الجنوبية . ومن هذه المدينة ذاتها ، اخذ داعيان من التجار ، يقال لهما حكيم بجوس وامام تويكو ، ينشران دينهما في سائر انحاء هذه المملكة . وكان اول ما قاما به ، ان ادخلا في الاسلام بعض العبيد ، والنساء الوطنيات اللاتي تزوجوا منهن . وقد حث هؤلاء اصدقاءهم واقاربهم على اعتقاد الدين الجديد شيئا فشيئا . ومن مونجندو انتشر الاسلام الى مملكة بولانج الشمالية . وفي هذه البقعة ، في سنة ١٨٣٠ ، كان الاهالي جميعا اما مسيحيين او وثنيين ، عدا جاليتين او ثلاثا من المسلمين . ولكن سرعان ما احرز دعاة الاسلام المتحمسون من البوجي والعرب الذين ساعدوهم على اداء اعمالهم الخاصة بنشر الدعوة ، نجاحا واسع النطاق ، ولم يتسلح المسيحيون الذين كانت معرفتهم بعقائد دينهم تافهة للغاية ، والذين كان ايمانهم ضعيفا جدا ، تسلحا تاما بأسلحة الجدل لكي يواجهوا هجمات العقيدة المنافسة . ولما كانت الحكومة الهولندية تنظر الى هؤلاء المسيحيين نظرة الاحتقار ، وروساء الكنيسة يهملون من شأنهم ويكادون يبتذلوهم ، بدؤوا يتطلعون الى هؤلاء الغرباء ، الذين تزوج بعضهم من نساءهم واستقروا بينهم ، واصبحوا اصدقاءهم . ولما تقدمت مهمة التحويل الى الاسلام في تلك البلاد ، اصبح تردد هؤلاء البوجي والعرب عليها

اكثر — وكان من قبل نادر الوقوع — كما اصبح نفوذهم في تلك البلاد يزداد زيادة كبيرة جدا ، حتى لقد بلغ من عظمه ان تزوج عرسني ، حول سنة ١٨٣٢ ، ابنة الملك كورنيليوس منوبو Cornilius Manopo وكان يدين هو نفسه بالمسيحية . وحول هذا الوقت نفسه هجر كثير من الرؤساء ، وفريق من اعظم الناس نفوذا بينهم ، دين المسيحية واعتقدوا الاسلام . وعلى هذا النحو ، كان الاسلام قد توطدت اركانه في مملكته ، قبل ان يصبح الراجة يعقوب مانويل منوبو مسلما في سنة ١٨٤٤ . وكان هذا الامير قد طلب مرارا الى السلطات الهولندية في مندو Manado ان تعين خلفا ليعقوب بستيان ، المعلم المسيحي — الذي كان موته خسارة فادحة للطائفة المسيحية — ولكن دون جدوى . ولما علم من نائب الحكومة الهولندية في مندو انها على حياض تام من حيث ديانة الشعب ، وانه لا يعنيتها ان يكون شعب ولايته مسيحيين او مسلمين ، ماداموا مخلصين ، صرح امام الملأ انه قد اصبح مسلما ، وحاول كل وسيلة لحمل رعيته على الدخول في هذا الدين نفسه . واستغل احد دعاة الغرب وقوع زلزال شديد في السنة التالية ، فتنبأ بخراب بولانج مونجنندو ، اذا لم يبادر شعبها الى الدخول في الاسلام . وهرع كثيرون من فزعهم الى اتباع هذه النصيحة ومد الراجة واشرافه يد المساعدة للدعاة وتجار العرب ، الذين لم يكونوا على الدوام يستخدمون ارقى الوسائل وانبلها في معاملة الذين تراخوا عن هذا الدين . على ان نصف الاهالي تقريبا لا يزالون على وثنيتهم ، وان كان تقدم الاسلام بينهم ، على بطئه ، مستمرا في صورة مؤكدة .

ولا يبعد ان تكون جزيرة سمبوا Sambawa القريبة

كذلك ، قد تلقت معرفتها بهذا الدين من سليبيس ، عن طريق

الدعوة التي قام بها الدعاة من مكسر بين سنتي ١٥٤٠ و ١٥٥٠ .
وان جميع السكان الذين نالوا حظا ارقى من المدنية والحضارة مؤمنون
صادقون ، ويقال انهم اشد تمسكا في اقامة فرائضهم الدينية من اى
شعب من الشعوب الاسلامية التي تجاورهم . ويرجع ذلك بنوع خاص
الى حركة تجديدية بعثها شخص يدعى حاجي على ، بعد انفجار
جبل تمبورا في سنة ١٨١٥ ، تلك الكارثة المفزعة التي نجمت عن ذلك
فاستغلت لاثارة الشعب على ان يحافظوا على مبادئ دينهم على نحو
اقوى ، وان يهتدوا الى حياة اكثر ورعا وتدينا . ولا يزال الاسلام
في الوقت الحاضر يوالي اجتذاب مسلمين جدد في هذه الجزيرة .
كذلك يرجع الفضل في تحويل السسك Sasaks الذين يسكنون
في جزيرة لمبوك Lombok المجاورة الى الاسلام ، الى الدعوة
التي قام بها البوحي ، الذين يكونون مستعمرة كبيرة في هذه البقعة ،
وقد قدموا اما عن طريق عبور المضيق من سمبوا ، او من سلبينيس راسا
ومهما يكن من شيء ، فان التحويل الى الاسلام ، فيما يظهر ،
قد حدث بطريقة سلمية ، وينقسم اهالي لمبوك قسمين متميزين ،
السسك والبلينيون . اما الجماعة الاولى ، وهم عبارة عن السسك
المسلمين ، سكان الجزيرة الاصليين ، فانها تفوق الجماعة الثانية
عددا ، الا انهم اصبحوا ، حول منتصف القرن الثامن عشر ، تحت حكم
البلينيين ، وسرعان ما وجدوا افواجا من جيرانهم الهندوكيين يحتاجون
جزيرتهم . وكان حكم البلينيين جائرا للغاية ، وقد بذلوا جهودا — لم
تصادف نجاحا كبيرا — لحمل رعاياهم المسلمين على اعتقاد الديانة
الهندوكية . وحاول السسك ، دون جدوى ، ان يتخلصوا من نير هوالة
الحكام الجائرين ، ولجئوا الى الحكومة الهولندية اكثر من مرة ، قبل

ان تجلب حملة سنة ١٨٩٤ تباشير السلام الى الجزيرة ، وان تقيم ادارة منظمة في ظل الحكم الهولندي . وقد جلبت الحكومة الجديدة معها عددا كبيرا من الموظفين الوطنيين من المسلمين ، الذين يستخدمون نفوذهم في مصلحة دينهم ، ومن ثم كان من المتوقع ان تكون احدى نتائج الغزو الهولندي للمبوك ، امداد الاسلام بروح قوية دافعة في هذه الجزيرة .

في الفلبين : ونجد في جزائر الفلبين صراعا بين المسيحية والاسلاك لكسب ولاء السكان ، وهذا الصراع يشبه في طابعه ما حدث في سلبيس الى حد ما ، الا انه اكثر عنفا وشدة ، فقد اشتبك فيهم الاسبان والمسلمون في نزاع عنيف دام ، حتى القرن التاسع عشر . وليس من المحقق ان نقف على الزمن الذي وصل فيه الاسلام الى هذه الجزائر لأول مرة : وتصور لنا اخبار مندناو Mindanao ، ان الاسلام دخل الى هذه الجزائر من جوهور Johore ، في شبه جزيرة الملايو ، على يد شخص يدعى شريف كابونجسوان ، الذي استقر مع عدد من الاتباع في الجزيرة ، وتزوج هناك . ويقال انه ابى ان ينزل الى الشاطيء حتى يعمده هؤلاء الذين قدموا للقائه عند وصوله ، ان يعتقدوا الاسلام . وتوخي هذه الاخبار القديمة بان نزول كابونجسوان على الشاطيء ، ودخول شعب مندناو في الاسلام قد حدث اول الامر في غاية الهدوء والسكينة . ولكنه ، ان وطد سلطته ، اخذ يغزو من جاوره من الزعماء والقبائل ، فعملوا ديانته عندما اذعنوا لسلطانته . وقد وجد الاسبان ، وكانوا قد اهدوا اليهم في سنة ١٥٢١ ، ان اهالي الجزائر الشمالية قوم همج يعبدون رموزا ساذجة من الاوثان ، على حين وجدوا قبائل

اسلامية اكثر رقيا وحضارة ، في جزائر مندناو وسولو . وقد قاوم اهالي
سولو على وجه الاجمال ، كل الجهود التي يبذلها المسيحيون في
الغزو والتبشير ، حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مقاومة ناجحة ، الى
حد ان المبشرين الاسبان يقسوا من الاستمرار في القيام باعمال
التبشير . ويرجع نجاح الاسلام الى حد بعيد ، اذا ووزن بالمسيحية
الى الصورة المختلفة التي عرضت بها هاتان الديانتان على اهالي
هذه البلاد . وقد انطوى اعتقادهم المسيحية على فقد الحريّة
السياسية كلها ، والاستقلال القومي ، ومن هنا اصبح الناس ينظرون
اليها على انها رمز العبودية . وقد قدر للوسائل التي اتخذها
الاسبان لنشر دينهم ان تجعل هذا الدين منذ البداية غير محبوب
لدى الشعب . وكان عنفهم وتعصبهم على طرفي نقيض مع سلوك
التسامح الذي ظهر به دعاة المسلمين ، الذين تعلموا لغة الشعب ،
وانتحلوا عاداته ، واصهروا اليه . وبفنائهم في عامة الشعب . لم يدعوا
لانفسهم كافة الحقوق التي تقتصر على جنس متميز عن سائر الاجناس ،
ولا رموا الاهالي بأنهم في مستوى طبقة منحطة . هذا من جهة
ومن جهة اخرى ، كان الاسبان يجهلون لغة الاهالي وعاداتهم
واحوالهم ، وقد ادى فساد اخلاق هؤلاء الاسبان ، بل شحهم
وجشعهم ، الى جعل دينهم مبعضا الى النفوس ، كما كان المقصود من
نشر دينهم استخدام اداة لتقدمهم السياسي . لهذا فانه ليس من
العسير ان ندرك المعارضة التي اظهرها الاهالي ازاء دخول المسيحية
التي لم تصبح في حقيقة الامر الا ديانة الشعب في تلك الجهات حيث
كان السكان من الضعف ، او كانت الجزيرة من الصغر ، بحيث مكثوا
الاسبان من اخضاع البلاد اخضاعا تاما . ولم يكن بد من ان يرفـ

المسيحيون من الاهالي ، بعد دخولهم في المسيحية ، على اراء واجباتهم الدينية خوفا من العقاب ، كما انهم عوملوا معاملة اطفال المدرسة سواء بسواء . وكانت مملكة منداناو الاسلامية ، حتى زمن احتلال الامريكيين جزائر الفيليبين ، ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا في التخلص من الحكومة المسيحية البغيضة . وقد كونت جزيرة سولو ، كذلك ، مع انها دخلت اسما في حوزة الاسبان منذ سنة ١٨٢٨ موكزا اسلاميا آخر مناهضا للمسيحية ، كما وجد به العرندون من الذين يتكلمون اللغة الاسبانية .

في سولو : وليس لدينا شاهد تاريخي معين ، يبين المدة التي قضاها سكان جزائر سولو في الاسلام ، قبل قدوم الاسبان . وتذكر اخبار سولو اسم الشريف كريم المخدوم باعتباره اول داع الى الاسلام في هذه الجزائر . ويقال انه كان عربيا ، ذهب الى ملقه حول منتصف القرن الرابع عشر ، وادخل السلطان محمد شاه وشعب ملقه في الاسلام . وقد واصل رحلته شرقا ، حتى وصل الى سولو حول سنة ١٣٨٠ ، واستقر في بوانسا Bwansa قاعدة سولو القديمة ، حيث بنى له الاهالي مسجدا وتقبل كثير من الرؤساء تعاليمه . وقد قيل انه زار كل جزيرة في الارخبيل تقريبا ، وانه ادخل في الاسلام ناسا في اماكن كثيرة . ويقال ان ضريحه في جزيرة سبوتو Sibutu ، كما يقال ان الداعي الذي جاء بعده هو ابوبكر ، وقد ذكر كذلك انه عربي ، وانه بدأ نشاط دعوته في ملقه ، وانه شق طريقه الى بالبنج وبروناي Brunai ، ووصل الى سولو حول سنة : ١٤٥٠ ، وبنى مساجد وقام بدعاية ناجحة ، وقد زوجه الراجة بجندا Baginda ، ملك بوانسا المسلم ، من ابنته ، وجعله وريثه . والى ابي بكر يرجع الفضل في تنظيم حكومة

سولو وسن قوانينها على اسس اسلامية قديمة ، بقدر ما كانت تسمح به
 العادات المحلية . وعلى الرغم من انهم دخلوا في الاسلام منذ زمن
 بعيد ، فان المسلمين من اهالي سولو بعيدون عن التمسك بدينهم ،
 وفي الحق ان مؤثرات العبيد المسيحيين ، على اختلافهم ، وكانوا
 قد نقلوها معهم من جزائر الفيليبين في غاراتهم التي كانت تقوم على
 النهب والسلب ، كانت في العادة من القوة بحيث زعم بعض
 الباحثين " انهم كانوا قد اعترف بأنهم مسيحيون قبل ذلك بوقت
 طويل ، ولكن على تقدير ان مثل هذا التغيير لدينهم ، عن طريق
 القاء تأثير قوى غلاب الى رجال الدين المسيحي ، لا بد ان يقوض
 دعائم سلطة هؤلاء العبيد ، ويمهد الطريق الى نقل ممتلكاتهم
 الى الحكم الاسباني . وهذه حادثة قد علمتها التجارب القاتلة في
 قوة وعنف ، كل الشعوب المحيطة التي انتحلت العقيدة المسيحية
 في تهور واستهتار " . اضاف الى ذلك ، ان مسلك العدوان السذي
 ظهر به قساوسة الاسبان الذين اقاموا بعثة تبشيرية في سولو ،
 قد خلق في نفوس الاهالي نفورا شديدا من الديانة الاجنبية .
 ومنذ احتل الامريكيون جزائر الفيليبين ، اصبح التأثير
 الاسلامي محدودا الى حد كبير ، وهو الآن ينحصر في جزيرتين
 بلوان Palawan ، وساحل منداناو الجنوبي ، ومجموعة جزائر
 سولو . ولكن يقال انه يجد في نشر دعوته بين الجزائر الشمالية ،
 وانه بدأ نشاط الدعوة حتى في منيلا Manila . ويقال ان احوالا
 معينة قد ساعدت على نجاحه ، ولا سيما تلك الحقيقة ، وهي ان اهالي
 جزائر الفيليبين يتعاملون على المسيحية ، بسبب المساواة التي ادت
 بهم الى حمل السلاح في وجه رهبان الاسبان .

بين البيوان : وقد قيل الاسلام ، كما ذكرنا من قبل ، بأسمى آيات القبول من شعوب اربخيل الملايو الذين يتمتعون بحضارة ارقى ، كما انه لم يرسخ الا قليلا عند الشعوب التي هي اسد انحطاطا وتأخرا . ومن امثلة هؤلاء ، البيوان Papuans . في غينا الجديدة وفي الجزائر التي تقع الى الشمال الغربي منها ، نعني بذلك الوايجيو Waigyu والميسول Misool ، والوايجما والسلوتي Salawatti . وكانت هذه الجزائر ، بالاضافة الى شبه جزيرة اونين الى الشمال الغربي من غينا الجديدة خاضعة في القرن السادس عشر لسلطان باتجان ، احد ملوك ملوكس . وبفضل نفوذ حكام باتجان من المسلمين ، اعتقد زعماء البيوان في هذه الجزائر الاسلام . ومع ان عامة الشعب في المنطقة الداخلية قد ظلوا على وثنييتهم حتى الوقت الحاضر ، فان سكان الساحل مسلمون . ولا شك ان اسلامهم يرجع بنوع خاص الى تأثير هؤلاء الذين جاءوا من ملوكس واستقروا في هذه البلاد . وفي غينا الجديدة نفسها ، يظهر ان فئة قليلة جدا من البيوان قد اعتقدوا الاسلام . وقد دخل هذا الدين الى الساحل الغربي (وربما الى شبه جزيرة اونين) على ايدي تجار المسلمين ، الذين ادعوا دينهم في السكان في عهد مبكر يرجع الى سنة ١٦٠٦ . ولكن يظهر انه لم يصادف نجاحا كبيرا في خلال القرون التي خلت منذ ذلك الحين . وايدى البيوان نفورا شديدا من الدخول في الاسلام ، كذلك النفور الذي ابدوه في قبول تعاليم المبشرين المسيحيين الذين قاموا بأعمال التبشير بينهم منذ سنة ١٨٥٥ ولم يصادفوا نجاحا كبيرا في هذه السبيل . وقد اتهم مسلمو الجزائر المجاورة بأنهم يحتقرون البيوان

احتقارا شديدا بحيث لا يستطيعون ان يبذلوا جهودا لنشر الاسلام بينهم . على ان هناك اسم احد الدعاة ، ويدعى الامام دكر (ربما ذكر) ، وكان قد قدم من احدى الجزائر على الجنوب الشرقي من سرام Ceram حول سنة ١٨٥٦ ، وادخل الاسلام الى جزيرة ادي الصغرى Adi ، جنوبي شبه جزيرة اوتين . وبعد اداء رسالته عاد الى وطنه ، بعد ان قاوم الحاج السكان الذين طلبوا اليه ان يستقر بينهم . وقد روت الاخبار ان تجار المسلمين من سرام وجرام قد ادخلوا فريفا في الاسلام من بين الوثنيين في خلال العقد الاول من القرن العشرين . وتبذل جهود هائلة لتحويل الببوان في جزائركي المجاورة الى الاسلام . وقد قيل انه كان من الصعب ان نجد في منتصف القرن التاسع عشر ، اى فريق من المسلمين على هذه الجزائر ، لانستثني الا سلالة المهاجرين من جزائر بنده . وقبل ذلك بقليل ، كان الدعاة من سرام قد نجحوا في ادخال عدد فني الاسلام ، بيد انه قلما كانت تراعى تعاليم الاسلام بينهم ، فقد اباحوا لانفسهم اكل اللحوم المحرمة وشرب المسكرات على انه قيل ان النساء كن اشد تمسكا بأهداب الدين من الرجال ، حتى ان بعولتهن كانوا اذا رغبوا في ان يبيحوا لانفسهم اكل لحم الخنزير ، فعلوا ذلك سرا ، لان نساءهم كن لا يسمحن بجلبه الى المنازل . وقد لوحظ في سنة ١٢٨٢ ، انه كانت هنالك نهضة في الحياة الدينية بين اهالي جزائركي ، كما كان عدد المسلمين يكثر يوما بعد يوم . وقد برهمن تجار العرب من مادورة وجاوة وبالي على انهم دعاة متحمسون للاسلام ولم يدعوا وسيلة الا حاولوها لجذب الداخلين في هذا الدين . وكانوا يدعمون حجتهم بالتهديد والعنف تارة ، وبالرشا تارة اخرى . وقد

قيل ان العادة قد جرت بأن يتقاضى كل من يدخل حديثا في الاسلام ما يساوي مائتي فلورين (5) من الهدايا ، على حين كان الزعماء يتسلمون مبلغا هائلا يساوي الف فلورين . وفي نهاية القرن التاسع عشر ، قيل ان نحو ٨٠٠٠ من سكان جزائر كي كانوا مسلمين من بين مجموع سكان هذه الجزائر الذي يبلغ ٢٣٠٠٠ .

دعاة المسلمين : التجار وطبقة الحاجي : وان الصورة العامة

التي رسمناها من قبل عن انتشار الاسلام من الغرب الى الشرق عن طريق اربخيل الملايو ، لا تؤلف الا جانبا قليلا من تاريخ اعمال الدعوة الى الاسلام في هذه الجزائر . وكثير من حقائق هذا التاريخ لم يدون بأكمله ، وان ما يمكن ان نلتقطه من التواريخ التونسية ، ومؤلفات الرحالة الاوربيين ، والموظفين والدعاة ، انما هو متفرق ناقض في جوهره . على ان هناك شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية في الدعوى لنشر عقيدة الاسلام في خلال السنوات الستائة الاخيرة . حقا ان السيف كان يمتشق اخيانا لتأييد قضية الدين ، ولكن الدعوة والاقناع وليس القوة والعنف ، كانا هما المطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه . وان النجاح الرائع هو الذي احرزه التجار بنوع خاص ، الذين كسبوا السبيل الى قلوب الاهالي ، بتعلم لغتهم ، وانتحال اخلاقهم وعاداتهم ، واخذوا في رفق وتدرج ، ينشرون معارف دينهم بأن بدؤوا بأن يحولوا الى الاسلام ، نساء البلاد اللائي تزوجوا منهن ، والاشخاص الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية . وبدلا من ان يعتزلوا الاهالي في انفة وكبرياء ، امتزجوا شيئا فشيئا في عامة الشعب ، واستخدموا كل ما يتميزون به من تفوق في العقلية والحضارة في القيام بأعمال التحويل الى الاسلام ، واصطنعوا لمبادئ دينهم وطوقوه ، شروطا

حاذقة ، ومخارج ماهرة ، كانوا يرونها لازمة لتقريب هذا الدين الى اذهان الشعب الذي كانوا يرغبون في جذب به اليهم . وفي الواقع " كان دعاة المسلمين — كما قال عنهم بكل Buckle — على جانب عظيم من الحكمة والروية " .

والى جانب التجار ، كانت هنالك جموع ممن يصح ان نسميهم الدعاة المحترفين — وهم الفقهاء ، والقضاة والحجاج . وكان الحجاج في السنين الاخيرة ، نشطين في نشر تعاليم الدعوة بنوع خاص ، وذلك بحث مواطنيهم على لون من الحياة الدينية ، اكثر نشاطا ، واشد تمسكا ، ويتطهرونها من بقايا عادات الوثنية ومعتقداتها . وان عبد الذين يذهبون الى مكة لاداء فريضة الحج من كل جهات الارخبيل آخذ في الزيادة على الدوام ، وتبع ذلك نمو التأثير الاسلامي والفكرة الاسلامية نموا مناسباً . وقد حاولت الحكومة الهولندية ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ان تضع العراقيل في سبيل الحجاج ، فأصدرت امراً بأنه لا يجوز لاحد ان يؤدى فريضة الحج الى المدينة المقدسة الا اذا حصل على جواز سفر ، وكان لابد ان يدفع للحصول عليه ١١ فلورين . وكل من يخالف هذا الامر ، يلزم عند عودته بأن يدفع غرامة تساوي ضعف هذا المبلغ . ومن ثم لانعجب ان نجد عدد الحجاج في سنة ١٨٥٢ ينخفض حتى يصل الى السبعين . ولكن هذا الامر لم يلبث ان الغي في هذه السنة نفسها ، واخذ عدد الحجاج يزداد منذ الغائه زيادة ثابتة .

وبلغ متوسط عدد الحجاج في خلال العقد الاول من القرن التاسع عشر ٧٠٠٠ وفي خلال العقد الاول من القرن العشرين ٧٣٠٠ ، ولكن العدد يتفاوت كثرة سنة فأخرى . وكان اكبر عدد

سجل من جزائر الهند الهولندية ١٤٢٣٤ في سنة ١٩١٠ .
ولا شك ان مثل هذه الزيادة تعزى بنوع خاص الى زيادة
تيسير المواصلات بين مكة وارخبيل الملايو ، ولكن هذا ، كما لاحظت
ذلك احد المبشرين المسيحيين " لا يقلل بحال من اهمية تلبسك
الحقيقة ، ولا سيما ان الحجاج ، الذين نما عددهم بسرعة فائقة ،
لم يفقدو بحال من الاحوال من صفاتهم ما حصلوا عليه من كثرة
عددهم . فالامر على خلاف ذلك ، يوجد الآن بينهم كثير من هؤلاء
اكثر الماما واشمل معرفة بمبادئ الاسلام ، واشد تشربا بالتعصب
الاسلامي وكرهية الكفار ، منهم قبل ان يؤدوا فريضة الحج " . وتحمل
تقارير الحكومة الهولندية والمبشرين المسيحيين ، دليلا لمرء فيه على
تأثير هؤلاء الحجاج ، وحماستهم في نشر تعاليم الدعوة ، وكانوا
يعودون الى اوطانهم مصلحين ودعاة في وقت واحد . والى جانب
الحجاج الذين كانوا يقنعون بمجرد زيارة البقاع المقدسة ، وتأدية
الشعائر اللازمة ، وهؤلاء الذين يقضون وقتا اطول هناك لاتمام
دراساتهم الدينية ، نجد في مكة ، في الوقت الحاضر ، جالية كبيرة
من اهالي الملايو ، الذين اتخذوا مقامهم في المدينة المقدسة
الى الابد . وهؤلاء على اتصال دائم بمواطنيهم في اوطانهم . وكانت
جهودهم في الغالب فعالة في تطهير الاسلام في ارخبيل الملايو
من شوائب العادات الوثنية ووسائل التفكير الوثني التي بقيت من العهود
القديمة . كذلك طبعت في مكة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية باللغات
المختلفة التي يتكلمها مسلمو الملايو ، وارسلت الى كل جهات الارخبيل
وفي الواقع ان تأثير مكة في الحياة الدينية في هذه الجزائر ، كما قيل
بحق ، كان اقوى منه في تركيا او الهند او بخارى .

وكما كان من الممكن ان نتوقع اذا تأملنا هذه الحقائق ، نجد في السنين الاخيرة نهضة عظيمة جدا في نشاط الدعوة في ارجيل الملايو ، واصبح الحجاج العائدون من مكة ، سواء اكانوا تجارا ام معلمين دينيين ، دعاة الى الاسلام في البقاع التي كانوا يتصلون فيها بالاهالي الوثنيين . اضاف الى ذلك ان الجماعات الدينية بسطت نظامها على ارجيل الملايو ، بل لقد وجدت احدث هذه — الجماعات عهدا ، وهي السنوسية ، اتباعا لها في اقصى هذه الجزائر ، وما يدل على تأثيرها ان كثيرا من سكان الملايو يتسمون باسم سنوسي ، على حين كانوا في مكة يبدلون اسماءهم الوطنية بأخرى عربية .

وقد اتهم المبشرون المسيحيون الحكومة الهولندية بأنها تساعد على انتشار الاسلام . ومهما يكن من شيء ، فان من المحقق ان الذي سهل مهمة الدعاة المسلمين هو تلك الحقيقة ، وهي ان لغة الملايو ، التي لا يكاد يتكلمها الا المسلمون ، قد اتخذت اللغة الرسمية للحكومة الهولندية الا في جاوة . ولما كان موظفو الدولة من الهولنديين (من غير العسكريين) قد الحقوا في كل مكان بجمع حاشد من المسلمين الذين كانوا موظفين موؤسين ، ورجالا في الهيئة السياسية ، وكتبة ، ومترجمين ، وتجارا ، حملوا الاسلام معهم الى كل مكان ينزلون فيه وكان حتما على كل الاشخاص الذين يربطهم بالحكومة عمل ما ، ان يتعلموا لغة الملايو ، ولما كانوا يتعلمونها دون ان يصبحوا مسلمين في الوقت نفسه . وعلى هذا النحو ، اعتقد الاهالي ذوو النفوذ والسلطان الاسلام ، وبادرت البقية الباقية الى الاقتداء بهم . وبذلك يعمل الاسلام في الوقت الحاضر على طرد الوثنية من ارجيل الملايو في سرعة .

خاتمة

دعاة المسلمين — عدم وجود هيئة منظمة لهم :

في العالم المسيحي الحديث، تتمثل مهمة التبشير في الجمعيات التبشيرية، والموكلين بالتبشير كفاءً أجور يتقاضونها، والتبرعات والتقارير والصحف. ويبدأون (مشروع التبشير) تسمية فير صحيحة متى كان مجرداً من هيئة مؤلفة تأليفاً منظماً بصفة مستمرة. وقد روعي في تأليف هيئة الكنيسة المسيحية، منذ بدء تاريخها، نشر التعاليم المسيحية بين الكفار. وكان مبشروها، في أغلب الأحيان، قساوسة ورهبانا، يعينون لهذا الغرض بانتظام. وقد توافرت جماعات الأديار (منذ قيام جماعة بندكت فـالجماعات التي جاءت بعدها) والجمعيات التبشيرية التي نجدها في ازمان احدث عهداً، على اتجاه خاص ينحصر في ترقية ادارة المهمة المسيحية التي اعترف منذ البداية بأنها احدى واجبات الكنيسة الاساسية. اما في الاسلام فان عدم وجود اى لون من الوان الكهنوت، واوية هيئة دينية منظمة ايا كانت، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى في صور مختلفة تتمم الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية. فليس هنالك جمعيات للدعوة، ولا موكلون مدبرون لهذا الغرض، كما انه قلما نجد مواصلة الجهود في هذه السبيل. ويظهر اننا لانستثني الا جماعات الاسلام الدينية، التي يشبه نظامها، الى حد ما، نظام جماعات الأديار في العالم المسيحي. ولكن حتى في تلك الجماعات الاسلامية، نجد ان عدم وجود فكرة عن نظام الكهنوت، واوية نظرية ترى فصل المعلم الديني عن عامة المؤمنين، او ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية، والتصريح بها — كل ذلك يجعل

الاختلاف الاساسي في النظامين ، يظل قائما في كل مكان ، فـ في
وضوح وجلاء .

المهمة ملقاة على عاتق الافراد :

ومهما تكن المساوىء التي نجمت من حاجة المسلمين الى طبقة
كهنوتية تختص بنشر العقيدة ، فقد وجدوا ما يعوضهم عنها في ذلك
الشعور الناشيء عن المسؤولية التي القيت على كواهل المؤمنين من
الافراد . ولما لم يكن هنالك واسطة بين المسلم وربه ، كانت مسؤولية
خلاصه الشخصي ملقاة على كاهله وحده ، وكان من اثر ذلك ان اصبحت
المسلم ، كما جرت العادة ، اكثر تشددا واهتماما في ادائه واجباته
الدينية ، واشدد تحملا للمتاعب في سبيل تعلم مبادئ دينه وشعائره .
وبذلك يؤثر ، وقد رسخت في ذهنه اهمية هذه المبادئ وتلك الشعائر
لنفسه ، ان يصبح رمزا لخلق الداعي الى دينه بين يدي الكافر
ولم يكن الساعي في نشر تعاليم الدعوة ، يحيل من ادخله في الدين
الى بعض معلمي دينه الثقات ، الذي ربما يقبل الرجل حديث العهد
بالايمان في زمرة المسلمين من الناحية الشكلية ، ولم يكن بحاجة الى
الخوف من الرقابة الكنسية لارتكاب خطيئة قارون . وعلى ذلك ، مهما
تكن المبالغة عظيمة في القول ، ومهما ردد الباحثون القول بأن كل
مسلم داعية الى دينه ، يبقى هذا القول حقيقيا . وفي الحق ان قليلا
من المسلمين المتمسكين بدينهم تمسكا صحيحا ، الذين يتصلون
بالكفار يوميا يهملون ما اوصاهم به نبيهم " ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة " . ومن ثم نجد ، الى جانب ارباب الدعوة
المحترفين — وهم المعلمون الدينيون الذين كرسوا وقتهم ونواحيي
نشاطهم كله في مهمة الدعوة — اخبارا تاريخية لنشر العقيدة الاسلامية

تتضمن سجلا بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ، من الملك الى الفلاح ، ومن كل الصنائع والحرف ، قاموا بأعمال ابتغاء نشر دينهم - والتاجر المسلم ، على خلاف اخيه المسيحي ، يظهر بنوع خاص بمظهر النشاط في امثال تلك الاعمال . ونجد في ثبت يتضمن اسماء دعاة الهنود ، نشر في صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية البخيرية ، اسماء معلمي مدارس ، وكتاب للحكومة في مصلحتي القنال والافيون ، وتجار (وفيهم احدى العملاء في عربات النقل بالجمال) ومحرر احدى الصحف ، ومجلد كتب ، وعامل في مطبعة ، ففقد خصي هؤلاء الناس ساعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومي ، للدعوة الى دينهم في الضرقات واسواق المدن الهندية ، ملتجئين اجتذاب مسلمين جدد من بين المسيحيين والهندوكيين جميعا ، الذين كانوا يجادلونهم ويحملون على عقائدهم .

ومما يثير اهتمامنا ما نلاحظه من ان نشر الاسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم ، بل لقد قام النساء المسلمات ايضا بنصيبهن في هذه المهمة الدينية ، فيرجع الفضل في اسلام كثير من امراء المغول الى تأثير زوجة مسلمة . ولا يبعد ان يكون مثل هذا التأثير سببا فسي اسلام كثير من الاتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد اغاروا على الاقطار الاسلامية . وقد انشأ دعاة السنوسية الذين قدموا لنشر دعوتهم بين التبو ، شمالي بحيرة شاد ، مدارس للبنات ، واستغلوا ما كانت تحدثه النساء من نفوذ قوى بين القبائل (كما كان لهن هذا النفوذ بين جيرانهن من البربر) ، فبدلوا جهودهم لجذبهن الى صفوف الاسلام . وفي افريقية الشرقية الالمانية ، دخل في الاسلام هؤلاء الوثنيون الذين كانوا يتركون اوطانهم ستة اشهر او اكثر ، للعمل فسي

السكك الحديدية او الاعمال الزراعية ، على ايدى نساء مسلمات ،
تعاقدوا معهن على زواج مؤقت ، فان اولاء النساء كن يرفضن ان
يتعاملن في شيء مع كافر لم يختتن بعد ، فكان بعولتهن يتجنبون
ذلك العار الذى كان يلحق مثل هذا اللقب ، بأن يختتنوا وبذلك
يقلون الدخول في الجماعة الاسلامية . وقد قيل ان تقدم الاسلام
في بلاد الحبشة ، في خلال النصف الاول من القرن الماضي ، كان
راجعا ، الى حد كبير ، الى ما بذله النساء المسلمات من الجهود ،
وخاصة نساء الامراء المسيحيين ، الذين لم يكن بد من ان يتظاهروا
بالتحول الى المسيحية ، عندما يتزوجون ، ولكنهم نشعوا ابناءهم
على شعائر الاسلام ، وبذلوا كل ما استطاعوا في سبيل تقدم ذلك
الدين . وتقيم على حدود الحبشة الغربية قبيلة وثنية تسمى
البرن Boruns ، وقد دخل بعض افراد هذه القبيلة ، وكانوا قد
انتظموا في سلك فصيلة من الزنوج ، تحت لواء الحكومة المصرية
الانجليزية في السودان في الاسلام ، على ايدى نساء الجنود
السود ، في الوقت الذى كانت فيه الكتيبة راجفة الى الخرطوم .
ويقال ان نساء قزان التتريات بوجه خاص ذوات فيرة ، باعتبارهن
داعيات الى الاسلام . ولا تمنع المتمسكة بدينها ، من ان تحتل
مكانها الى جانب الولي من الرجال في زمة الداعين الى العقيدة
اذا اتفق انها كانت امرأة . وان اسطورة النساء المقدسات ، اللاتي
ينتمين الى علي ، واللاتي يقال انهن طرن في الهواء من كربلاء
الى لاهور ، وانهن ظفرن بأول من تحول من الهندوكية الى
الاسلام ، بفضل تأثير حياة الصلاة والصوم ، التي كن يحيينها في
تبتل وخشوع ، كان من الصعب ان يكون لها اصل تاريخي ، لو ان تأثير

امثال اولاء النساء المقدسات كان امرا مجهولا تماما . ومن اضرححة القاهرة التي لقيت او في نصيب من التعظيم ، ضريح السيدة نفيسة ، حفيدة الحسن (الذي مات شهيدا وهو ابن علي) ، والتي اشارت اعجاب الامام الشافعي نفسه ، احد من عاصروها من العظماء ، بتفقهها في الالهيّات ، والتي رفعتها تقواها ، وتشفها الى مصاف الاولياء الصالحين . ويروى انها عندما استقرت في مصر اتفق انها اقامت بجوار اسرة من اهل الذمة ، وكانت لهم بنت مصابة بداء عضال ، بحيث لم تستطع ان تحرك اطرافها ، ولم يكن بد من ان ترقد على ظهرها طوال اليوم . ولزم الامران يذهب والدا هذه الفتاة المسكينة الى السوق ذات يوم ، فطلبا الى جارتها المسلمة ان تتفقد ابنتهم اثناء تغيبهما . واشترت نفيسة هذا العمل الانساني ، وهي مفعمة بالحب والرحمة . ولما ذهب والدا هذه الفتاة المريضة الى السوق ، سميت نفيسة بروحها ، وابتهمت الى الله ان يشفي هذه الميضة البائسة . ولم تكد تفرغ من دعائها حتى استعادت الفتاة المريضة تحريك اطرافها واصبحت قادرة على ان تذهب للقاء ابويها عند عودتهما . وملا الشكر والامتنان قلوب افراد الاسرة جميعا ، فانتهاوا الى الدخول في ديانة تلك المرأة التي اسدت اليهم هذا الفضل .

حتى المسلم الاسير ، يفتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه واخوانه في الاسر الى دينه . وقد تسرب الاسلام الى اوربا الشرقية اول الامر بفضل ما قام به فقيه مسلم ، سيق اسيرا ، ربما في احدي الحروب التي نشبت بين الدولة البيزنطية وجيرانها المسلمين ، وجرني به الى بلاد بتشنج Pechenegs في مستهل القرن الحادي عشر . وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الاسلام ، فاعتقده في

اخلاص ، حتى انه اخذ في الانتشار بين هذا الشعب . اما سائر
التشتج الذين لم يكونوا قد قبلوا دين الاسلام ، فقد ارتابوا من تصرف
مواطنيهم ، وانتهى بهم الامر الى نشوب القتال بينهم . وقاوم المسلمون
وكان عددهم يبلغ نحو من اثني عشر الفا ، هجمات الكفار في نجاح ،
مع ان هؤلاء كانوا اكثر منهم عددا بما يزيد على الضعفين . ودخلت
فلول المهزومين بين المنتصرين . ولم تأت نهاية القرن الحادى عشر ،
حتى كان الشعب بأسره قد اعتقد الاسلام ، وكان من بينهم مسلمون
تعلموا الفقه والتوحيد . وفي عهد الامبراطور جيهابحير (١٦٠٥) —
(١٦٢٨) كان هنالك عالم سني من علماء التوحيد يدعى الشيخ احمد
مجدد ، وقد تميز بقدرته على مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوع خاص .
ولما كان هؤلاء مقربين الى البلاط في ذلك الحين ، نجحوا في ايداعه
السجن بتهمة تافهة . وفي خلال السنتين اللتين قصاهما في الحبس ،
ادخل في الاسلام عدة مئات من عبدة الاوثان الذين كانوا يرافقونه
في هذا السجن نفسه . وفي سنوات احدث من ذلك ، قضت
الحكومة البريطانية بنفي احد مولوية الهنود الى الجزائر اندمان نفيها
مؤبدا ، لانه كان قد قام بنصيب فعال في مؤامرة دبرها الوهابيون
سنة ١٨٦٤ ، وهناك ، ادخل هذا المولوى في الاسلام قبل وفاته
كثيرا من المحكوم عليهم . وفي افريقية الوسطى ، حكم البلجيكيون
على زعيم عربي بالاعدام ، فقضى ساعاته الاخيرة ، وهو يحاول ان يدخل
في الاسلام ذلك المبشر المسيحي الذي كان قد ارسل اليه ليزججه
اليه التعزيات الدينية .

عوامل نجاحهم : واذا كان المسلمون قد بلغوا مثل هذه الحماسة
في نشر الدعوة الى حد انهم كانوا على استعداد للتحديث عنهم

العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من العبادىء المستمدة من العقل والمنطق ، ينطبق عليها تمام الانطباق . والحق ان محمدا الذى كان متحمسا لدينه ، كما كان كذلك يمتلك فيرة الايمان ، ونار الاقتناع ، تلك الصفة القيمة التي بثها كثيرا جدا من اتباعه — قد عرض حركته الاصلاحية على انها وحيي والهدام : على ان هذا النوع من الوحي ليس الا صورة من العرض والتفسير ، وان لدينه كل العلامات التي تدل على انه مجموعة من العقائد قامت على اساس المنطق والعقل . وتتخلص العقيدة الاسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه ، اما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليللا لاروح فيه ، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة . وهذان المبدآن هما اقل ما ينبغي للاعتقاد الديني ، وهما امران يستقران في نفس الرجل المتدين على اساس ثابت من العقل والمنطق ، ويلخصسان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن وان بساطة هذه التعاليم ووضوحها على وجه التحقيق من اظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة الى الاسلام . وما لاسبيل الى انكاره ان كثيرا من عقائد اللاهوت ونظمه ، وكثيرا من الخرافات كذلك ، من عبادة الاولياء الى استخدام المسابح والتعاوين قد طعم به الجذع الرئيسي للعقيدة الاسلامية . ولكن على الرغم من التطور الخصب ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لتعاليم النبي ، حفظ القرآن منزلته من غير ان يطرأ عليه تغيير او تبديل ، باعتباره النقطة الاساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة ، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية ، في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير ان نجد في غير

الاسلام ما يفوق تلك المزايا . وان هذا الاخلاص كبدأ الدين
الاساسي ، والبساطة الجوهرية في الصورة التي يصاغ فيها هذا
الدين والدليل الذي كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين
يقومون بنشره اقتناعا يلتهب حماسه وغيرة ، ان هذا كله يكون
الاسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين . وكان
من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد ، خالية كل الخلو من جميع
التعقيدات الفلسفية ، ثم هي تبعا لذلك في متنازل ادراك الشخص
العادي ، ان تمتلك ، وانها لتمتلك فعلا ، قوة عجيبة ، لاكتساب
طريقها الى ضمائر الناس " .

ويرى الاسقف لفروي Lefroy ان " سر القوة الخارقة للعادة
التي اظهرها الاسلام في ازهر عصوره في فتوحاته وتقدمه " كما من في
ادراك هذا الدين وجود الله ، اكثر منه في وحدانيته ، قال : " ليس
قولنا ان الله واحد بأعظم من قولنا انه موجود — بمعنى ان وجوده
هو حقيقة الكون المطلقة — وان ارادته هي العليا — وان سيادته
مطلقة — وان قوته لاتحد . . . وهذا معناه الايمان بأن هنالك
ارادة مطلقة عليا لا تقاوم في وسط كل ما يغمر الكون من الاختلال
والاضطراب والفساد الذي يجعله في صورة من الظلمة والوحشة تبعث
على الفزع والرغبة ، كما ان معناه الايمان بان الرجل مسير طوع هذه
الارادة ، يظهرها ، ويلتزم الطاعة لها — ولو انه من الضروري ان يأخذ
في سبيل اظهار هذه الارادة بأسباب بسيطة بدائية جدا — وهذا
هو الذي امد جحافل المسلمين بوسائل الفتح التي لا تقهر ، تلك التي
بعثت فيهم روحا من الانقياد الحربي والنظام العسكري ، كما بعثت
فيهم ازدياء الموت ، الامر الذي ربما لم نعرفه قط في اي نظام سابق .

وهذا هو الذى يعطينا في كلمة ، حسب ما نجده متحلاً في اية روح صادقة فعالة بين المسلمين ، ذلك العمود الفقرى لآخلاقهم ، اعني ذلك الثبات في العزيمة والقوة في الارادة ، وذلك الصبر الذى لا يعرف سبيلا الى الشكوى ، والاستسلام لشد المصائب واصعبها ، — كل ذلك قد ميز خير انصار العقيدة وجعلهم " .

واذا قبل الذى يدخل في الاسلام هذه العقيدة البسيطة وتعلمها لم يكن بعد عندئذ من أن يتعلم فرائض الدين الخمس :

١- النطق بالشهادتين .

٢- واقام الصلوات الخمس في اوقاتها .

٣- وايتاء الزكاة .

٤- وصوم رمضان .

٥- والحج الى مكة .

وطالما اعترض بعض الناس على اداء هذا الفرض الاخير باعتباره بقية فريضة من بقايا الوثنية ، ظلت من جملة تعاليم النبي التي تدعو الى الوحدةانية ، ولكن ينبغي الا يعزب عن الالذهان ان الحج قد اقترن بابراهيم ، في نظر النبي ، وان رسالة النبي هي اعانة دين ابراهيم . ولكن فوق ذلك كله — وهنا تكون اهميته العليا في تاريخ نشر الدعوة في الاسلام — ينظم الحج اجتماع المؤمنين في كل سنة ، على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ، من كافة انحاء العالم ، للصلاة في ذلك المكان المقدس ، الذى يولون وحوهم شطره في كل ساعة من ساعات عبادتهم الخاصة في اوطانهم النائية . ولم تستطع اية محاولة يقوم بها عباقرة اى دين ان تتصور وسيلة احسن من هذه الوسيلة تطبع في عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة ، واخوتهم التي ارتبطت بروابط

الدين . وفي ذلك المكان ، حيث نجد عملا ساميا من اعمال العبادة المشتركة ، نرى زنجي ساحل افريقية الغربي يلتقي بالصيني من اقصى الشرق ، ويتعرف التركي الرقيق المذهب على اخيه المسلم من اهل الجزائر المتوحشين الذين يسكنون ابعد اطراف بحر الملايو . وفي هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين في كافة انحاء العالم الاسلامي ، في عطف وحنين ، الى اخوانهم الاسعد حفا منهم ، الذين تجمعوا في المدينة المقدسة ، فيحتفلون في اوطانهم بعيد الاضحى ، او كما (يسمى في تركيا ومصر) عيد البيرام او العيد الكبير . وان زيارتهم المدينة المقدسة قد اصبحت في نظر كثير من المسلمين ، التجربة التي حثتهم على الجهاد في سبيل الله ، وقد اوردنا في الصفحات السابقة اشارات متتابعة الى ما قامت به طبقة الحاجي من نصيب فعال في اعمال نشر الدعوة .

والى جانب نظام الحج ، نجد ايتاء الزكاة فرضا آخر يذكر المسلم دائما بقوله تعالى " انما المؤمنون اخوة " — وهي نظرية دينية تتحقق على ضرورة راعة تبعث على الدهشة في المجتمع الاسلامي . ولما تعجز عن ان تتجلى في اعمال الشفقة ازاء المسلم الجديد . ومهما يكن جنسه ولونه واسلافه ، فانه يقبل في زمرة المؤمنين ، ويتبوأ مكانه على قدم المساواة مع اقاربه المسلمين .

على انه ليس من الصواب ، ما زعمه بعض الكتاب الاوربيين من انه اذا كان عبد الرجل المسلم كافرا ، فان تحوله الى الاسلام يوءى الى تحرير رقبته . ذلك ان الشريعة الاسلامية تقتضي بأن دخول العبد في الاسلام ، لا يوءثر في حالة العبودية التي كان عليها من قبل . وتختلف حالة العبد المسلم اختلافا كبيرا تبعا لخلق مولاه . ولكن

الحرية هي جزاء التحول الى الاسلام في كثير من الحالات .
وان العقول الورعة الثقة لتعترف حتى في الاسترقاق بهداية الله
الى الدين الحق ، كما يروى عن الزوج الساكنين في بلاد النيسل
الاعلى ، الذين لقيهم داوتي في بلاد العرب . " لا يوجد في نفوس
اولئك الافريقيين اى حقد من انهم صيروا عبيدا . . . حتى ولو ان
سراق البشر القساة قد انتزعوهم من ذويهم . وكان العملاء الذين
يدفعون ثمنهم ، يتخذونهم في بيوتهم ، ويختتن الذكور منهم — وان
الذى حرر ارواحهم ، الحنين الطويل الى اوطانهم ، هو ان الله قد
تفقد هم في ملتهم ، انهم يستطيعون ان يقولوا ان نعمة الله قد
تداركتهم منذ ان دخلوا بفضلها في الدين المنقذ ، لذلك يبرون
انهم في بلد خير من بلادهم ، فهم في ذلك البلد عتقاء الله ، وهم
في بقاع تحيي حياة اكثر مدنية ، وهم في تربة الحرمين الشريفين ، وفي
بلد محمد — لذلك يشكرون الله ان بيعت اجسادهم يوما ما ببيع الرقيق"
كذلك نجد اداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم
من التأثير سواء في جذب الناس او الاحتفاظ بالمسلمين منهم . وقد
احسن مونتسكيو في قوله : " ان المرء لاشد ارتباطا بالدين الحافل
بكثير من الشعائر ، منه بأى دين آخر اقل منه احتفالا بالشعائر ،
وذلك لان المرء شديد التعلق بالامور التي تسيطر دائما على تفكيره" ،
ان دين المسلم يتمثل دائما في مخيلته ، وفي الصلوات اليومية ، يتجلو
هذا الدين في طريقة نسكية خاشعة مؤثرة ، لانستطيع ان نترك العابد
والمشاهد كليهما غير متأثرين . يتحدث سعد بن الحسن ، احد
يهود الاسكندرية ، الذى اعتقد الاسلام في سنة ١٢٣٨ م ، عن مشهده
صلاة في الجمعة في مسجد باعتباره عاملا حاسما في تحوله الى الاسلام .
في خلال مرض شديد كان قد انتابه ، رأى في المنام ان صوتا يأمره

بأن يجهر بالاسلام . " وعندما دخلت المسجد " ، (ويستمر في حديثه الى ان يقول) " ورأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة ، سمعت هاتفا يقول ، هذه الجماعة هي التي اخبر الانبياء (صلوات الله عليهم) بقدمها . ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولى على شعور عميق من الرهبة . . . ولما ختم خطبته بالكلمات ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ، ولما بدأت الصلاة ، احسست بقوة تدفعني الى النهوض ، لان صفوف المسلمين بدت امامي كأنها صفوف الملائكة ، الذين يتجلى الله القدير في سجاداتهم وركعاتهم ، ثم سمعت هاتفا يهتف بي : اذا كان الله قد تحدث موتين الى بني اسرائيل في كل العصور ، فانه يتحدث الى هذه الجماعة في كل وقت من اوقات الصلاة ، وايقنت في نفسي اني خلقت لأكون مسلما " .

فاذا استطاع رينان ان يقول : " ما دخلت مسجدا قط ، دون ان تهزني عاطفة حادة ، او بعبارة اخرى ، دون ان يصيبني اسف بحقق على انني لم اكن مسلما " ، كان من اليسير ان ندرك كيف ان منظر التاجر المسلم في صلاته ، وسجدياته الكثيرة ، وعبادته للاله الذى لا يراه ، في سكنة واستغراق ، قد يؤثر في الاقربى الوثني ، الذى وهب ادراكا قويا للقوى الخفية ، كما يقترن هذا الادراك عادة بدرجة منحطة من المدنية وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال . وان معارف الاسلام التي عرفها الناس على هذا النحو قد تجذب احيانا فردا يدخل في الاسلام ، كان من الممكن ان ينصرف عنه لو انه قد م اليه على صورة لا يرغب فيها ، باعتبارها هبة حرة . ولا حاجة

الى القول بأن صيام شهر رمضان جزء من دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الاسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مزاوتهم في ملذاتهم الشخصية ، وكما قال كارليل : " ان دينه ليس بالدين السهل : فانه بما فيه من صوم قاس ، وطهارة ، وصيغ معقدة صارمة وصلوات خمس كل يوم ، وامساك عن شرب الخمر ، لم يفلح في ان يكون ديناً سهلاً " .

ولكن هؤلاء المسلمين يعنون بتلك الفرائض وغيرها من الشعائر الدينية . ولكن من غير ان يشغلوا بها كواهلهم ، او تجعلهم مغمورين في الحياة ، نجد اركان العقيدة الاسلامية تلتقي دون انقطاع ، تعبيرا ظاهرا في حياة المؤمن ، ومن ثم نجد ها ، بعد ان اصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكا لا سبيل الى الفكاه منه ، تجعل المسلم الفرد اماما ومعلما لعقيدته ، اكثر ، الى حد بعيد ، مما هي الحال مع انصار معظم الديانات الاخرى . ولما كانت عقيدته مصوغة في مثل هذه اللفة الموجزة البسيطة ، كانت لا تطلب من الذكاء الا قليلا ، وان تحدث هذه الطقوس وواقعيتها ودقتها ليدع المؤمن لا يتخالج في نفسه الشك فيما هو مكلف بأداءه ، فاذا ارى هذه الواجبات ، اطمأن وجدانه الى انه قد انجز كل اوامر الشرع . وقد نجد الى حد بعيد ، في هذه الوحدة التي تربط بين النظامين العقلي والطقسي في هذا الدين ، سر السيطرة التي احدثها الاسلام على عقول الناس . " فاذا اردت ان تجذب اليك جماهير كثيرة من الناس ، لقنهم الحقيقة في صورة حاسمة ، دقيقة واضحة ، وفي اسلوب مؤثي محس " .

ومن الممكن ان نورد كثيرا من الظروف الاخرى التي ساعدت

على نجاح الدعوة الى الاسلام - وهي ظروف تتعلق بازمان معينة وبلاد خاصة . ويمكن ان نذكر من بين هذه الظروف تلك الغائصة التي تستمد لها اعمال الدعوة الاسلامية من هذه الحقيقة ، وهي ان هذه الدعوة كانت الى حد كبير في ايدى التجار ، وخاصة في افريقية وبلاد اخرى غير متمدنة ، حيث نرى الاجنبي موضع الريبة والشك بطبيعة الحال من اهالي هذه البلاد . ففي حالة التاجر ، نجد مهنته المعروفة التي لا ضرر فيها ، تضمن له مناعة من اى احساس بمثل هذه الريبة ، على حين نرى خبرته بالناس والاخلاق ، وحنكته التجارية في معاملة الناس تنيلانه قبولاً حسناً ، وتزيلان ذلك الشعور بالضيق الذي قد ينشأ بطبيعة الحال من وجود الغريب . وهو لا يقع في تلك المساوئ التي تعرقل مهمة الداعي المحترف ، الذي يكون معرضاً لان يتهم ببعض الدوافع الشريرة ، من جانب الشعب الذي نجد درجة خبرته وأفقه الفقلي محدودين ، والذي يرى ان فكرة اى شخص يتحمل اخطار سفر طويل ، ويطرح جانبا كل المشاغل الدنيوية لغرض واحد ، هو ان يظفر بقوم يدخلهم في دعوته ، امرافض لا سبيل الى تفسيره ، بل من جانب قوم من العالم اكثر تمدناً وحضارة على اتم استعداد للشك في اخلاص هؤلاء الذين عهد اليهم في نشر الدعوة من المأجورين .

وتختلف الظروف جد الاختلاف ، حينما لم يكن هنالك من سبيل من ان يظهر الاسلام في مظهر الضارع المتوسل في البلد الغريب ، ولكنه يمثل دين الجنس الحاكم في عزة وكبرياء . وقد بينا في الصفحات السابقة ان نظرية العقيدة الاسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع اتباع الديانات الاخرى ، اولئك الذين يؤدون

الجزية كفاً حمايتهم . وعلى الرغم من ان صفحات التاريخ الاسلامي قد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية ، ظل الكفار ، على وجه الاجمال ، يتمتعون في ظل الحكم الاسلامي بدرجة — التسامح لم تكن نجد لها مثيلاً في اوربا حتى عصور حديثة جداً ، وان التحويل الى الاسلام عن طريق الاكراه محرم ، طبقاً لتعاليم القرآن : " لا اكراه في الدين " (سورة ٢ آية ٢٥٧) . افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله " (سورة ١٠ آية ٩٩ ، ١٠٠) ، وان مجرد وجود كثير جداً من الفرق والجماعات المسيحية في الاقطار التي ظلت قروناً في ظل الحكم الاسلامي ، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون ، كما يدل على ان الاضطهادات التي كانوا يدعون النبي معاناتها بأيدي الطفافة والمتعصبين ، انما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة واقليلية ، اكثر من ان تكون منبعثة عن مبدأ مقرر من التعصب .

وفي امثال تلك الازمان التي حدث فيها الاضطهاد ، كان ضغط الظروف يدفع كثيراً من الكفار الى ان يصبحوا — من الناحية الشكلية على الاقل — مسلمين ، ويمكن ايراد كثير من الامثلة عن افراد اكرهوا في مناسبات خاصة على الانعان لدين القرآن ولكن مثل هذا التمسك لم يكن بجوافقة الشرع الاسلامي في شيء ، سواء منه الديني والمدني وقد ذكرنا من قبل الآيات القرآنية التي تنهى عن الاكراه في الدين ، وتوصي بالدعوة باعتبارها الوسيلة الشرعية الوحيدة لنشر هذه العقيدة ، ويؤيد هذا المبدأ نفسه ما قرره الائمة من المسلمين . ولما هرب موسى بن ميمون ، الذي كان قد تظاهروا بالدخول في الاسلام في عهد الموحدين ، الذين كان حكمهم ينطوى

على التعصب الديني ، الى مصر ، واطعن هنالك امام الملا انه يهودي اتهمه احد فقهاء المسلمين من اسبانيا ، بالارتداد عن الاسلام ، وطلب بأن يوقع عليه اقصى عقوبة يقضي بها الشرع لهذا الجرم . ولكن القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي ، وهو من اشهر قضاة المسلمين ، وكبير وزراء صلاح الدين العظيم ، الفى هذا الحكم ، واطعن بصفة جازمة ، ان رجلا قد ارغم على الدخول في الاسلام ، لا يصح شرعا ان يعد مسلما ، وبهذه الروح نفسها ، نجد غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) ، عندما اكتشف ان عبدة البوذية الذين كانوا قد دخلوا في الاسلام في مستهل حكمه (حينما خربت معابدهم) لم يتحولوا الى هذا الدين الا تظاهرا ونفاقا ، يسمح لجميع هؤلاء الذين كانوا جد راغبين في العودة الى التبت ، حيث يستردون حريتهم مرة اخرى بين مواطنيهم البوذيين ، ويتبعون ديانتهم القديمة . ويقص لنا تافر نبيير قصة مماثلة عن بعض يهود اصفهان الذين كان الحاكم قد اضطهدهم اضطهادا شديدا الى حد انه " جعلهم يتحولون الى الاسلام بالقوة والخديعة كليهما ، ولكن الطك (الشاه عباس الثاني) (١٦٤٢ - ١٦٦٧) ادرك ان القوة والرغبة وحدهما قد ارغماهم على هذا التحول ، فاذن لهم ان يستردوا ديانتهم وان يعيشوا في هدوء وامان " . وتدلنا قصة ذكرها رحالة في فارس يرجع الى عهد اقدم من ذلك بكثير ، الى سنة ١٤٧٨ كيف عكف احد حكام المسلمين ، في تلك الازمان المضطربة ، على القضاء على سورة من التعصب من هذا النوع نفسه في شدة وعنف . بينما كان تاجر ارمني موسر جالسا في حانوته ذات يوم ، قدم عليه حاجي ، كان مشهور بالتقوى والصلاح ، وألح عليه ان يدخل في الاسلام ، وينبذ المسيحية . ولما

اعرب التاجر عن نيته في ان يظل ثابتا على دينه ، وقدم له صدقة ،
رغبة في ان يتخلص منه ، اجابه بأنه لا يريد صدقته ، وانما يريد
ان يتحول الى الاسلام . واخيرا ضاق الحاجي ذرعا باصرار التاجر
على الرفض ، فاخططف فجأة سيفاً من يد احد المشاهدين ، وضرب
التاجر على رأسه ضربة قاضية ، ثم لان بالفرار . ولما سمع خاكم
المدينة الخبر ، استشاط غضبا ، وامر بأن يقتفى اثر القاتل ويودع
في السجن . وجيء بالمذنب بين يدي الحاكم ، فطعنه بيده طعنسة
قضت عليه وامر بأن تلقى جثته نهبا للكلاب ، وقال : " ماذا ، ابهذه
الطريقة ينتشر دين محمد ؟ " . ولما رخص الليل سدوله اخذ
عامة الشعب هذه الجثة وحرقوها ، ومن ثم ثار سخط الحاكم لهذا
التحقير لاوامره . فأسلم هذا المكان الى عساكره ينهبونه ثلاث ساعات
او اربعا ، ثم فرض غرامة امعانا في العقاب . وكذلك استقدم اليه
ابن التاجر وعزاء ولاطفه بعبارات طيبة رقيقة ، حتى الحاكم المجنون
(٩٩٦-١٠٢٠ م) (٣٨٦-٤١١ هـ) الذي حملت اضطهاداته
كثيرا من اليهود والمسيحيين على ان يتركوا دينهم ويدخلوا في الاسلام
قد سمح فيما بعد لهؤلاء الذين تحولوا الى الاسلام عن غير رغبة
ان يعودوا مرة اخرى الى دينهم ، وان يعيدوا بناء اماكن عبادتهم
المخربة . ولما كان المسيحيون الشرقيون يلقون اهمالا من جانب
اخوانهم المسيحيين في الغرب ، وكانوا في الاغلب الاعم عزلا من اي
سلاح ، كما كانوا غير محميين على الاطلاق ، كان يكون من السهل على
اي حاكم من حكام الاسلام الاقوياء ، ان يستأصل شأفة رعاياه المسيحيين
او ينفيعهم من بلادهم . كما فعل الاسبان بالعرب ، والانجليز باليهود
مدة اربعة قرون تقريبا . وكان من الممكن تماما ان ينفذ سليم الاول (في
سنة ١٥١٤) او ابراهيم (في سنة ١٦٤٦) تلك الفكرة البربرية التي

تصوروها للقضاء على رعاياهم المسيحيين ، كالذى صنعه الاول من ذبح
... ٤ شيعي لتدعيم وحدة العقيدة الدينية بين رعاياه المسلمين .
وان طبقة المفتي الذين صرفوا اذهان سادتهم عن مثل هذا الغرض
الذى ينطوى على القسوة ، انما فعلوا ذلك باعتبارهم ائمة الشريعة
الاسلامية والتسامح الاسلامي .

اضف الى ذلك انه على الرغم من ان المبدأ الذى وجد
قبولا عظيما في المانيا في القرن السابع عشر — وهو ان لكل منطقة
دينها الخاص — لم يقبله قط اى عاهل مسلم ، فمن الواضح ان هذه
الحقيقة ، وهي ان الاسلام دين الدولة لم تعجز في انها قد
احدثت بعض التأثير في زيادة عدد انصاره . وان الاشخاص الذين
لم تتغلغل العقيدة الدينية في نفوسهم قد يكونون على استعداد
للتأثر باعتبارات المنافع الدينية ، وقد يقوم الطموح والمصلحة
الشخصية مقام بواعث اكثر قبولا واستحسانا للتحول الى الاسلام .
وقد شيكا القديس اوفسطين من مثل ذلك في القرن التاسع ، فذكر
ان كثيرا من الناس دخلوا في الكنيسة المسيحية ، لا لشيء الا لانهم
املوا في الحصول على بعض المنافع المادية باعتقادهم المسيحية ،
قال : " ما اكثر الذين لا يسمعون الى المسيح الا لغرض واحد ،
هو ان يجنوا من وراء ذلك منفعة لهم ، حسب ما تقتضيه ظروف كل
منهم ، يكون لاحدهم مهمة ما فيسعى الى رجال الدين ليحظى منهم
بالكلمة الصالحة ، ويهرع آخر الى الكنيسة يطلب منها الحماية من
زميل له ، اكثر منه اعتادا وقوة ، قد ضيق عليه الخناق ، ويرمي آخر
بذلك الى توسيط زميل له بعض الجاه والسلطان ، لمصلحته
الشخصية . ولهذا حجتة ، ولذاك حجتة . ان الكنيسة تمتلئ كل يوم
بأمثال هؤلاء " .

زد على ذلك ايضا ، ان الاسلام لابد ان يكون قد بدا في
نظر القبائل المتبربرة وغير المتقدمة التي شاهدت مجد الامبراطورية
العربية وعظمتها في اوج قوتها ، بمثل ذلك التأثير والسحر اللذين
بدت بهما المسيحية حين عرضت على براهرة اوربا الشمالية ، "عندما
وجدوا المسيحية في الامبراطورية - تلك المسيحية المهدبة المعقدة
التي تعتمد على الابهة وجلال النفوذ والسلطان - دينا لبس التاج
الى جانب الملوك ، وقد يتفوق عليهم في السيطرة في بعض الاحيان".
ومما يجب ان نزيده على ما تقدم ، هذا التأثير البطيء
الدائم ، الذي احده الاتصال اليومي بالحياة الاسلامية والتفكير
الاسلامي . ما جعل حتى احد الكتاب النساطرة في القرن الثاني
عشر ، يضيف كلمات التبجيل والتقديس الى اسم النبي والخلفاء الاولين
كلنا عرض لذكرهم ، ويستنزل رحمة الله على عمر بن عبد العزيز . وفي
عصور حديثة ، يشكو المبشرون المسيحيون من ان نظام التعليم العام
في مصر في ظل الاحتلال البريطاني ، ذلك النظام الذي " يضطر
الاولاد المسيحيون غالبا بمقتضاه الى ان يجلسوا ويستمعوا للقرآن
والدين (اى الدروس الدينية) وهما يدرسان لرفاقهم المسلمين ، على
حين لا يوجد مكان يمكن عزلهم فيه " ، انما يميل الى منح المسلمين
نفوذا راجحا على اخوانهم التلاميذ المسيحيين . ومن انشط اتباع
محمد عبده المفتي الاخير رجل كان في الاصل طالبا قبطيا يدرس الطب
ثم تحول الى الاسلام بتأثير التعليم الديني الذي كان قد سمعه يلقي
في ساعات الدرس بالمدرسة .

ولكن سرد امثال هذه البواعث التافهة يفسر كل حالات التحول
الى هذا الدين او الى غيره من الاديان . وينبغي الا تجعلنا هذه
البواعث نفخ النظر عن العوامل الاخرى في حياة الدعوة الى الاسلام

التي كان لتأثيرها طابع ديني أكثر تميزاً ووضوحاً . وفي مقدمة هذه العوامل تأثير حياة الورع والتقوى التي يحياها المسلمون . وقد يبدو ذلك غريباً في نظر جيل تعود أن ينظر إلى الإسلام على أنه مستودع لكل ألوان الرذيلة ، ومع ذلك لا مراء في أن كثيراً من المسيحيين في عصور أقدم من ذلك ، اتصلوا بمجتمع إسلامي حي ، وتأثروا تأثراً عميقاً بما تجلّى في هذا المجتمع من فضائل . وإذا كانت هذه الفضائل قد أثرت كذلك في الرحالة وفي الغريب ، فلا شك في أنه كان لها بعض التأثير في جذب الكافر الذي أصبح يتصل بهم اتصالاً يومياً . من ذلك نجد ركلدوس دي مونت كرويسيس Ricoldus de Monte Cruſis ، وهو مبشر دومينيقي زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر ، ينطلق بالشأن على المسلمين الذين كان قد اشتغل بين أظهرهم ، يقول : " استولى علينا الدهش ، كيف أن أعمالاً تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا في ظل شريعة تصطبغ بمثل هذه النزعة الأحادية . لهذا نستعيد الآن في إيجاز أعمال العرب تلك المتصفة بالكمال . . . من ذا الذي لا يعجب إذا تأمل جيداً عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب ، أي إخلاص في الصلاة ، واية رحمة بالفقير ، وای تبجيل لاسم الله والانبياء والأماكن المقدسة . وای وقار في أخلاقهم ، وفي معاملتهم للغرباء ، واية مودة تربط بين جنسهم ؟ وعلى هذا النحو امتدح وليم بيتي اف نيوبورج William Petit of Newburgh حول نهاية القرن الثاني عشر ، رزانة العرب باعتبارها مظهرًا من تعاليم نبيهم ، وموحية اليهم بمعنى من التفوق الخلقي على المسيحيين ، قال : " ولما كان محمد يبغض السكاري والنهمين في جميع أنحاء الأرض ، فإنه

قد علمهم العفة والقناعة ، وقبح الطيب من الطعام ، ونهاهم عن شرب الخمر الا في اعياد محددة قليلة . ولذلك نرى العرب ، وان كانوا حقيقة مستسلمين لشبهواتهم الجنسية ، متبعين في ذلك - كما قيل - سنة ذلك الذي اغواهم ، الا انه من المحزن ان نقول انهم اكثر عفوة وارجح منزلة من رجالنا المسيحيين . وهم آخذون علينا ، يا للعار ، قذارتنا بسبب نهمننا وادماننا تناول المسكرات . ولما سمح صلاح الدين اخيرا ، اثناء اختياره احوال شعبنا ، وكان صلاح الدين المعول الهدام لاسم المسيحيين منذ عشر سنوات خلت ، انهم يستخدمون بعض الاطباق عند تناول الطعام ، يروى انه قال ان امثال هذه الآنية تعد عارا على الارض المقدسة . ومن ذلك يتضح ان مظهر مجدنا يثير علينا العرب الذين يباهون باقتصادهم ، كما انه يشجعهم ، كأن لسان حالهم يقول " قد نبذ الله السكارى ، فلنقتف آثارهم ، ونلق القبض عليهم ، ماداموا لا يجدون منقذا لهم " .

وإدب الصليبيين غنى بمثل هذا التقدير للفضائل الإسلامية ، كما تلقى الاتراك العثمانيون في أيام حكمهم الاولي في اوربا ، كثيرا من تقدمات المذح والثناء من افواه المسيحيين ، كما بينا ذلك في احد ابواب هذا الكتاب .

وهبالك في الوقت الحاضر عاملان رئيسان (فوق ما ذكرنا آنفا مما يصح ان يؤيد وجهة نظرنا) يعملان على تنشيط الدعوة في العالم الاسلامي . اولهما انتعاش الحياة الدينية التي يبدأ تاريخها من حركة الاصلاح الوهابية في نهاية القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من ان هذا الانتقال الجديد قد فقد كل معنى سياسي في خارج حدود نجد زمنا طويلا ، نرى تأثيرها من حيث هي نهضة دينية

لموسا في كافة انحاء افريقية والهند وارخبيل الملايو ، حتى الى الوقت الحاضر ، كما احيت كثيرا من الحركات التي احرزت قصب السبق بين اقوى المؤثرات في العالم الاسلامي . وقد اوضحنا في الصفحات السابقة كيف ان كثيرا من البعثات الاسلامية الحديثة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بتلك الحركة الواسعة النطاق ، وان ما اثارته هذه الحركة من حماسة متقدة ، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة ، وما بنته في الدراسة الدينية النظرية وتنظيم الشعائر المنسكية من روح دافعة — ان ذلك كله قد عمل على ايقاظ روح الاسلام الفطرية التي جبلت على نشر تعاليم الدعوة ، كما عمل على الابقاء عليها .

وهناك عامل آخر يسير مع هذه الحركة الاصلاحية جنباً الى جنب ، وهو من نوع يختلف عن هذه الحركة جد الاختلاف — ذلك انه ، ولن نذكر الا وجهة واحدة من هذا الاختلاف ، في الوقت الذي نجد فيه الحركة الوهابية تناهض الحضارة الاوربية مناهضة عنيفة ، نرى العامل الثاني ينزع نوعاً ما الى التفكير الحديث ، ويقدم صورة الاسلام بما يتمشى مع هذه النزعة — ذلك هو حركة الوحدة الاسلامية التي تسعى الى ربط جميع شعوب العالم الاسلامي برباط مشترك من المودة والتعاطف . وعلى الرغم من ان هذا لا يساوي بحال العامل الآخر في الاهمية ، نجد هذا الاتجاه الى التفكير ، يهب روحاً قوية تدفع الى القيام باعمال نشر الدعوة ، وان الجهد الذي يحقق في الحياة الدنيا المثل الاسلامي الاعلى في اخوة المؤمنين كافة لينعكس على مثل العقيدة العليّة المكملة ، وان معنى وحدة شاملة ، وحياة مشتركة تجرى في هذه الشعوب لينفخ في قلوب المؤمنين روحاً وحياة ، ويخلق فيها الجرأة على التحدث بين يدي الكفار .

اما معرفة ما ستحدثه هاتان الحركتان من تأثير ابعد مدى
في حياة الدعوة الاسلامية فان المستقبل وحده كفيل ببيان ذلك .
على ان مجرد نشاطهم في الوقت الحاضر دليل على ان الاسلام لم
يمت . ولم يكن النشاط الروحي للاسلام ، كما زعم عدد كبير جدا
من الناس ، متمشيا مع سلطانه السياسي . بل على العكس من ذلك
نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على ابراز
اجمل الصفات الروحية التي تعد اصدق البواعث التي تحفز على القيام
بأعمال الدعوة . وقد تعلم الاسلام منافع الشدائد ، ولما كان بعيدا
كل البعد عن الانحدار الى الرخاء المادي لكونه نذير انحلال
هذا الدين ، كان من المهم ان تلك البلاد الاسلامية الخالصة
التي عاشت اطول وقت في ظل الحكم المسيحي ، تتجلى كأشهاد
ما تكون نشاطا في القيام بنشر تعاليم الدعوة . ويظهر مسلمو الهند
والملايو من الحماسة والفيرة في نشر الدين ما لا نجده في تركيا
او في مراکش .

تاريخ الاسلام في روسيا

=====

وقد حاول شعب آخر جذب الروس الى الاسلام قبل ذلك بسنين كثيرة ، ولكنه اخفق كذلك ، وهو هؤلاء هم البلغار من المسلمين الذين وجدوا حول القرن العاشر الميلادي على ضفاف نهر الفلجس ، والذين قد يرجع الفضل في اسلامهم الى تجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية . على انه يظهر ان دخول البلغار في الاسلام لابد ان يكون قد تم قبل سنة ٩٢١ م ، حين ارسل اليهم الخليفة المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢ م) (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) رسولا من قبله يقوم بتثبيتهم على الدين وتعليمهم مبادئ الاسلام وشعاره .

وقد حاول هؤلاء البلغار تحويل فلاديمير

Vladimir

ملك روسيا في ذلك الحين (الذي تحدثنا الرواية الروسية) ، انه رأى انه لم يكن بد من ان يختار ديناً آخر غير الدين الوثني الذي كان يدين به . ولم يقف في سبيل تحويله هو ورعاياه الى هذا الدين الا الختان وتحريم الخمر المستعملين عند المسلمين ، وصرح ان الروس لا يعدلون عنهما ، لانهما كانا من مباحج الحياة عندهم . وكذلك ابتلي بهذا الاخفاق اليهود الذين جاءوا من بلاد الخزر على بحر قزوين ، واستمالوا ملك هؤلاء الروس الى الديانة الموسوية . وبعد ان اصفى فلاديمير الى حججهم ، سألهم اين بلد هم ؟ فأجابوا " بيت المقدس ، ولكن الله شئت شملنا في كافة انحاء العالم فضيلا منه علينا " ، فصاح " اذا فقد بؤتم بلعنة من الله ، ومع ذلك فأنتم تريدون ان تعلموا غيركم . انهبوا ، فنحن لانريد مثلكم الا يكفون

لنا وطن " . وكان احسن ما اثر في نفس فلاديمير تلك الفكرة التي رسمها قسيس افريقي ، حين عرض صورة شاملة لتعاليم المسيحية ، بعد ان نقد الديانات الاخرى نقدا موجزا ، بادئا بخلق العالم وقصة فناء الانسان ، وانتهى بالمجامع السبع المسكونية التي اعترفت بها الكنيسة الاغريقية ، ثم رسم الملك صورة ليوم الدين ، ودخول الصالحين الجنة ، وقذف الكفار في الجحيم ، ووعد بهيرات السماء اذا عمد . ولكن فلاديمير لم يكن يميل الى الاندفاع في اختيار دين يحل محل دينه الوثني ، ومن ثم جمع زعماء الروس في دولته . ولما انتهى اليهم ما سمعه عن الديانات المختلفة ، سألهم ان يمدوه بنصائحهم ، فأجابوا : " ايها الامير ، ان كل امرئ يمتدح ديانتة فاذا اردت ان تختار احسنها ، فابعث برجال عقلاء الى البلاد المختلفة ليكشفوا لك اية امة من الامم تعظم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الأسمى " . لذلك اختار الامير لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالحكمة وسداد الرأي . ووجد هؤلاء السفراء بين البلغار اماكن حقيرة المظهر ، وصلوات تبعث على الكآبة ، ووجوها واجمة ، ووجدوا بين الالمان الكاثوليك حفلات دينية خالية من الابهة والجلال . واخيرا بلغوا القسطنطينية : فقال الامبراطور : " دعهم يشاهدوا جلال الهيأة " ، ثم اخذوا الى كنيسة ايا صوفيا ، حيث كان البطريرك ، وهو يرتد ملابسه الرسمية يحتفل بالقداس . وان فخامة البناء ، وملابس القسيسين الكهنوتية الجميلة ، وزخارف المذابح ، ورائحة البخور الزكية ، وسكون الناس المنبعث عن الاحترام والخضوع ، والاحتفال الديني السحري الذي يتجلى في هيئة وخشوع — كل ذلك ملاء قلوب الروس دهشا وعجبا .

وقد بدا لهم ان هذه الكنيسة لابد ان تكون مقام العلى الاسمى ،
وانه سبحانه اظهر للبشر مجده في ذلك المكان . ولما عاد الرسل
الى كييف ، وصفوا سفارتهم للامير ، وتكلموا في احتقار عن ديانة
النبي ، ولم يكن لديهم ما يقولونه الا القليل عن الديانة الرومانية
الكاثوليكية ، ولكنهم امتدحوا الكنيسة الاغريقية في حماسة وفيرة وقالوا :
" ان كل رجل ذاق شربة حلوة ، سوف يعاف من الآن ، اى شراب
مر المذاق . ومن اجل هذا ، لانرغب - بعد ان وقفنا على عقيدة
الكنيسة الاغريقية - في اية ديانة اخرى " . وقد استشار فلاديمير
زعما الروس مرة اخرى ، فقالوا له : لو لم تكن الديانة الاغريقية
احسن الديانات ، لما اعتقدتها ابدا جدتك اولجا ، احكم البشر .
ومن ثم لم يعد فلاديمير مترددا . وفي سنة ١٨٨٨ م جهر بالمسيحية
وفي اليوم التالي لتعميده نبذ الاوثان التي عبدها اجداده ، واصدر
مرسوما يقضي بأن يدعن الروس كافة ، سادة وعبيدا ، اغنياء
وفقراء ، للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية .

وهكذا اصبحت المسيحية ديانة الروس . فانه بعد الفتح المغولي
وجد الصفات القومية التي تميز بها الروس والتتار ، الذين احتفظوا
الى الآن بعنصرين منفصلين احدهما عن الآخر ، وما اضروه من
كراهة مبررة للسلطان التتارى ، واخلاص الروس لدينهم ، ونقص
الغيرة الدينية عند التتار - نجد ذلك كله قد جعل الجنس
المحكوم بعيدا عن اعتقاد ديانة هؤلاء الذين فتحوا بلاده . وقد
زعم بعض ان تحريم الشريعة الاسلامية الخمر كان عقبة في سبيل اعتقاد
اهالي روسيا هذا الدين .

ويظهر انه لم تكن هنالك حالات عن تحول بعض الروس الى
الاسلام ، الا بعد ان صدر في سنة ١٩٠٥ مرسوم ينص على التسامح

الديني في كافة ارجاء الامبراطورية الروسية ، وما تلا ذلك من دعاية نشيطة قام بها المسلمون . وان ما حدث من هذه الحالات يعزى الى قوة التأثير الناتجة من المساعدة الخادية التي قدمها التتار الى هؤلاء الداخلين في الاسلام ، كما يعزى الى القوة المعنوية التي تتميز بها المسلمون انفسهم .

ولم يكن تتار بلاد روسيا مجتمعين غير عاملين على تقديم انتشار الاسلام في القرون السابقة ، فان السحنة الهلينية الواضحة التي تشاهد بين هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم تتار القرم ، ادت الى الظن بأن هؤلاء المسلمين قد ادجوا في مجتمعهم الاهالي من الاغريق والايطاليين الذين وجدوهم قد استوطنوا شبه جزيرة القرم . كما نجد بينهم اسلافهم الذين دخلوا في الاسلام من الاهالي الوطنيين في هذه البلاد ، ومن سكان مستعمرة جنوه . ويحدثنا احد الرحالين في القرن السابع عشر الميلادي ان - تتار القرم كانوا يبذلون جهدهم لحث مواليتهم على الدخول في الاسلام ، وانهم جذبوا كثيرين منهم الى هذا الدين ، بما كانوا يعدونهم اياه من منحهم الحرية اذا استجابوا لرغباتهم . وكذلك نشطت الدعوة الى الاسلام بين تتار القوم بعد ان صدر مرسوم حرية التدين في سنة ١٩٠٥ .

ولا بأس من ان نشير هنا اشارة موجزة الى التتار في لتوانيا ، حيث استقرت جماعات صغيرة منهم منذ اوائل القرن الخامس عشر . وقد احتفظ هؤلاء المهاجرون المسلمون ، الذين اقاموا بين الاهليين من المسيحيين ، بدينهم القديم . ولكن يظهر انهم (وقد يكون ذلك لاسباب سياسية) لم يحاولوا ان يعلموهم مبادئ هذا الدين

بيد انهم اعتادوا ان يتزوجوا من اللتوانيات والبولنديات ، اللاتي
نشأ ابناؤهن نشأة اسلامية ، ولم يسمح لاية مسلمة ان تتزوج من
مسيحي . وشجع كبار دوقات لتوانيا زواج النساء المسيحيات من
رجال جنودهم التتارية ، الذين قدموا اليهم هبات من الارض ، ومنحوهم
مزايا اخرى .

ومن اغرب الحوادث في تاريخ الدعوة الى الاسلام ، ما كان من
تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى على ايدى علماء التتار
(الطليات) الذين نشروا الاسلام بينهم في القرن الثامن عشر ،
باعتبار انهم دعاة من قبل الحكومة الروسية . وقد اخذ القرغيز
ينضمون تحت لواء الروس حول سنة ١٧٣١ م ، وتبوءت الرسائل
السياسية معهم كافة باللغة التتارية قرابة ١٢٠ سنة ، واهمى انهم
كانوا يشبهون تتار الفلجا من ناحية السلالة البشرية وهناك نوع آخر
من سوء الفهم من ناحية الحكومة الروسية ، وهو ان القرغيز كانوا
مسلمين ، على حين كانوا في القرن الثامن عشر جميعا ، على وجه
التقريب ، يدينون بالشامانية ، حيث كان عدد كبير منهم لا يزالون
يدينون بهذا الدين حتى منتصف القرن التاسع عشر . وفي القرن
الذى ضمت فيه بلادهم الى الامبراطورية الروسية ، عدا قليل من
خاناتهم وسلاطينهم ، كانت لهم معرفة ما بالدين الاسلامي — وكانت
هذه المعرفة على درجة كبيرة من الاختلاط والغموض . ولم يجد
احد مسجدا واحدا في ارجاء سهول القرغيز كافة ، كما لم يكن
هناك اى معلم ديني يقوم بتعليم دين النبي . ويدين القرغيز بدخولهم
في الاسلام الى هذه الحقيقة ، وهي ان الروس الذين عدوهم
مسلمين ، اصرروا على معاملتهم كما لو كانوا كذلك . وقد منحوا

الاموال الضخمة لبناء المساجد ، وارسل عدد كبير من (المليات)
لانشاء المدارس وتعليم الاطفال مبادئ الاسلام . وكان علماء القزغيز
يتسلمون في كل يوم مقدارا صغيرا من النقود يقوم بنفقتهم ، واستحث
الآباء على ارسال اطفالهم الى المدارس عن طريق الهدايا وغيرها من
وسائل التشجيع والاقتناع . ومن الادلة التي لا تقبل الجدل على ان
الدعوة الاسلامية قد شقت طريقها في سهول القزغيز من ناحية بلاد
الروسيا ، هذه الحقيقة الواقعة ، وهي ان هؤلاء القزغيز خاصة ،
الذين كانوا اكثر اتصالا بأوروبا ، هم الذين اصبخوا مسلمين اول
الامر . وقد اخذت الشامانية القديمة تسير حتى القرن التاسع عشر
في بطة وتمهل ، بين هؤلاء الذين طوفوا فيما جاور بلاد خيوة
وبخارى وخوقند ، مع ان هذه البلاد كانت بلادا اسلامية عدة قرون .
وقد يكون هذا هو المثل الوحيد لحكومة مسيحية شاركت في نشر
الاسلام . وليس اقل غرابة من ذلك ان الحكومة الروسية في هذا
العصر كانت تحاول ان تفرض المسيحية على رعاياها المسلمين ففي
اوربا ، استمرارا لما بذلته من جهود في القرن السادس عشر على اثر
فتح خانية قزان .

وفي مستهل القرن التاسع عشر ، كان كثير من القزغيز الذين
يقيمون في السهول الفسيحة الممتدة جنوبا من مقاطعة تبلسك الى
بلاد تركستان لا يزالون على الوثنية ، واتصل بعض بالحكومة الروسية
لا يفاد بعث تبشيري للدين المسيحي يقيم بين اظهريهم . ولكن
الحكومة لم تجبهم الى هذا الطلب بحجة ان " هؤلاء الناس كانوا من
البربرية والوحشية بحيث لا يكون فهمهم للانجيل امرا ميسورا . سرعان
ما سارت لنشر الدعوة جماعات اخرى لاتعتمد على حسن نية اية حكومة .

كما كانت اكثر غيرة وادراكا ، واحتلت هذا الميدان واجتذبت كافة قبائل القرغيز الى الدين الاسلامي ”

وبعد فتح قزان على ايدى الروس في القرن السادس عشر ، تلا احتلال خانية التتار السابقة حركة رسمية للتبشير بالمسيحية ، وبعد عدد من سكان الخانية الوثنيين ، ونشط رجال الشرطة ورجال السلطات المدنية في تأييد اعمال رجال الكنيسة . بيد انه لما لم يكن القسيسون الروسيون يفهمون لغة هؤلاء الذين حولهم الى الاسلام ، والذين لم يلبثوا ان اهلوا شأنهم ، لم يكن بصد من الاعتراف بأن هؤلاء الذين تحولوا حديثا ” يحتفظون في غير خجل اوحياء بكثير من العادات التتارية الموزولة ، ولم يكونوا يتمسكون بالعقيدة المسيحية او يعرفونها ” . ولما اخفقت العظات الروحية ، امرت الحكومة موظفيها بأن يلففوا من هذه الحالة ، ويحبسوا الناس ويكبلوهم بالحديد ، ويحولوا بذلك دون تعليم هؤلاء الذين لا يطيعون اوامر المطران برغم تعميدهم ، ويشيرون مخاوفهم من ناحية العقيدة التتارية .

وفي القرن الثامن عشر بذلت الحكومة الروسية جهودا جديدة لتنصير القبائل الوثنية ، والتتار الذين ارتدوا عن دينهم ، وبذلوا كثيرا من ضروب الاقناع والافراء لتعميدهم . ففي سنة ١٧٧٨ امرت الامبراطورة كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثي العهد بالمسيحية على اقرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية ، وتجنب كل اتصال بالكفار ، والتمسك بالدين المسيحي وعقائده والاثبات عليهما ” على الرغم من هذا كله ، لم يكن هؤلاء الذين اطلق عليهم ” التتار ” المعمدون الا مسيحيين اسما ، وسرعان ما اخذوا يحاولون

التخلص مما بذلت الكنيسة الارثوذكسية من الجهود التبشيرية ، وتركوا
المسيحية ، واعتنقوا الاسلام . ولم يكن هذا الدخول في المسيحية
الا خطوة تمهيدية لدخولهم في عقيدة النبي .
وفي الحق انه لا يبعد ان تكون اسماءهم قد دونت في السجلات
الرسمية باعتبارهم مسيحيين ، ولكنهم وقفوا في ثبات وقوة في وجه
اية محاولة بذلت لتنصيرهم . ويقول الكاتب في مقال شبه رسمي نشر في
سنة ١٨٧٢ : " انه لحقيقة تستحق الانتباه ان سلسلة طويلة من
الارتداد الواضح تتفق مع بداية الاجراءات التي اتخذت لتثبيت الداخلين
في العقيدة المسيحية . ولهذا يجب ان يكون هناك سبب معقول
لحالات الارتداد هذه ، في نفس الوقت الذي كان من المتوقع ان يحدث
خلاف ذلك " . ويظهر ان الحقيقة كانت تنطوي على ان هؤلاء التتار
لكونهم قد ظلوا دائما مسلمين بقلوبهم ، قاوموا التدابير الفعالة التي
اتخذت لتجعل اعتناقهم المسيحية الاسمي حقيقة واقعة بحال من
الاحوال . ولكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، بذلت
جهود لتنصير هذه القبائل الوثنية والاسلامية عن طريق انشاء
مدارس بينهم . وكانوا يوءلون من وراء ذلك ان يجذبوا اليهم شبيبة
ذلك الجيل ، ان ظهر لهم انهم اذا لم يفعلوا ذلك ، كان من
المحال ان يفوزوا بادخال المسيحية بين التتار . ذلك ان " استمالة
مواطني قزان — كما يقول استاذ روسي — امر صعب المنال ، ولكننا
نستجلب نفرا قليلا من سكان القرى الواقعة في السهل ، ونروضهم على
مخافة الله ، فاذا ما اصبحوا معنا فانهم لن يعرضوا عنا ابدا " .
ذلك ان القانون الجنائي الروسي كان يتضمن دائما عقوبات صارمة
لهؤلاء الذين حادوا عن الكنيسة الارثوذكسية ، ويعاقب كل شخص

تشبت عليه تهمة تحويل مسيحي الى الاسلام ، بتجريد ه من كافة الحقوق المدنية ، وبحبسه مع الاشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثماني سنين وعشر . وبرغم اوامر الحكومة نجحت الدعاية الاسلامية في جذب القرى بأسرها الى عقيدة الاسلام ولا سيما القبائل الروسية التي تقيم في الشمال الشرقي .

وتعد مدينة قزان المركز الرئيسي لنشاط هذه الدعوة ، وكان يطبع في كل سنة عدد كبير من المنشورات الاسلامية ، في ذلك المكان ، ويذهب الطلبة من الجامعة لتحويل الوثنيين في القرى واعادة التتار ، الذين كانوا قد ارتضوا التعميد ، الى الاسلام . وان ازدياد عدد التتار المسيحيين الذين اخذوا في زيادة صفوف الاسلام ، قد اثار الغزع في نفوس رجال الكنيسة الارثوذكسية . ولكن جهودهم قد اخفقت في وقت نجاح الطلبة في هذه السبيل . وقد دونت الاخبار كثيرا عن دخول الناس في هذا الدين افواجا ، ولا سيما على اثر صدور موسم حرية التدين في سنة ١٩٠٥ . مثال ذلك ما قيل من ان احدى وتسعين اسرة اعتنقت الاسلام في قرية اتومفا Atomva في سنة ١٩٠٩ . وان عددا بلغ من الكثرة حول ٥٣٠٠٠ نسمة اسلم بين سنتي ١٩٠٦ ، ١٩١٠ . وقد قيل ان اكبر الفضل في نجاح هذه الدعوة يرجع الى مستوى الحياة الاخلاقية في المجتمع الاسلامي ، الذي كان اكثر رقيا ، كما يرجع ايضا الى شعور التأخسي الذي كان يشيع في هذا المجتمع ، والذي كان اكثر تماسكا وقوة . اضا الى ذلك ان الاساليب التي لجأ اليها رجال الكنيسة الروسية وايدتها الحكومة ، لتجعل تلك الطبقة التي كان يطلق عليها التتار المسيحيون اكثر تماسكا بالدين ، قد جعلت العقيدة المسيحية امرا غير مألوف لديهم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى سارت الحركة الاسلامية

قدما في حماسة بالغة : " فقد كان كل مسلم ساذج ابي داعية الى
 كرينه ، وعجزت القبائل الفقيرة الجاهلة الامية من الوثنيين او اشبهاء
 الوثنيين عن ان تقاوم هؤلاء الدعاة . وفي كثير من القرى التي عمد
 اهلها ، انطلق الرجال في زمن الشتاء يحترفون الحياكة في القرى
 الاسلامية . وهناك يتحولون الى الاسلام ثم يعودون الى قراهم
 حمسا يجلبون معهم افكارا اسلامية يكون لها اثرها في بيوتهم " .
 ومن اهم القبائل التي تأثرت بحركة الدعوة الى الاسلام قبيلة
 الفوتياك Votiaks التي كان السواد الاعظم منها مسيحيين
 معمداء ، بيد ان كثيرا منهم اصبحوا مسلمين في القرن الثامن عشر ،
 وفي مستهل القرن التاسع عشر ، ولا يزال تأثير الاسلام اخذا في
 النمو ، بين هؤلاء الذين يدينون بالمسيحية وبين هذه البقية
 اليسيرة ، التي لا تزال على وثنياتها . وان قبيلة الشيريمس Chermis
 كالفوتياك ، قبيلة من الفن Finns ، لا يزال بعضها على الوثنية ،
 ولكن كثيرين منها كانوا قد اسلموا ، ولا يبعد ان يبادر معظمهم الى
 الدخول في هذا الدين . وقد تجلت حركة الشيريمس ازاء الاسلام
 في القرن التاسع عشر ، ومع ان كثيرين منهم كانوا مسيحيين اسما ، فان
 قراهم باسرها اسلمت برغم القوانين التي تحرم التحول الى اي دين
 من الاديان عدا مذهب الكنيسة الارثوذكسية . وقد اصبحوا مسلمين
 باتصالهم المباشر بالباشغرد والتتار الذين كانت تشبه اسرتهم
 وعاداتهم الاجتماعية اسرة هؤلاء وعاداتهم . وقد بدأت هذه
 الخطوات احيانا بالتصاهر الى المسلمين - مثال ذلك ان احدى
 اسرات الشيريمس في بعض القرى تصاهرت الى بعض الباشغرد واعتنقت
 ديانته . ولما كان هؤلاء الذين اسلموا يلقون في قراهم عنتا
 واضطهادا بتسميتهم "الكلاب المختونين" ، نراهم يهاجرون

ويؤسسون مستعمرة جديدة على بعد اميال ، كما نرى بعض ذوى اليسار من الباشفرد يعينونهم بالمال . ولكن لما كانوا يعددون وثنيين في السجلات الرسمية ، لم يستطيعوا ان يحصلوا على تصريح ببناء مسجد . لذلك انتقل بعض اسرات من الباشفرد التي كانت في الاماكن المجاورة لهم الى المستعمرة الحديثة ، حتى يجعلوا عدد الاهلين بحيث يسمح لهم بالحصول على التصريح الرسمي المطلوب . وطالما اتخذ مثل هذه الخطوة في القرى الاخرى التي جاء المسلمون لاستيطانها والتصاهر الى من فيها من الشيريمس . وكانت هنالك في احوال كثيرة حركة واضحة لنشر الدعوة ، مثال ذلك ان قرية قرقول كانت في مستهل القرن التاسع عشر اهلة بالشيريمس المسيحيين . على انه بعد منتصف هذا القرن بقليل ، تحول بعض الاسرات الى الاسلام على يد احد الشيريمس بعد ان دخل فسي جماعة المليات ، وخلفه في الدعوة بعد وفاته احد الباشفرد من اهالي قرية اخرى . وبعد ذلك انتقل الذين دخلوا في الاسلام الى قرى التتار والباشفرد ، بعد ان احتل التتار اماكنهم ، وبعد ان اصبحت القرية بأسرها تتارية في واقع الامر . واحتفظ قليل من شبيبة الجيل بشيء من لغة الشيريمس وتصاهروا مع التتار وحدهم .

وانا تركنا هذا النشاط في تعليم الناس مبادئ الدعوة جانباً ، وجدنا تأثير التتار في الكلام والعادات بين الشيريمس منتشراً انتشاراً ملحوظاً جداً . فقد انتشرت لغة التتار بينهم ، وجلبت معها افكار الاسلام الادبية والدينية . ويعد ادخال الزى التتارى علامة على تفوق الثقافة . وانا لم يرتد احد افراد الشيريمس الزى الذى يرتديه التتار ، تعرض لسخرية اول تتارى يلتقي به اول سخرية اخوانه من الشيريمس . وهذه الحركة الثقافية تجنح الى انتحال

ديانة التتار بصفة نهائية . وقد قيل ان الشيوعيين قد أصبحوا بعد اسلامهم على جانب عظيم من الحماسة لنشر دينهم الجديد ، كما تلقوا معونة التتار الموسريين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ينظر الروس الى الشيوعيين نظرة احتقار ، ويعدونهم جنسا منحطاً ، وينبزونهم بألقاب سائئة ، حتى هؤلاء الشيوعيين من المسيحيين الذين يقيمون بين اظهرهم . ولا يزال نحو ربع عدد الشيوعيين على الوثنية ، ولكن المؤثرات الاسلامية كانت من القوة بينهم بحيث لا يبعد ان يصبح السوان الاعظم منهم مسلمين على مر الايام ، اما الشوفاش Chuvash الذين يبلغ عددهم المليون ، فقد عمدوا بأسرهم تقريباً ، ولا يزال نحو عشرين الفا منهم على الوثنية ، ولكن الاسلام يضمهم الى صفوفه تدريجاً ، على حين أصبح بعض الشوفاش من المسيحيين مسلمين . وأصبحت البقية الباقية منهم واقعة تحت تأثير الاسلام . وقد نستدل على امتداد حماستهم نحو الذين دخلوا منهم في الاسلام من احدى قرى الشوفاش المسيحية التي يمكن ان نتخذها مثلاً في هذا الصدد ، فقد قضى قسيسها سنوات كثيرة في جمع ثلثمائة روبل Roubles كانت ضرورية لاصلاح الكنيسة . وتحولت ثمانى اسرات شوفاشية الى الاسلام ، فجمع المسلمون الغني روبل فسيفي خلال بضعة اشهر لبناء مسجد . وان مثل هذا النشاط الحي ليعود صفة تتميز بها الدعوة الاسلامية التي كانت منبثة بين القبائل الوطنية في ذلك الحين . وكانت كل اسرة تقبل الاسلام تتلقى المعونة عيناً او نوعاً : فالبيت يبنى للفرد ، ويباع الحقل والماشية وغيرها لآخر ، فاذا اسلمت اسرات كثيرة في قرية من القرى ، بني لهم مسجد ، واسست مدرسة لاطفالهم .

الاسلام بين تاتار سييريا

وليس لدينا الا تفصيلات يسيرة عن انتشار الاسلام بين التتار في سييريا . ولم ترسخ قدم الاسلام في هذه البلاد الا بعد النصف الاخير من القرن السادس عشر ، ولكن دعاة المسلمين كانوا يشقون طريقهم من حين لاخر الى سييريا ، حتى قبل هذه الفترة ، املا في اجتذاب الاهالي الوثنيين لقبول عقيدتهم ، ولكن السواد الاعظم من هؤلاء الدعاة قد ماتوا موت الشهداء . وعندما انضوت سييريا تحت لواء الحكم الاسلامي ، في عهد كوتشم خان ، كشف احد الشيوخ المسنين مقابر سبعة من هؤلاء الدعاة ، وكان هذا الشيخ قد قدم من بخارى للبحث عنهم اذ كان يتطلع الى معرفة شيء عن خشوع هؤلاء الشهداء واخلاصهم في دينهم ، واستطاع ان يذلي بأسماء هذا الفريق من الشهداء ، وكانت ذكراهم لاتزال حتى القرن الاخير موضع تجلة واحترام لدى التتار في سييريا . ولما اصبح كوتشم خان (الذي كان من سلالة جوجي خان ، اكبر ابناء جنكيز خان) خانا على سييريا (حول سنة ١٥٧٠) — وكان قد اكتسب حق توليته العرش ، اما عن طريق قيامه بغزو البلاد ، او (على رواية اخرى) عن طريق دعوة الاهالي اياه لتولي العرش على اثر وفاة الخان السابق دون ان يعقب ذرية ، — بذل قصارا في تحويل رعاياه الى الاسلام ، وارسل الى بخارى في طلب دعاة لمساعدته في هذه المهمة التي تنطوى على التدين والتقوى . وقد خلف لنا احد الدعاة الذين قدموا من بخارى اخبارا ، وصف فيها خروجه مع احد رفاقه الى حاضرة كوتشم خان ، على الضفة نهر ارتس Irtysh . وهناك مات رفيقه بعد سنتين ، وقفل هو راجعا الى وطنه لاسباب لم يتعرض هذا الكاتب لذكرها . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد الى بلاد كوتشم خان ثانية لاستئناف عمله ، وبصحبه رفيق آخر ، وذلك حين عاود

كوتشم خان بخارى بطلبه مددا من الدعاة . كذلك قدم دعاة من قزان الى سيبيريا ، ولكن تقدم تيار الغزو الروسي وقف جهود كوتشم خان التبشيرية ، قبل ان ينجز منها شيئا كثيرا ، وخاصة عندما وقف كثير من القبائل التي تنضوى تحت حكمه ، يعارضون معارضة قوية كـل المحاولات التي بذلها هذا الخان لتحويلهم الى الاسلام .

بيد انه على الرغم من ان الغزو الروسي وقف هذه الجهود ، لم يتوقف تقدم الاسلام في هذه البلاد بحال من الاحوال ، فقد رأب — المليات الآتون من بخارى وفيها من مدن آسيا الوسطى ، والتجار القادمون من قزان ، على موالاة الدعوة الى الاسلام في سيبيريا . وفي سنة ١٧٤٥ تسرب الاسلام لأول مرة الى قبائل التتار التي يطلق عليها Baraba Tatars (وكانت مساكنهم بين نهري ارتس Irtish وأوب Ob) ، ومع ان كثيرا منهم كانوا حتى مستهل القرن التاسع عشر لا يزالون على الوثنية ، اصبحوا الآن مسلمين بأسرهم . وقد سبق الكلام على اسلام القرغيز : وتاريخ معظم القبائل الاسلامية الاخرى في سيبيريا على جانب كبير من الغموض ، وان كان من المحتمل ان يكونوا قد اسلموا في عصر حديث . وما هو جدير بالذكر تلك الاغصاني الشعبية ، التي يتغناها القرغيز ، والتي تحتل مكانة كبيرة بين وسائل الدعاية الاسلامية في الوقت الحاضر . وقد تضمنت هذه الاغاني حقائق الاسلام الاساسية ، مصوغة في اسلوب قصصي اسطوري ، مما جعل هذه الحقائق تصل الى قلوب عامة الشعب في سهولة ويسر .



الاسلام في الاتحاد السوفييتي الآن =====

يقف الاسلام في الاتحاد السوفييتي بين تيارين متضادين من المؤرخين : تيار يتأثر بالمذهب الشيوعي ، فيشيد بحرية المسلمين في الاتحاد السوفييتي ، وتيار يهاجم سيادة الاتحاد السوفييتي ازاء المسلمين . والذي لا شك فيه ان الدين الاسلامي لاقى كثيرا من المحن في عهود مختلفة من جانب السوفيت ، ولعل الاتحاد السوفييتي غير سياسته تجاه الدين الاسلامي في هذه الاونة لكسب الشعوب الشرقية في مضمار السياسة الدولية .

ويظهر ان الاتحاد السوفييتي غير اتجاهه ازاء الاسلام والمسلمين منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، ان ساهم فيها عدد كبير من المسلمين الروس من شتى المقاطعات الاسلامية والاوروبية ، فترات الحكومة الشيوعية ان تترك لهم امور العبادات ، واداء فرائضهم الدينية ، فسمح لهم بمزاولة بعض نشاطهم القديم ، وترخصوا في اقامة الاجتماعات الدينية ما لم تكن متعارضة مع النظام الشيوعي . وتدار الجمعيات الدينية الاسلامية بوساطة اربعة مراكز دينية هي :

١- المجلس الديني الاسلامي للقسم الاوربي من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ولسبيريا ، وهو يدير الشؤون الدينية للمسلمين الذين يعيشون في القسم الاوربي من الاتحاد السوفييتي - باستثناء القوقاز الشمالي وداغستان - وفي سيبيريا . ومقر المجلس الديني مدينة (اوقا) ، ورئيسه المفتي شاكر خيال الدينوف .

٢- المجلس الديني الاسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان . وهو
يدبر الشؤون الدينية للمسلمين الذين يعيشون في اوزبكستان،
وقرغيزيا ، وتاجيكستان ، وتركمانستان وكازاخستان ، ومقره
مدينة " طشقند " .

٣- المجلس الديني الاسلامي لما وراء القوقاز ، ومقره مدينة
" باكو " ، ويدبر الشؤون الدينية للمسلمين من الشيعة والسنيين
الذين يعيشون في اذربيجان وجورجيا وارمينيا .
وقد استطاع مسلمو (ما وراء القوقاز) السوفيتية ان ينظموا
مجلسا دينيا واحدا للشيعة والسنيين معا .

وتسوى المجالس الدينية المسائل الدينية البحتة المتعلقة
بالعقيدة والعبادة ، والتي تظهر في تفسيرها صعوبات او خلافات
في الرأي . وقرارات المجالس الدينية في مسائل الشريعة يطلع
عليها المسلمون حاملة توقيع المفتي او توقيع شيخ الاسلام . وللمفتي
او شيخ الاسلام ان يصدر الفتاوى في هذه المسألة او تلك من مسائل
الشريعة .

وهناك مسائل اخرى تعالجها المجالس الدينية : كتميين
الخطباء والائمة لطوائف المسلمين ، والتصديق على انتخاب الائمة
بوساطة المسلمين ، وتعيينهم بعد ان تمتحن معارفهم امتحانا وافيا
والوسائل المتعلقة بتعيين او فصل او نقل القائمين بخدمات العبادة
الدينية ، وتوزيع الوثائق اللازمة عليهم ، وكذلك الرقابة العامة على
نشاط الطوائف الاسلامية في الجمهوريات والاقاليم والمناطق ،
واختيار مناهج التعليم للمدارس الدينية (سمحت لها الحكومة
السوفيتية اخيرا بمزاولة نشاطها) ، ودراسات لتدريب القائمين

بخدمات العبادة الدينية ، والرقابة على تدريبهم في هذه المدارس ، ونشر المؤلفات الدينية ، والتصرف في مسائل انشاء مساجد جديدة ، وادارة المسائل المالية والادارية الخاصة بالمجالس الدينية والرقابة عليها محليا ، وتنظيم بعثات الحج الى مكة ، والاتصال بالهيئات الدينية الاجنبية للمسلمين ، ومسائل اخرى تتعلق بالعقيدة والادارة التنظيمية .

والمألوف فيما يختص بالدراسة الدينية ان يلحق رب العائلة ابناؤه مبادئ الدين الرئيسية وفروعه ، وفقا لمقدرته واطلاعه . وبعد هذا الاعداد الاول ياتي الاءاء - اذا ارادوا - بمدرس خصوصي ليتابع تعليم الابناء الدين .

ولبعض العلماء في آسيا الوسطى وداغستان مثلا عدد من التلاميذ الخصوصيين . وكثيرا ما يكتشفون الطلبة القادرين ، ويوصون المجالس الدينية بالحاقهم بمدارس الدين . ومثال ذلك مدرسة " مسير عرب " في بخارى التي تعمل تحت اشراف المجلس الديني الاسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان . ومدة الدراسة في ههذ- المدرسة تسع سنوات ، يتلقى الطالب في السنوات الخمس الاولى تعليما متوسطا ، وفي السنوات الاربع الاخيرة يتلقى تعليما عاليا .

والمدرسة داخلية ، ويعيش فيها الطلاب على نفقة المجلس الديني الذي ارسلهم اليها ، ويوزرون منازلهم عادة خلال العطلة الصيفية . وعند تخرجهم في المدرسة يعينهم المجلس الديني ائمة وخطباء لطوائف المسلمين ، وشيوخا للمزارات بحسب اعمارهم ومواهبهم وقد يعين بعضهم مدرسا في المدرسة نفسها .

وتعمل مدرسة " بركة خان " في طشقند بالطريقة ذاتها ،

وهي أيضا من ابرز مدارس الاسلام في آسيا الوسطى .
وتصدر المجالس الدينية بانتظام النتائج المهرجية وطبعات
جديدة من القرآن الكريم ، وكتب الفقهاء ، كما تصدر الفتاوى
الشرعية ، ومختلف المبادئ والتفسيرات ، متناولة مختلف المسائل
الدينية لخدمة الدين . وفي عام ١٩٤٥ صدر كتاب " الاسلام
ديني " باللغة التتارية ، بقلم المفتي السابق عبد الرحمن رسوليف ،
رئيس المجلس الديني الاسلامي للقسم الاوربي من الاتحاد السوفيتي ،
ولسيبيريا ، ويشرح الكتاب بالتفصيل جميع الواجبات المتعلقة
بالصلاة شرحا وافيا .

وفي اوائل عام ١٩٥٦ اصدر المجلس الديني الاسلامي لآسيا
الوسطى وكازاخستان في طشقند طبعة جديدة من القرآن الكريم
باللغة العربية . وفي خريف عام ١٩٥٦ اصدر المجلس الديني
الاسلامي للقسم الاوربي من الاتحاد السوفيتي ولسيبيريا طبعة جديدة
من القرآن الكريم . كما ألف المفتي شاكرو خيال الدينوف ، رئيس هذا
المجلس ، كتابا جديدا صدر حديثا بعنوان " الاسلام والعبادات " .
وفي روسيا كثير من الآثار الاسلامية ، وعدد غفير من المساجد
في روسيا الاوربية ، ومن اشهر هذه المساجد مسجد " ليننجراد " الذي
يؤمه المسلمون هناك لاداء فريضة الصلاة كل يوم ، ويجتمعون فيه ايام
الجمع والاعياد الرسمية . ويشرف عليه المجلس الديني الاسلامي للقسم
الاوربي من الاتحاد السوفيتي ولسيبيريا وتجمع صلوات عيد الفطر
او عيد الاضحى في جامع " موسكو " عادة ٨٠٠٠ مسلم ، اما جامع
تل الشيخ - وهو احد مساجد طشقند الستة عشر الكبيرة - فيتراوح
عدد المصلين فيه بين ١٠.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ مسلم ومسلمة ،

ان يسمح للسيدات بحضور الصلاة على ان يكن بمعزل عن الرجال
وفي طشقند وحدها ١٦ جامعا كبيرا ، وانا اضيف اليها
الخلوات والمصليات اربت على المائة ، منها مساجد قديمة ، كمساجد
تل الشيخ ، ومساجد حديثة نسبيا ، كمساجد الرقيات ومرا يوسف
وكريل تاوش واركان كوتشا وغيرها .

وبالقرب من مدينة " مرفا " القديمة (ماري الآن) ففي
تركمانستان لا يزال المسجد الذي بني عام ٨٦٩ قائما حتى الآن .
ويدعوه الناس بالجامع الحمداني ، نسبة الى الزعيم المسلم الكبير
الحاج يوسف الحمداني ، ويؤمه في الاعياد آلاف من المسلمين في
جميع انحاء تركمانستان . وبالقرب من مدينة ماري يقوم صرح من اقدم
الصروح المعمارية في آسيا الوسطى ، وهو ضريح السلطان " سنجق "
الذي كان من اتباع الحاج الحمداني . وقد بني الضريح في القرن
الثاني عشر ، وما زال محتفظا بروعته حتى الآن .

وفي اوزبكستان مسجد " بيبي هانم " زوجة تيمورلنك الاولى ،
وقد ظل محتفظا بروعته طيلة خمسة قرون كاملة . وفي نهاية القرن
الماضي عانى كثيرا بسبب الزلازل وقد تم بناء المسجد عام ١٤٠٤ بعد
خمس اعوام من البدء في بنائه . ويقول مؤرخ " تيمورلنك " علي يزدي ،
الشهير بشرف الدين ، في كتابه " ظفر نامه " ، اي كتاب
" الانتصارات " : " ان قبته فريدة في نوعها ، وقوسه نسيج وحده ،
ومنارته ترتفع في السماء كي تقول : هذه اعمالنا تشير اليها ، فيصل
قولها اركان العالم الاربعة " .

ومن مباني سمقند التاريخية ضريح " جور " امير مكانة كبرى .
وقد شيد بأمر تيمورلنك بين عامي ١٤٠٤ - ١٤٠٥ م فوق قبر اجداد

ابنائه وولي عهده السلطان محمد ، المتوفي عام ١٤٠٣ م . وفي داخل الضريح مجموعة من الخطوط الرائعة على القبور واصبح ضريح تيمورلنك ضريحا لاسرته بعد وفاته ، ودفن فيه اثنان من ابنائه ايضا ، هما شاروخ وميران شاه . كما دفن فيه احد ملوك اسرة تيمورلنك " اولغ بك جراجاني " .

وفي مدينة " بخارى " جامع " كليان الكبير " . ويرجع تاريخ بنائه الى عام ١٥٤١ م ، ويقع بجوار مدرسة " مسير عرب " التي يرجع تاريخ انشائها الى عام ١٥٣٦ ، ويجاور الجامع والمدرسة مقننة طويلة اقيمت نحو عام ١١٢٧ م ، اى قبل انشاء الجامع والمدرسة . وتؤلف هذه المباني الثلاثة البارة — وهي المدرسة والمقننة والجامع — مجموعة معمارية رائعة في قلب بخارى القديمة .

ومن اشهر الاضرحة التي يوءمها مسلمو آسيا الوسطى ضريح الامام " ابو بكر كفال شاشي " ، ويدعونه بالامام لشهرته في آسيا الوسطى كلها ، وضريح مولانا عطا في خيوة ، وقبر سلطان بابا في كاراكالباكيا ، وجامع تازة بئر الكبير في باكو .

وتنتمي الاغلبية الساحقة من المسلمين في الاتحاد السوفيتي للطائفة السنية . اما الشيعة فهم قليلون نسبيا ، ومنهم المسلمون في ازربيجان ، وعدد ضئيل منهم يعيش في داغستان وتركمانستان — واوزبكستان وفي تاجيكستان يوجد اسماعيليون كما يوجد سنيون . ويبلغ عدد المسلمين جميعا في الاتحاد السوفيتي نحو ٢٦ مليون مسلم .

ويقول " فنسنت مونتييل " : " ان عدد المسلمين يبلغ نحو ٢١ مليونا : منهم ١١ مليونا في آسيا الوسطى ، ٥٤ ملايين في

القوقاز ، سرع في الغولجا ، وما تبقى موزعون في انحاء البلاد المختلفة " .

ويبلغ عدد المسلمين في منغوليا نحو ٢.٠.٠.٠ . وقد دخل الاسلام اليها منذ العصور الوسطى من طريق القوافل التجارية التي تنتقل بين الصين ومنغوليا .
اما مسلمو القرم فمن اصل تتري مغولي ، وهم رعاة رحل ، ويتمعون في الغالب المذهب الحنفي . وفي ليتوانيا ما يقرب من ألفي مسلم .

والجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ، هي :
تازاكستان ، وازبكستان ، واذربيجان ، والقرغيز ، وكازاخستان ، وتركمانيستان . ويوجد نغرضليل من المسلمين في الجمهوريات فير الاسلامية ، وهي : روسيا ، واكرانيا ، وبيلوروسيا (روسيا البيضاء) وجورجيا ، وارمينيا ، ولتوانيا ، ولتونيا ، وكاريا ، ومولدافيا .

ويبلغ عدد المسلمين في تازاكستان نحو مليون وخمسة الف مسلم وسلمة ، وهم ينتمون الى اصل ايراني ، وزعيمهم الروحي هو القاضي عبد الرشيد موزابكوف .

اما ازبكستان فتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٣٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٦٢٨٢٤٤٦ نسمة . ونسبتهم في " اذربيجان " ٨٠٪ من مجموع عدد السكان البالغ ٣.٠٩٧٣.٣ نسمة . وفي تركستان ٨٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ١.٢٣٥.٩٨٥ ، وهم سنيون احناف ، وزعيمهم الروحي هو الامام الخطيب عبد الرحمن شارينوف .

وفي " القرغيز " تبلغ نسبة المسلمين ٧٨٪ من مجموع السكان

وهم على مذهب اهل السنة . ونسبتهم في تازاكستان ٥٠ ٪ من
مجموع السكان البالغ عددهم ٦١٤٥٣٧٩ .
ويحرم كثيرون من المسلمين على أداء فريضة الحج ، وزيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، والاماكن المقدسة .
وفي مكة يلتقون بالمسلمين من جميع انحاء العالم في جوتسوده المحبة
وتزفرف عليه ألوية السلام .

الاسلام في اوربـا

دخل العرب اوربا عن طريقين : الطريق الاول طريق الاندلس وقد وصلوا منه الى جنوب فرنسا . والطريق الثاني طريق صقلية ومدن ايطاليا ، وقد استطاعوا ان يتوغلوا في ايطاليا ، وان يحاصروا روما مقر الحبر الاعظم . حتى ان البابا يوحنا الثامن (٨٧٣-٨٨٢ م) ظل يوءى لهم الجزية مدة سنتين . ثم دخل الاتراك اوربا من الشرق في القرن الخامس عشر . وكان العرب والاتراك يحملون في هذه الفتوح الدين الاسلامي ، والثقافة الاسلامية اللذين كان لهما اثر كبير في نفوس الاوربيين ، فاعتنق بعضهم الاسلام ، واحب بعضهم الثقافة العربية حبا جما ، وعكف على دراستها والتزود منها ، وانشئت معاهد تهتم بالثقافة الاسلامية والحضارة العربية ، ونقل بعض آثار العرب الى اللغات الاجنبية . وكان تأثير الفلاسفة العرب والعلماء العرب في الحضارة الاوربية قويا ملحوظا .

الاسلام في جزر البحر الابيض

وقد فتح المسلمون جزيرة صقلية ، وظلت في حوزتهم مائة وتسعة وثمانين عاما ، وعمرؤا مدينة " بالرمو " ، وانشأوا فيها المساجد ، حتى ان الرحالة الجغرافي " ابن حوقل " ذكر في وصفها انه وجد فيها اكثر من مائة وخمسين حانوتا للقضاة لبيع اللحوم ، وانها تضم اكثر من ثلاثمائة مسجد ، وان مسجدهم الجامع قام فيه اكثر من ستة وثلاثين صفا للصلاة ، كل صف يحتوي على ما يقارب مائتي رجل مما جعل عدد المصلين يبلغ سبعة آلاف .

وقد قامت صقلية بدور كبير في نشر الثقافة العربية والدينية الاسلامي في اوربا . ولم تكن جزيرة صقلية الجزيرة الوحيدة التي احتلها العرب في حوض البحر الابيض المتوسط ، انما استولوا على بعض الجزر الاخرى ، ومنها جزيرة اقريطش " كريت " التي افتتحتها عام ٢١٢هـ (٨٢٧ م) بحار عربي باسل هو ابو عمر حفص بن عيسى الاندلسي . وفتح المسلمون جزيرة كورسيكا ، موطن نابليسون بونايرت ومسقط رأسه ، على يد موسى بن نصير فاتح الاندلس عسام ٧١٣ م ، ثم فتحوها بعد ذلك اكثر من مرة ، واستطاعوا البقاء فيها اكثر من قرن ، كما فتحوا جزيرة " سرديانيا " منذ فاتحة القرن الثامن للميلاد .

وفتح العرب جزيرة مالطة عام ٢٥٥ م واستولوا على جزيرة قبرص ، وكانت بينها وبين المسلمين علاقات طيبة ، كما كانت تنقسم الى قسمين : قسم للمسلمين ، وقسم للنصارى ، وكان للمسلمين بها امير وحاكم . ويقول ابن حوقل ان جزيرتي قبرص واقريطش " كريت " كانتا جزيرتين كثيرتي الخير والمير والتجارة .

وفي روم الآن مئات من المسلمين ، ورئيسهم الشيخ سليمان قاشلي اوغلو ، وهو مفتي روم ، وعالم كبير ، والمسلمون اليونانيون حاربوا في عام ١٩٤٠ ضد ايطاليا واستشهد منهم مئات الشباب ، وفتحوا نصف البانيا .

الاسلام في اليونان

ويبلغ عدد المسلمين في اليونان حوالي مائة الف مسلم ، واكثرهم فلاحون يسكنون في مقاطعة ترافيا الغربية ، وعاصمتهم " كوموتيني " وحكومة اليونان تسمح بنشر الدعوة الاسلامية ، وتشجع .

الحركات الثقافية ، وتبني على حسابها المدارس الاسلامية . وفي
العام الماضي نشرت ترجمة يونانية للقرآن الكريم .

والمسلمون في اليونان يبنون المساجد ، وتشجعهم الحكومة
على ذلك ، وتمدهم بالمعونة والاموال . ولكن معظم حفظ
القرآن في اليونان يرتلونه دون ان يدركوا معناه ومعناه ، وبعضهم
يظن ان الاسلام في المسجد وفي الاسم ، وفي دفتر تقييد المواليد
واجراء عملية الختان ونحو ذلك . ولذلك كان لابد من ارسال البعث
الدينية الى البلقان لتعليم المسلمين هناك تعاليم الاسلام الصحيحة ،
وليُفقهوهم في الدين .

وقد ساعدت القوافل التجارية على نشر الاسلام في اوربا ، الى
جانب هذه الفتوحات الكبيرة التي اقدم عليها العرب : لا رغبة في
سفك الدماء ، انما من اجل تأمين جانبهم ، وصيانة دولتهم ، وعسلا
على نشر العقيدة الاسلامية ، والمجاهدة في سبيل الله ، ولذلك
نشأت واحات اسلامية في اوربا بجهود افراد من السياح والتجار
المسلمين والوعاظ والزهاد .

وقد عرف المسلمون الشعوب السلافية ، وكانوا يسمونهم باسم
الصقالبة منذ عهد بعيد . وقد اعتنق كثيرون منهم الاسلام ، ولا سيما
بعد ان استولى العرب على الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي
اي مقاطعة المسيا في يوغوسلافيا الحالية . وقد كان بعض هؤلاء
للصقالبة يفتدون الى البلاد العربية منذ العصور الاسلامية الاولى
للتزود بالثقافة العربية والتعرف الى الدين الاسلامي .

يقول ياقوت الحموي في كتابه " معجم البلدان " في تفسيره
باشقارد : " وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشقارديّة ،

شعر الشعور والوجوه جدا ، يتفقهون على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ، فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال : اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة امة من الافرنج يقال لهم " الهنكر " . ونحن مسلمون ، ولساننا لسان الافرنج ، وزينا زيهم ، ونخدم معهم في الجندية ، فسألته عن سبب اسلامهم ، مع كونهم في وسط بلاد الكفر ، فقال : سمعت جماعة من اسلافنا يتحدثون انه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلخار وسكنوا بيننا ، وتلطفوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال ، وارشدونا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعا ، وشرح الله صدورنا للايمان . ونحن نقدم الى هذه البلاد وننتفده ، فاذا رجعنا الى بلادنا اكرمنا اهلها وولونا امور دينهم . فسألته : لم تحلقون لحاكم كما يفعل الفرنج ؟ فقال : يحلقها منا المتجددون ، ويلبسون لبسة السلاح مثل الافرنج ، اما غيرهم فلا فقلت : فكم مسافة ما بيننا وبين بلادكم ؟ فقال : من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصف ، ومن القسطنطينية الى بلادنا نحو ذلك "

وهكذا انتشر الاسلام في اوروبا الجنوبية الشرقية . غير ان بعض الملوك ظلوا يحاربون الاسلام مثل الملك كارل الاول روبرت (١٣١٠ - ١٣٤٢ م) الذي اصدر قانونا يمنع فيه الصيام او تناول الطعام على غير الطريقة المسيحية ، ويعاقب من يمتنع عن اكل لحم الخنزير ، او يتوضأ قبل الصلاة . وأغرى من يبلغ عن احد من المسلمين بتطليكه جزاء من اموال المسلم . واذا قام احد بزيارة مسلم ، او دعا مسلما الى ضيافته ، فعلى كليهما ان يأكلا لحم الخنزير . وهكذا اضطهد

المسلمون في هنغاريا ، ولكن المسلمين لم يلبثوا ان تحرروا من هذا النير بموت هذا الملك ، وظلوا بين مد وجزر سنوات طويلة حتى العصر الحديث .

الاسلام في يوغوسلافيا

اما في يوغوسلافيا فالمسلمون كثيرون منذ العصور الاولى ، ولا سيما بين قبائل البنجاك والبشناق . وقد وصف احد الرحالة حالـة المسلمين في " البوسنة " فقال : " انه لعجيب حقا ان يتغلب الاسلام في هذه البلاد الآوربية على التقاليد القومية اليوغوسلافية ، حتى لينظر اليها المسلمون الآن كأنها عادات اجنبية عنهم . ولعل هذا هو ما يميزهم عن بقية مسلمي العالم . فهم في قلب اوربا اشد تمسكا بالتقاليد والعادات الاسلامية من اخوانهم في الشرق . وقد اتيح لي ان ازور بعض بيوتهم الجبلية ، وشاهدت اساليبهم في المعيشة ، وشعرت كأنني في بيوت العرب المتقدمين " .

وقد دخل اهل البوسنة في دين الله افواجا بعد فتحها عام ١٤٦٣ م ، واسلموا طواعية ومن الادلة الساطعة على عدم اكراه اهالي البوسنة على اعتناق الاسلام ما ورد في الوثيقة الموجودة في دوجس — احدى البيع الارثوذكسية في هرسك — والمؤرخة عام ١٥٠٥ ، وجاء فيها ان كثيرا من الناس اعتنقوا الدين الاسلامي بدون اى اكراه . وظل الاسلام يعيش بين عدد كبير من مسلمي اوربا الجنوبية الشرقية فترة طويلة .

وفي يوغوسلافيا اليوم جالية اسلامية كبيرة العدد تتمتع بحريتها الدينية الكاملة ، ويكفلها لها الدستور . وينظم المسلمون شئونهم الدينية لانفسهم . ويقوم على المسائل الدينية مجلس الاوقاف الاعلى ،

ومقره مدينة سيرا جيفو ، وينتخب ثلث اعضاءه على الاقل من رجال الدين وفي يوغوسلافيا عدد كبير من المساجد ، علاوة على مئات من المكاتب الاسلامية ، ومدرسة ثانوية دينية في " سيرا جيفو " التي تعد عاصمة الاسلام هناك .

والمسلمين في يوغوسلافيا دورهم في الحياة العامة : فمنهم الوزير في الوزارة الاتحادية مثل عثمان كريجو فتش ، وحسن بيركتش رئيس لجنة التجارة الخارجية ، ويعادل منصبه منصب وزير التجارة في الدول الاخرى . وحتى المرأة المسلمة خرجت الى الحياة العامة ، وتولت منصب القضاء ، ونابت عن الناس في البرلمان ويوجد مجلس للعلماء يتألف من اربعة اعضاء في سيرا جيفو (سراي بوسنة) . وتوجد المشيخة الاسلامية في بلغراد العاصمة ، وعلى رأسها شيخ الاسلام الذي يسمى رئيس العلماء ، ويعين بالانتخاب بوساطة لجنة مكونة من اعضاء مجلس العلماء واهل الفتوى ومدير مدرسة القضاء الشرعي ومندوبي لجنة الاوقاف بمجلس النواب .

والمسلمين في مجلس النواب ثلاثون نائبا منتخبا . ومن بينهم اعضاء مجلس العلماء ومحكمة التمييز . وهم يبحثون في هيئة خاصة مصالح المسلمين ، وخصوصا ميزانية الاوقاف والمعارف ومجالس المديرات . ولكل مديرية بها خمسة آلاف من المسلمين فأكثر محكمة شرعية ، وقاض شرعي للفصل في شئون الطلاق والزواج والميراث والاوقاف الى غير ذلك ، كما توجد محكمة عليا تسمى محكمة التمييز في سراي بوسنة .

وفي سراي بوسنة ايضا مدرسة للقضاء الشرعي ، ومدرسة للعلوم الشرعية ، ومدرسة للمعلمات والمعلمين يستطيع طلبتها اتمام

دراساتهم العالية فيما بعد في جامعات اسلامية او اوروبية .وقد
لاختصاص المدارس .

الاسلام في البانيا

اما البانيا فقد انتشر فيها الاسلام على يد الاتراك . ولما
فتح الاتراك البلقان قاومهم الالبانيون اشد المقاومة بقيادة جورج
كستريوت بن حنا كستريوت . ولكن جورج لم يلبث ان اعتنق الاسلام
وظل في خدمة الجيش العثماني ، وصار من قواده وسمي اسكندر بك .
ويقدر سكان البانيا بنحو مليونين : نصفهم من المسلمين ،
والنصف الثاني من الارثوذكس والكاثوليك . ويتعلم المسلمون في بعض
مدارسهم القرآن الكريم . ومن اشهر المعاهد الدينية الاسلامية
في البانيا : مدرسة تيرانا الدينية . وكلمة مدرسة باللغة الالبانية
هي نفسها باللغة العربية . ويتخرج من مدرسة تيرانا الطلبة مفتعين
واثمة ومؤننين ووعاظا ومدرسين للديانة .

الاسلام في المانيا

اما المانيا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو تسعة آلاف مسلم :
منهم ثلاثة آلاف من الالمان ، والباقيون من العرب والهند والباكستان
وسائر الدول الاسلامية . والحرية الدينية مكفولة بالمانيا . وهناك
جمعيات اسلامية في بعض المدن ، وجمعية الاخوة الاسلامية التي
يرأسها السيد احمد هارون .

وفي " فرانكفورت " جمعية المسلمين ، ورئيسها شاب الماني
اعتنق الدين الاسلامي ، ويدعى محمد امين . وفي مدينة " هامبورج "
جمعية اتحاد المسلمين . وامام برلين يدعى محمد امان ، وهو عالم

كبير ألف عدة كتب ، منها كتب مصورة للصلاة باللغة الالمانية حتى يقرب
فرائض الدين الاسلامي للمسلمين الالمان ، وينوب عن الامام محمد امان
السيد محمد احمد ، ويقوم بجهود تبشيرية واسعة .
والمسلمون في المانيا على اتصال دائم بمسلمي سويسرا والنمسا
وهولندا وفنلندة والسويد ، ويؤدي المسلمون الالمان صلاتهم باللغة
العربية . وهناك ترجمة رصينة للقرآن الكريم بهذه اللغة .

الاسلام في فرنسا

اما فرنسا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو مائتي ألف ، منهم
عشرون الفا بباريس وضواحيها ، واكثرهم من شمال افريقيا من طبقة
العمال في الصناعة والتجارة .

وفي مرسيليا تكية تديرها سيدة يمنية كريمة ترحب بالضيوف
واللاجئين الشرقيين . وفي باريس مسجد كبير افتتح في ١٥ يوليو
سنة ١٩٢٦ ، وبه قاعة للمحاضرات . وقد بنى المسجد على الطراز
الاسلامي المغربي ، وفرش بأفنى البسط والسجاجيد ، وتدلّت من
سقفه مجموعة فخمة من الثريات . وفي بعض ساحاته احواض رائعة
مليئة بالزهور تتوسطها نافورات المياه .

الاسلام في انجلترا

اما انجلترا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو ثلاثين الفا . ويرجع
تاريخ الاسلام فيها الى عام ١٨٨٠ م حين اعتنق الاسلام الدكتور
استانلي اوف آلدرلي ، احد اشراف الانجليز وسفير انجلترا في تركيا
وقد سمى نفسه عبد الرحمن . وفي عام ١٨٦٦ م اعتنق الاسلام
المستر كويليام احد اعيان ليفربول ، وسمى نفسه عبد الله ، وكان بليفا

قوى الحجة . وقد اثار اسلامه السلطان عبد الحميد ، فاستدعاه الى تركيا ومنحه لقب بك ، وعينه شيخا للاسلام في بريطانيا ، فعاد الشيخ عبد الله كويليام الى مدينة ليفربول ، وحول جزءا من داره الى مسجد ، واصبحت داره ملتقى لمحبي الثقافة الاسلامية . وقد اصدر جريدتين اسلاميتين ، واخذ ينشر فيهما آراءه ، فكان لهما اثر كبير في نشر الاسلام في شمال انجلترا .

وظهرت في انجلترا عام ١٨٨٦ م جمعية اسلامية استمرت سبعة عشر عاما . وقد حضر من الهند الى انجلترا شوارى فاتح محمد سيال وخوجه كمال الدين ، وشرعا يدعوان للاسلام حتى اسلم على يديهما اللورد هيدلي . وتأسست في انجلترا جمعيات اسلامية منها الجمعية الغربية الاسلامية ، وتهدف الى حماية حقوق العمال المسلمين من العرب والهند والملايو والصومال ، واكثرهم يشتغل في الموانئ الانجليزية ، وايواء الغرباء المعوزين من المسلمين ، وانشاء المدارس والمساجد لتعليم ابناء المسلمين . كما تألفت في نهاية الربع الاول من القرن العشرين جمعية لا يواء المسلمين الغرباء في انجلترا ، وتولى ادارتها بعض محبي الثقافة الاسلامية من الانجليز وبعض الهنود والعرب من المسلمين .

ويوجد في مانشستر مركز للثقافة الاسلامية لا قامه الشعافر الدينية وقد منح الامام حق عقد الزواج . وفي هذا المركز قاعة لا قامه الصلوات ، وقاعة للمحاضرات ، وقاعة للاجتماعات والحفلات . والطابق العلويان مخصصان لا قامه الطلبة المسلمين المتزوجين .

ويبلغ عدد المسلمين في مانشستر وضواحيها اكثر من ثلاثمائة مسلم ، وتلقى في المركز محاضرات اسبوعية لتعليم الدين الاسلامي

الحنيف . ويجتمع المسلمون مرة في الاسبوع ايضا للبحث في القضايا الخاصة بالمركز وبأحوالهم عامة في جامعة مانشستر . وفي الكلية الصناعية الكبيرة التابعة لها عدد لا يستهان به من الطلبة العرب والمسلمين يتلقون فيها الدراسات العالية .

اما في مدينة كارديف فتوجد جالية عربية من ابناء اليمن وعدن وبقية الامارات الاخرى ، ويبلغ عددها نحو ١٥٠٠ شخص . وهناك ايضا نحو ٦٠٠ عربي من الصومال لهم جمعية اسمها جمعية شباب الصومال . ويملك العرب المسلمون في كارديف بعض المطاعم والمقاهي والفنادق وحوالي البقالة والخضر والفواكه واللحوم .

وقد بنى المسلمون في كارديف مسجدا يسمى " مسجد نور الاسلام " انشأته " جمعية نور الاسلام العلوية " . وفي كارديف زاوية اطلق عليها اسم الزاوية العلوية الاسلامية ، والحقت بها مدرسة ينفق عليها السيد علي سلمان الزبيدي من ماله الخاص . ويأمل اهل كارديف في بناء مسجد كبير لاقامة شعائهم الدينية . وفي ضاحية " وكنج " — وهي تبعد عن لندن ٢٨ ميلا — مسجد بنى منذ ثلاثة ارباع قرن بأموال جمعت من الهند . وكانت تنفق عليه والدة المرحوم بيجوم بنهوبال بالهند ، ولذلك يسمى ايضا الشاه جهان ، وفي لندن نفسها مركز ثقافي يعمل على نشر الثقافة الاسلامية ، وشرح مباني الاسلام .

الاسلام في اسبانيا والبرتغال

لما فتح العرب اسبانيا والبرتغال ، اطلقوا عليها اسم — " الاندلس " . وتاريخ الاسلام في الاندلس حافل بالامجاد والبطولات فقد ظل طيلة ما يقرب من ثمانية قرون يحمل مشعل الحضارة لاوربا

كلها ، ويقوم العمران ، وينشر المدنية والعدل في ربوع البلاد .
وقد دافع عن كيانه حتى آخر ايامه هناك دفاعا باسلا ، ولكن
شاءت الاقدار ان تحل المأساة الدامية ، ويفادر البلاد ابو عبد الله
— آخر سلاطين بني الاحمر في غرناطة — مغلوبا على امره ، ويسدل
الستار على مجد سامق ، كان من الممكن ان يمتد فيشمل اوربا كلها .
وقد عمل العرب في الاندلس على نشر الاسلام ، وانشاء المساجد ،
وتشجيع العلم حتى قال العالم دوزي : " لم يكن يوجد في بلاد
الاندلس رجل امي واحد في الوقت الذي لم يكن في اوربا من يلتم
بالقراءة والكتابة الا طبقة القسوس " . وقد انشأ الحكم الثاني وحده
٢٧ مدرسة مجانية بلوازمها كي لا يبقى احد من رعيته محروما من نعمة
العلم . وكانت جامعة قرطبة اشهر من الجامعة النظامية في بغداد .
ولا تزال آثار المسلمين باقية حتى اليوم في الاندلس . ومن
اشهر هذه الآثار قصر غرناطة الشهير بالحمراء . وهو قصر فخم
من ابداع ما صنعتته يد الانسان ، وله باب من الممر منقوش فيه بالخط
الكوفي نقشا بارزا : " هذا الباب المسمى بباب الشريعة امر ببنائه
ابو عبد الله ابن يوسف بن الحجاج الخزرجي " . واذا دخلت
من هذا الباب استقبلك دهليز ساحتها مرصوفة بالمرمر ، وحيطانها
بدروب من اللبن الجيد . وفي جانبها اماكن السيوف والرماح المعدة
للحرص الملكي الخاص . ثم تنتهي من هذا الدهليز الى طرقة ذات ظل
واشجار واثمار ورياحين ، وبها قصر الحمراء . وقد ابداع المؤرخون
في وصف قصر الحمراء ابداعا لا مزيد عليه ، وهو يضم عدة قصور تحوى
مئات القاعات التي زينت ابداع زينة ، وزخرفت اروع زخرفة ، وفيها من
بديع الصنع والرواء ما يشهد بما بلغت حضارة المسلمين في الاندلس

من تقدم وازدهار .

ومن الآثار الاسلامية الباقية حتى الآن في اسبانيا " قصر اشبيلية " وهو قصر فخم بابه من خشب الصنوبر ، ومنظره بهيج جدا ، ويقع في وسط بستان عظيم يشتمل على انواع الاشجار ذات الظلال والثمار ، وفيه برك وغدران متعددة ، وعليها مقاعد ومجالس ملوك اشبيلية ، وجميع السقوف والحيطان والابواب والنوافذ مزينة بالنقوش المحكمة البديعة ، النطلية بالذهب .

ولا تزال توجد حتى الآن قنطرة الوادي الكبير عند قرطبة ، وطولها اكثر من ٥٠٠ خطوة وعرضها نحو ٢ خطوة . وعليها حواجز حجرية . واما قصر الزهراء الذي سارت بذكره الركبان والقصر الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الداخل ، فلم يبق منهما الا اطلال بالية .

اما جامع قرطبة فيقع على طرف قنطرة الوادي الكبير ، وهو مسجد عظيم يحيط به سور ضخم ارتفاعه نحو ٨ امتار ، وبني بالاحجار الصلدة والصخور الضخمة . وارتفاع الجامع نفسه لا يتعدى ثمانية امتار ، وطوله مائة وثمانية وستون مترا ، وعرضه مائة وخمسة وعشرون مترا . وسقفه مرفوع على اقواس مزخرفة بالقيشاني ، معقودة على عمد من المرممر الملون الباهر ، وطول كل عمود منها اربعة امتار ، ويبلغ عدد الاعمدة في الجامع تسعمائة عمود . وفي الساحة الخارجية عمد عدد هـا مائتان . وارض المسجد مرسوفة بأنواع اللبن الملون المحكم ، والمحراب والمنبر من الغمر الصافي تزينهما نقوش بديعة . وعلى المحراب كتبت هذه الآية الكريمة بالخط البارز الكوفي المحلي بالذهب " بسم الله الرحمن الرحيم : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

وقوموا لله قانتين " ، وكتبت تحت هذه الآية بالصفة المذكورة عبارة :
" الامام الحكم امير المؤمنين " .

تلك هي اهم الآثار الاسلامية الباقية في الاندلس (اسبانيا
والبرتغال) ، حتى اليوم ، وهي تشهد بما كان عليه الاسلام في تلك
الآونة من قوة النفوذ وامتداد السلطان ، وعلو الذكر ، وارتفاع
المكانة . ولولا ما ألم بالاندلس من اضطرابات وفتن يوما فشا فيها من
شحناء ومنازعات ، لامتد الاسلام الى اوروبا ، واستطاع ان يتوغل فيها .
وفي اسبانيا ، حتى اليوم ، عدد من المسلمين لا يزالون ينوءون
فرائضهم الدينية في البقاع التي شهدت مجد اجدادهم ، وعظمت
آبائهم الاولين . وفيها معهد للدراسات العربية يقوم بخدمة طلاب
العلم الذين يرغبون في استكمال ثقافتهم العربية ، كما يبين معالم
الثقافة الاسلامية والدين الاسلامي لمن شاء من الباحثين والدارسين .



الاسلام في الامريكتين

الاسلام في الولايات المتحدة الامريكية

لا يمكن معرفة عدد المسلمين في الولايات المتحدة على وجه التحديد ، لانه لا توجد اى هيئة حكومية في الولايات المتحدة تحصر عدد المواطنين وفقا لديانتهم . وتقول بعض المصادر ان عددهم يبلغ (٣٢٥٠٠) نسمة ، في حين تقول مصادر اخرى ان عددهم يصل الى (٥٠٠٠٠) او (٦٠٠٠٠) نسمة .

وقد جاء هؤلاء المسلمون الى الولايات المتحدة من جميع البلاد الاسلامية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، ومنهم البانيون — ويوفوسلافيون جاءوا من شرق اوربا ، ومنهم تتر واتراك من اواسط آسيا ، بل هناك مسلمون من جنوب آسيا وجنوبها الشرقي .

ويتركز اكبر عدد من المسلمين في الولايات المتحدة في مدينة ديترويت بولاية ميتشيجان ، ففيها نحو ١٥٠٠٠ مسلم ، اما في نيويورك فيقدر عددهم بنحو ٣٠٠٠ ، وفي شيكاغو ٢٥٠٠ ، وفي توليدو بولاية اوهايو نحو ١٥٠٠ مسلم . وهناك جماعات صغيرة متفرقة في الولايات المتحدة منهم ١٥٠ مسلما يعيشون في مدينة سيدار رابيد ، ونحو ٦٠٠ في سكرامنتو بمنطقة كاليفورنيا .

وقد عمل المهاجرون الالون من المسلمين في مختلف الحرف والمهن التي اتقنها ، واستطاع كثيرون ان يحسنوا مستواهم العلمي والثقافي . وكانوا في جميع الاحوال يهتمون بتعليم اولادهم ، فاحتل الجيل الثاني — وهم الموجودون الآن — مراكز بارزة في مهن الطب والقانون والمحاسبة ومارس كثيرون من المسلمين ، من ابناء الشرق الاوسط حرفة التجارة .

وهم يقرأون القرآن الكريم باللغة العربية ، وإن كان بعضهم لا يجيد القراءة . وقد تلقوا تعاليم الاسلام عن آبائهم او عن امام المنطقة التي يعيشون فيها اذا كانت الجالية كبيرة ، وكان هناك مسجد لاقامة الصلاة وعقد الاجتماعات لتلقي تعاليم الاسلام .

وتوجد في مدينة " سكرامنتو " في ولاية كاليفورنيا جالية باكستانية يشتغل اكثر ابنائها في الزراعة ، وبعضهم يملك مزارع كبيرة تدر عليه آلاف الدولارات . ويملك المسلمون الباكستانيون في مدينة نيويورك ناديا خاصا بهم في حي مانهاتن اطلقوا عليه نادي العصبة الاسلامية . وتهتم هذه الجمعية الاسلامية بالشئون الدينية المتعلقة بالمسلمين الباكستانيين في نيويورك ، واكثرهم يشتغل في المصانع او يدير بعض المطاعم الشرقية او نحو ذلك .

وفي بروكلين جالية يمنية تحمل الطابع اليمني في حياتها ، وهي حوالي ٣٠٠ شخص ، وقد اتجه اكثرهم الى العمل في المصانع او المعامل او نحو ذلك .

وتوجد في نيويورك جالية سودانية واخرى سورية ولبنانية ، وتعيش هذه الجاليات مع الجاليات الاسلامية الاخرى في تعاون ومودة واخاء . وقد قام الزوج في امريكا بدور كبير في نشر الاسلام . ومن الذين قاموا بالتبشير له في حي " هارليم " - وهو حي الزوج في نيويورك - رجلان من المسلمين عام ١٩٣١ م : احدهما زنجي يدعى صوفي عبد الحميد ، نشأ في شيكاغو ، وعاش فترة من حياته في الشرق الاوسط . اما الآخر فكان يدعى حافظ الحكيم ، وكان متضلعا في العلوم الاسلامية . وقد صادفت دعوتهما هوى في قلوب كثيرين من الزوج لانهما اعلنا لهم ان الدين الاسلامي هو دين المساواة ، ولا فضل

لعربي على عجي الا بالتقوى ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وان الله لا ينظر الى الوان الناس ولا الى صورهم ، انما ينظر الى قلوبهم واعمالهم .

وقد ظلا يدعوان الناس الى حضور دروسهما الدينية في الدار التي خصصت لذلك حتي بلغ عددهم عام ١٩٣٦ (٣٠٠) شخص ، اسلم منهم (٢٥٠) شخصا .

وفي عام ١٩٣٨ م قام احد تلاميذ صوفي وحافظ ، ويدعى عبد الودود ، بتأسيس المركز الاسلامي الغربي الوطني في هارليم ، ووفق ينظم هو وزوجته " رزقه " الاجتماعات الدينية لنشر التعاليم الاسلامية بين زنوج نيويورك . وفي عام ١٩٤٢ قامت سيدة هندية تدعى البيجوم عطية بتأسيس المعهد الاسلامي . وبعد سنتين اسس عبد الودود الجمعية الاسلامية الدولية .

ويقوم محمد جواد تشيرى ، الملقب بخادم الشريعة الاسلامية في امريكا ، بدور كبير في الدعوة الى الدين الاسلامي في الولايات المتحدة . وقد نشأ في مدينة النجف بالعراق ، وسافر في عام ١٩٣٦ الى لبنان ، وهناك درس اصول الدين والشريعة ، ثم سمع به بعض اللبنانيين المسلمين المهاجرين في ديترويت بولاية ميشيغان الامريكية ، فدعوه للاقامة هناك لتفقيه الكبار وتعليم الصغار . فسافر اليها في مارس عام ١٩٤٩ . وكان في اول عهده هناك يدرس باللغة العربية لمن يعرفها حتي تعلم هو اللغة الانجليزية واتقنها ، وبدأ يعظ بها .

اما لقب خادم الشريعة الاسلامية فقد اطلقه عليه سلسلة امريكا لانه وقف حياته على خدمة الدين . وقد تبرع السيد الرئيس

جمال عبد الناصر بمبلغ ٤٤ الف دولار لإنشاء مركز إسلامي في دترويت يقوم بخدمة جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، ويبلغ عدد هم نحو ١٥٠٠٠ . ويدير هذا المركز مجلس إدارة منتخب من أعضاء الجالية الإسلامية يتولى جمع الاكتاب لاستكمال المشروع الذي يتكلف حوالي ٢٠٠٠٠٠ دولار .

وقد تقرر تزويد مساجد دترويت بمكتبات تساهم فيها وزارتا التربية والتعليم والاوقاف والمؤتمر الإسلامي والا زهر ، وفيها يتم تعليم اللغة العربية والدين للناشئين والكبار على السواء ، كما سيختار لهذه المساجد والمراكز ائمة من الا زهر . ويسمى زعيم المسلمين في دترويت الامام وهبي اسماعيل ، وهو من مواطني البانيا السابقين .

وفي توليد وولاية اوهايو يقوم الشيخ كامل (عود تيش) بالدعوة الى الاسلام . وقد تلقى علومه في كلية اسلامية في يوغسلافيا ، ثم التحق بالا زهر وتخرج فيه ، ثم عمل مدرسا ومترجما في القاهرة بـعض الوقت ، ثم دعيته الجالية الاسلامية في شيكاغو عام ١٩٤٦ ليكون اماما . وفي عام ١٩٥٨ انتقل الى توليد وفي ولاية اوهايو ، وكان يدرس اللغة العربية ، ويقسر القرآن الكريم ، ويؤم المصلين . كما كان يدعى لعقد الزواج بين الطوائف الاسلامية في مختلف مدن الولاية ، ويلقي ست محاضرات على الاقل شهريا في مختلف الموضوعات الاسلامية .

وفي امريكا الان نحو اثني عشر مسجدا ، وفي مقدمتها مسجد واشنطن الجديد ، واصفرها مسجد الجالية الباكستانية في مدينة سكرامنتو في ولاية كاليفورنيا . وهناك غير ذلك عدد كبير من المصليات . وربما كان اول مسجد بني في نصف الكرة الغربي هو مسجد الجالية السورية اللبنانية في دترويت . وقد تم انجازه في عام ١٩٢٢ م ، غير ان

الجالية شرعت في بناء مسجد آخر . واكبر مسجد قديم في أمريكا هو مسجد ولاية ايوا الذي تم بناؤه عام ١٩٣٥ م . ويوجد في نيويورك مسجد متوسط يئمه كثيرون من الجالية التترية البولندية . وفي مدينة لوس انجلوس بنى رجل امريكي اعتنق الاسلام ، اسمه محمد عبد الله رينولدز ، مسجدا على شاطئ أمريكا الغربي .

اما مسجد واشنطن فهو اكبر المساجد الأمريكية واجملها . وقد الحق به معهد للدراسات الاسلامية ، ومركز للتعاون الثقافي بين الشرق والغرب ، ومكتبة تضم آلاف الكتب القيمة من جميع انحاء العالم . وللمركز جناح لسكنى المدير والمكاتب التابعة للمعهد .

وقد استقبل المركز الاسلامي كثيرا من كبار الضيوف المسلمين مثل الرئيس الاندونيسي احمد سوكارنو ، وشاه ايران ، وملك المغرب ، وملك المملكة العربية السعودية ، ورئيس وزراء افغانستان ، وكثيرين غيرهم من الضيوف الممتازين من جميع انحاء العالم الاسلامي .

ويفتح المركز الاسلامي في واشنطن ابوابه في شهر رمضان المبارك لصلاة التراويح . وفي عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى يجتمع مئات من المسلمين في المساجد لاداء فريضة الصلاة ، ولتبادل التهاني بهذا اليوم السعيد .

وقد تكلف بناء المركز الثقافي الاسلامي في واشنطن ٣ ملايين دولار ، وساهمت جميع الدول الاسلامية في بناءه . وقد تبرع السيد يوسف ابو الهوى بربع مليون دولار لبناء هذا المركز ، واقامته شركة البترول العربية السعودية ، ومركزها الظهران ، حديقة فيحاء مليئة بالزهور الجميلة ، والاشجار المنسقة حول المركز فزادته جمالا وروعاً .

ويوجد في مدينة " سان فرانسيسكو " مركز ثقافي اسلامي ، يرأسه طبيب ايطالي اعتنق الاسلام ، وهو الدكتور كاريو . ويشغل منصب امين الصندوق احد اطباء الاقليم الشمالي ، ويعمل في احد مستشفيات مدينة " سان فرانسيسكو " . ووكيلة المركز سيدة امريكية اعتنقت الدين الاسلامي ، وسمت ابناؤها اسما عربية مسلمة ، وهي صاحبة ايام بيض على المركز الاسلامي في " سان فرانسيسكو " .

وقد عقد المسلمون في الولايات المتحدة في صيف عام ١٩٥٤ مؤتمرا في مدينة شيكاغو ، حضره مندوبون كثيرون من شتى الجمعيات الاسلامية ، واشترك فيه من الاقليم الجنوبي الدكتور محمود الشواربي الاستاذ بجامعة ماريلاند ، وقرر المؤتمر تكوين اتحاد يسمى " اتحاد المنظمات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا " ، وانتخب السيد عبد الله عجوم اول رئيس لاول اتحاد اسلامي في نصف الكرة الغربي ، لما قام به من جهود كبيرة ، وما بذله من مساع مشكورة في تكوين هذا الاتحاد .

وقد اقامت هذه المنظمة الاسلامية دعائم دستورها على الآيئة القرآنية الكريمة " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " . والهدف الذي يرمي اليه دستور هذا الاتحاد هو تنمية روح الاسلام وفلسفته واخلاقه وثقافته بين اعضاء المنظمة واطفالهم ، وايضاح روحه ومبادئه السامية عن طريق النشرات وغيرها .

وفي يونية عام ١٩٥٨ عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا مؤتمره السابع الذي استغرق ثلاثة ايام ، وحضره ٧٠٠ مندوب يمثلون ٤٥ اتحادا اسلاميا في امريكا الشمالية . وقد بدأ المؤتمر بحفلات التعارف ، ثم بصلاة الجمعة .

وانشيء في نيويورك مجلس اسلامي اعلى لمدينة نيويورك ، مثل فيه كثير من الجمعيات الاسلامية ، وهي : جمعية اتحاد وادي النيل وجمعية الاتحاد النوبي السوداني ، وجمعية شمال افريقيا الامريكية ، وجمعية الاتحاد الباكستاني بأمريكا ، والجمعية اليمنية الامريكية ، والجمعية الدولية الاسلامية ، والجمعية الاندونيسية ، والجمعية الاسلامية الامريكية ، والارسالية الاسلامية الامريكية ، وجمعية الملايو الامريكية ، والاتحاد العام للجمعيات المراكشية ، وجمعية الشباب الاسلامي ، والجمعية الثقافية للسيدات المسلمات .

ويقوم الشيخ وهبي اسماعيل — وهو عالم الباني درس فني الجامع الزهر ، ويرأس الجمعية الاسلامية اللبنانية في مدينة " ترويت " بولاية ميتشجان — باعداد دليل عام للمسلمين فني الولايات المتحدة الامريكية وكندا . وليس من شك في ان اتمام هذا العمل العظيم سوف يعود بفائدة كبيرة على المسلمين هناك ، ويوضح للبلاد العربية سفراءها المسلمين الذين يقومون بدورهم في خدمة القضايا الاسلامية والعربية في صمت وسكون ، ودون صخب ولا ضوضاء . كما تعمل جمعية التعريف الدولي للاسلام على طبع عدد من النشرات والكتيبات . ومن بينها نشرات عن الفكرة الدولية في الاسلام ، وحقوق المرأة في الاسلام ، والنظم الاقتصادية في الاسلام ، وآراء فلاسفة العرب وعلمائه في الاسلام ، ولماذا اسلمنا ، وفضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ونظرة الاسلام الى الرق والرقيق ، والاسلام والتسامح الديني ، والاخاء الدولي الاسلامي ، والاسلام والديموقراطية ، والحرية والاخاء والمساواة في الاسلام ، وآراء بعض من اسلموا ممن المثقفين الاوربيين والامريكيين .

وتقوم الجمعية بطبع هذه النشرات بناءً على توصيات سكرتير
جمعية التعريف الدولي بالاسلام وهو الدكتور محمود يوسف الشواربي
صاحب كتاب "الاسلام في امريكا" .

الاسلام في امريكا الجنوبية

يقال ان العرب حاولوا اكتشاف امريكا الجنوبية في القرن العاشر
للميلاد او اوائل القرن الحادي عشر . ويستند اصحاب هذه الرواية
الى ما كتبه الاندلسي المؤرخ المعروف في كتابه " نزهة المشتاق في
اختراق الاقاق " ، من ان جماعة من مسلمي الاندلس ، من اهل
الحامة ، على مقربة من لشبونة ، يعرفون بالمغرورين — وهم ثمانية
فتيان اخوة او ابناء عم — انشأوا لهم مركبا كبيرا ، وشحنوا فيه من
الحاء والزاد ما يكفيهم لاشهر ، ثم خرجوا الى بحر الظلمات من ثغر
لشبونة عند مهب الريح الشرقية ، وساروا في الغرب نحو احد عشر يوما ،
وصادفوا مهالك كادت تودي بهم ، حتى انقذهم لغيغ من البربر ،
واعلموهم ان بينهم وبين الاندلس مسيرة شهرين ، وان المكان الذي
رسوا فيه يقع في اقصى المغرب . ولا يستبعد ان يكون الشاطيء
الذي رسوا فيه جزيرة سان بول او احدى جزر فرناندو دي نورونها
الواقعة في مياه امريكا الجنوبية على مسافة نحو مائة وخمسين ميلا من شرق
البرازيل ، فان مثل هذه الحدة التي قطعوها تحملهم الى هذه
المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك ان يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا
هذه الجزيرة ، ثم توغلوا في القارة الجنوبية ، ونشروا دين الاسلام
هناك بين طائفة من الناس .

وفي اقاليم امريكا الجنوبية مسلمون يقومون بدور كبير في ميدان

الحضارة والتقدم ، ويعيشون جنباً الى جنب مع اهالي البلاد في مودة
واخاء . ويبلغ عدد المسلمين في امريكا الجنوبية نحو ٥٣.٠٠٠ نسمة
على حسب الاحصائية التي اصدرتها جمعية تقريب المذاهب الاسلامية
والتي يرأسها العالم الايراني الشيخ تقي الدين الغني .
ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية في المساجد والجوامع
المنتشرة في احياء متفرقة من اقاليم امريكا الجنوبية .
وهناك عدد كبير من الزوج المسلمين ، الذين اسلموا نتيجة
لاختلاطهم بالعرب الوافدين من اسبانيا وبلاد المغرب ، ومن الوطن
العربي بوجه عام ، ولاطمئنانهم الى ان الاسلام هو دين المساواة ،
ولايمانهم بأن لا خلاص لهم — في هذا العالم المتطاحن —
الا باعتناقهم ديننا لا يجد رسوله العربي فضلاً لعربي على عجمي
الا بالتقوى ، وتمسكهم بشريعة .
الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لواؤها اكفاء



مستقبل الاسلام في العالم

=====

اتجاه العالم بأسره الى الجاهلية :

لاسباب تاريخية عقلية ، طبيعية قاسرة ، تحولت اوربا جاهلية مادية ، تجردت من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية ، وفضاءل خلقية ، ومبادئ انسانية ، واصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية الا باللذة والمنفعة المادية ، وفي الحياة السياسية الا بالقوة والغلبة ، وفي الحياة الاجتماعية الا بالوطنية المعتدية ، والجنسية الغاشمة ، واثارت على الطبيعة الانسانية ، والمبادئ الخلقية ، وشغلت بالآلات ، واستهانت بالغايات ، ونسيت مقصد الحياة ، وبجهادها المتواصل في سبيل الحياة ويسعها الدائب في الاكتشاف والاختبار مع استهانتها المستمرة بالتربية الخلقية وتغذية الروح وجحودها بما جاءت به الرسل ، وبامعانها في المادية ، ويقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الديني ، والحاجز الخلقي ، اصبحت فيلأ هاججا ، يدوس الضعيف ، ويهلك الحرث والنسل ، وينسحاب المسلمين من ميدان الحياة ، وتنازلهم عن قيادة العالم وامامة الامم ، ويتفريطهم في الدين والدنيا ، وجنايتهم على انفسهم وعلى بني نوعهم ، اخذت اوربا بناصية الامم ، وخلفتهم في قيادة العالم ، وتسيير سفينة الحياة والمدنية التي اعتزل ربانها ، وبذلك اصبحت العالم كله — بأومه وشعوبه ومدنياته — قطارا سريعا تسير به قاطرة الجاهلية والمادية الى قاييتها ، واصبح المسلمون — كغيرهم من الامم — ركابا لا يملكون من امرهم شيئا ، وكلما تقدمت اوربا في القوة والسرعة ، وكلما ازدادت وسائلها ووسائطها ، ازداد هذا القطار

البشرى سرعة الى الغاية الجاهلية بحيث النار والدمار والاضطراب والتناحر والفوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقي والقلق الاقتصادي والافلاس الروحي ، وها هي اوربا تستعطي* الآن اسرع قطار ، وتريد ان تصل الى غايتها بسرعة الطائرة بل بسرعة القوة الذرية .

استيلاء الفلسفة الاوربية على العالم :

وليس على وجه الارض اليوم امة او جماعة تخالف الامم الغربية في عقائدها ونظرياتها وتزاحمها في سيورها وتعارضها في وجهتها وتنافسها في مبادئها وفلسفتها الجاهلية ، ونظام حياتها المادي لا في اوربا ولا في امريكا ، ولا في افريقية وآسيا ، والذي نرى ونسمع من خلاف سياسي ونزاع بين الامم فانما هو تنافس في القيادة ، وتنزع فيمن يكون هو القائد الى هذه الغاية المشتركة ، فدول المحور انما كانت تكره ان يبقى الحلفاء مستبدين بالقيادة العالمية منذ زمن طويل مستأثرين بـموارد الارض وخيراتها واسواقها ومستعمراتها ، ويشرف السيادة على العالم وخدمهم مع انها لا تقل عنهم في القوة والعلم والنظام والنبوغ والذكاء ، بل ربما تفوقهم ، اما انها كانت تريد ان تسير الى غاية اخرى وان تقوم بدعوة المسيح ، وتقيم في الارض القسط ، وان تقوم الامم الى الدين والتقوى وتنصرف بها وتنتج من المادية الى الروحانية والاخلاق ، فهيهات هيهات .

اما روسيا الشيوعية فليست الا ثمرة الحضارة الغربية ، قد اينعت وادركت ، ولا تحتاز عن الشعوب والدول الاوربية الا ان روسية قد خلعت جلباب النفاق والزور ونفذت ما تزوره وتبطنه الامم الغربية منذ زمن طويل ، وتعتقد منذ قرون في الاخلاق والاجتماع ، وقد استبطأت

روسية سير هاتيك الام والدول في سبيل اللادينية والمادية ، فهي تريد ان تتولى قيادة العالم ، وتسير بالام الانسانية سيرا حثيثا الى ما وصلت اليه .

الشعوب والدول الآسيوية :

اما الشعوب والدول الآسيوية والام الشرقية فهي في طريقها الى الغاية التي وصلت اليها شعوب اوربا في الحضارة والسياسة وتدين بما تدين به هذه الشعوب في الاخلاق والآداب والاجتماع ، وتعتقد ما تعتقده عن الحياة والكون ، وتتحدى بما تتحدى به من سيرة وخلق وتهذيب ، الا انها لا ترضى ان يتولى امرها النزلاء الاجانب ويقيموا عليها الحجر كما يقام على السفه ، وان تكون للاوربيين عليها دول وامبراطوريات ينعمون في ظلها ويرتعون في جناباتها ، ولا يكون لها مثلها في الشرق وافريقية وآسيا ، ولا تستمتع حتى في داخل بلادها بما استمتع به الاوربيون طويلا حتى في خارج بلادهم . اما انها تنكر على الاوربيين ما يتهم وتنقم منهم اخلاقهم وسيرتهم وتنعي عليهم فلسفتهم ومبادئهم فلعل ذلك لا يخطر منها على بال ، بل قد زين لها كل ما تتصف به الام الآوربية فحلى في عينها .

وكلما سنحت لهذه الام فرصة الاستقلال وملكت زمام امورها تجلت اخلاقها ومبادئها وظهرت سيرتها الجاهلية في صورتها الطبيعية الحقيقية ، فانا هي افطع صورة وابشعها في التاريخ ، قساوة قلب وضراوة بالدم الانساني وهتكاً للاعراض ونهباً للاموال وقتلا وتدميرا ، وقد ظهرت من بعض هذه الشعوب الآسيوية على اشر استقلالها من الحكم الاجنبي فظائع ومنكرات تستبشعها الوحوش والسباع وتستك منها الاسماع ، فقد عاملت بعض الشعوب المواطنينة

بمعصية دينية وسياسية ، معاملة عز نظيرها في التاريخ ، رضعوا
يقتلون ويقطعون اربا اربا ، ونساء تهتك اعراضهن ثم يبتلن من غير
رحمة ولا حياء ، وآبار تسمم وببوت تهدم ونيران تشعل وقنابل تقذف ،
واذا دخلوا قرية فاتحين منتصرين افسدوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة ووضعوا فيها السيف ، وعاث الوحوش في الدماء والاعراض حتى
اقفرت القرى ، وامتلأت الابار بالسيدات اللاتي آثرن الموت على هتك
الاعراض ، هذا عدا نساء قتلن بهمجية وطرق فظيعة لم تسبق في التاريخ
الى غير ذلك من الافاعيل التي يشك فيها الناس في البلاد الاسلامية
والمحضرة .

هذا غير ذلك الاضطهاد الديني والمقاطعة الاجتماعية التي
تلقاها تلك الطوائف في بلادها ، وما تلقى ثقافتها ودانيتها من مطاردة
ومهاجمة من تلقاء هذه الشعوب فتحرم الحرية الثقافية واللسانية وترغم
على لغة مصطنعة دائرة ، ويحاول الاقوياء ان يمحوا كل اثر من آثار
حضارتها وثقافتها ويختلقوا عليها الاكاذيب والجنايات ، ويمثلوا
قصة الحمل والذئب كل يوم ، فيعزل رجالها من الوظائف وتسد فني
وجوههم ابواب المعاش والتجارة والحرف ، وتقفل دكاكينهم ومحالهم
التجارية وتصادر املاكهم واموالهم بعلل واهية مضحكة .

ثم ان هذه الام افلست افلاسا شائنا في الدين والاخلاق ، وقد
اشربت في قلوبها حب المال والمادة ، وتسلط عليها شيطان الاثرة
والجشع حتى ضجت منها الحكومات وتعبت ، فقد ارتفعت الاسعار
ارتفاعا فاحشا ، فلما التجأت الحكومة الى التسعير اختفت السلع
والاموال ، واصبح الناس ، لا يجدون كسوة ولا طعاما ولا حاجة الا
بالسعر الذي يريده التاجر ، فنفتت السوق السوداء وشاعت الجنايات

والخيانة والارتشاء والتهريب ، واصبحت الحكومة والتجار كفرنسي
رهان او قرني ميدان ، كل يريد ان يغلب صاحبه وينتهز فرتسه ،
 واصبح الناس حبة بين حجرى الرعى لا يدرون كيف يفعلون .
وقد حاول رجال الاصلاح والديانة ان ينفخوا في هذه الامم
حياة جديدة وينثوا فيها روح الاخلاق والفضيلة والامانة والاقتصاد —
فأخفقوا اخفاقا تاما ، وعلموا ان خلق امة بأسرها اهون من اصلاح
هذه الامم وتهذيبها وقد انقطعت مادتها وانقضى اجلها .
وهكذا اصبح العالم شرقا وغربا في ازمة روحية وخلقية واجتماعية
واقتصادية تطلب حلا سريعا عاجلا .

الحل الوحيد للآزمة العالمية :

والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة
من اليد الائمة الخرقاء التي اساءت استعمالها الى يد اخرى بريئة
خادقة .

ان تحول القيادة من بريطانيا الى امريكا ومنهما جميعا الى
روسيا لا يغني غناء ولا يغيّر من الموقف شيئا ، فان هذا التحول ليس
الا نقل المجداف من اليمين الى الشمال اذا تعبت الولى او
بالعكس ، فما دام المجداف واحد فلا فرق بين يمينه وشماله ،
وليست بريطانيا وامريكا وروسيا الا ايدي رجل واحد تتداول دفة
الحياة ، وتتناوب تجديف السفينة على خط واحد الى جهة واحدة .
ان التحول المؤثر الواضح هو تحول القيادة من اوربا — بالمعنى
الواسع الذى يشمل بريطانيا وامريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها —
من الامم الاسيوية والشرقية — التي تقودها النادية والجاهلية ، الى

العالم الاسلامي الذي يقوده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالة
الخالدة ودينه الحكيم .

هذا هو التحول الذي يغير وجه التاريخ ، ويحول مجرى الامور
وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه .

ان حقا على العالم الاسلامي ان يعني نفسه بهذا المنصب
الخطير ، ويطمح اليه ، وان حقا على كل بلد اسلامي وشعب اسلامي
ان يشد حيازيمه لذلك ، وان حقا على كل مسلم ان يجاهد في سبيله
ويبذل ما في وسعه ، فهذه هي المهمة الشريفة التي نيّطت بالامة
الاسلامية يوم برزت الى عالم الوجود ، ويوم ظهرت نواتها في جزيرة
العرب .

العالم الاسلامي على اثر اوربا :

من الغريب الواقع ان المسلمين قد اصبحوا في الزمن الاخير فسي
كثير من نواحي الارض حتى في مراكز الاسلام وعواصم حلفاء للجاهلية
الاوربية وجنودا متطوعين لها ، بل صار بعض الشعوب والسدول
الاسلامية يرى في الشعوب الاوربية التي تزعمت حركة الجاهلية منذ
قرون ونفخت فيها روحا جديدة ، وركزت اعلامها على الشرق والغرب
ناصرا للمستلحين ، حاميا لدمار الاسلام المتضعف ، حاملا لرايصة
العدل في العالم قواما بالقسط .

ورضي عامة المسلمين بأن يكونوا ساقية عسكر الجاهلية بدل ان
يكونوا قادة الجيش الاسلامي ، وسرت فيهم الاخلاق الجاهلية ومبادئ
الفلسفة الاوربية سريان الماء في عروق الشجر والكهرباء في الاسلاك ،
فترى العادية الغربية في البلاد الاسلامية في كثير من مظاهرها

وأثارها ، ترى تهاافتا على الشهوات ونهما للحياة نهم منن لا يؤمن بالآخرة ، ولا يؤمن بحياة بعد هذه الحياة ، ولا يدخر من طيباتها شيئا . وترى تنافسا في اسباب الجاه والفخار وتكالبا عليها فعل من يغلو في تقويم هذه الحياة واسبابها ، وترى ايثارا للمصالح والمنافع الشخصية على المبادئ والاخلاق ، شأن من لا يؤمن بنبي ولا بكتاب ولا يرجو معادا ، ولا يخشى حسابا . وترى حبا للحياة وكراهة للموت ، دأب من يعد الحياة الدنيا رأس بضاعته ، ومنتهى امه ، ومبلغ علمه ، وترى افتتانا بالزخارف والمظاهر الجوفاء كالام المادية التي ليس عندها اخلاق ولا حقيقة حية ، وترى خضوعا واستكانة للانسان بحيث يملك المال او القوة او المنصب والجاه شأن الام الوثنية وعبدة الاضنام .

المسلمون على علاقتهم موئل الانسانية وامة المستقبل :

ولكن برغم كل ما اصاب به المسلمون من علة وضعف فانهم هم الامة الوحيدة على وجه الارض ، التي تعد خصيم الامم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الامم ، ومزاحمتها في وضع العالم ، والتي يعزم عليها دينها ان تراقب سير العالم وتحاسب الامم على اخلاقها واعمالها ونزعاتها ، وان تقودها الى الفضيلة والتقوى ، والى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوة ، والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها ان تتحول امة جاهلية .

هذه هي الامة التي يمكن ان تعود في حين من الاحيان خطرا على النظام الجاهلي الذي بسطته اوروبا في الشرق والغرب وان تحبط مساعيها .

وقد وصف هذا الخطر شاعر الاسلام الحكيم " محمد اقبال " في قصيدته البديعة : (برلمان ابليس) على لسان ابليس ، ذكر فيها ان الشياطين وزملاء ابليس واعوانه اجتمعوا في مجلس شورى ، وتباحثوا في سير العالم واطار الفد وفتنه ، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسي ومهمتهم الشيطانية ، فتذكروا في فتن واطار قد احدثت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتناذروا شرها ، فذكر احد هم الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا ، فقال الثاني : لا يهولنك امرها فانها ليست الا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري ، ان رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها ، فألهيناه بلعبة الجمهورية ، ولينم الشأن في الامير والملك . ان الملوكية لا تنحصر في وجود شخص ترتكز فيه الملوكية وفرد يستبد بالسلطان ، انما الملوكية ان يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفا الى متاع غيره ، سواء في ذلك الشعب والفرد : اما رأيت نظام الغرب الجمهوري وجهه مشرق وضاح وباطنه اظلم من باطن جنكيزخان .

. فقال الآخر : لا بأس اذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدهماء التي اثارها هذا الهنودى الذى يدعى كارل ماركس ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكنه يحمل عند اتباعه كتابا مقدسا ، هل عندك نبأ أنه اقام العالم واقعه ، واشار العبيد على السادة حتى تزعت مباني الامارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس : يا صاحب الفخامة ، ان سحرة اوربا وان كانوا يريدك المحلصين ولكني لم اعد اثق بفراستهم ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة من مزدك (الزعيم الفارسي

الا باحي) قد كاد يأتي على العالم بقواعده فاستنسر البغات ، واصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح (اعلام ارض جعلت بطائحا) انا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاباحية وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرها ، وهاهي الارض ترجف بهول فتنة الغد ، ياسيدي ان العالم الذي كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن .

فتكلم رئيس المجلس (ابليس) وقال : اني امك زمام العالم واتصرف به كيف اشاء ، وسيرى العالم عجا اذا حرشت بين الامم الاربعة فتهارشت تهارش الكلاب ، وافترس بعضها بعضا فعل الذئاب واذا همست في آذان القادة السياسيين واساقف الكنائس الروحانيين فقد وا رشدهم وجن جنونهم .

اما ما ذكرتم عن الاباحية المزدكية فكونوا على ثقة ان الخرق الذي احدثته الفطرة بين الانسان والانسان لا يرفوه المنطق المزدكي لا يخوفني هؤلاء الطرداء والصعاليك السفهاء .

ان كنت خائفا فاني اخاف ان لا تزال شرارة الحياة والطمح كامنة في رماثها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسهل دموعهم على خدودهم سحرا ، لا يخفى على الخبير المتفرص ان الاسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل .

انا لا اجهل ان هذه الامة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الامم ، انا خبير ان ليل الشرق داج مكفر ، وان علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم ، ولكني

اخاف ان قوارع هذا العصر وهزته ستقضي مضجعها وتوقظ هذه الامة وتوجهها الى شريعة (محمد صلى الله عليه وسلم) . اني احذركم وانذركم من دين محمد (صلى الله عليه وسلم) حامي الذممار ، حارس الذم والاعراض ، دين الكرامة والشرف ، دين الامانة والعفاف ، دين العروة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغي كل نوع من انواع الرق ، ويحوي كل اثر من آثار استعباد الانسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ، ولا يورث سلطانا على صعلوك ، يزكي المال من كل دنس وزجس ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل اصحاب الثروة والممتلكات مستغلفين في ابوابهم امناء لله وكلاء على المال . واي ثورة اعظم واي انقلاب اشد خطرا مما احداثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل يوم صرخ ان الارض لله لا للملوك والسلاطين .

فابذلوا جهدكم ان يظل هذا الدين متواريا عن اعين الناس وليهينكم ان المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه ، فخير لنا ان يبقى مشتغلا بمسائل علم الكلام والالهييات وتأويل كتاب الله والآيات ، اضربوا على آذان المسلم فانه يستطيع ان يكسر ظلام العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا ان يطول ليلته ويبطيء سخره ، اشغلوه يا اخواني عن الجد والعمل حتى يخسر الرهان في العالم . خير لنا ان يبقى المسلم عبدا لغيره ، ويهجر هذا العالم ويعتزل ويتنازل عنه لغيره زهدا فيه ، واستخفافا لخطره يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الامة التي يعزم عليها دينها ان تراقب العالم وتعسه .

رسالة العالم الاسلامي :

لا ينهض العالم الاسلامي الا برسالته التي وكلها اليه مؤسسه

صلى الله عليه وسلم والايمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة اعدل منها ولا افضل ولا ايمن للبشرية منها .

وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحهم الاولى ، والتي لخصها احد رسلهم في مجلس يزدجرد ملك ايران بقوله " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده " ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، رسالة لا تحتاج الى تغيير كلمة وزيادة حرف ، فهي مطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على القرن السادس الميلادي كأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لانقاذ العالم من براثن الوثنية والجاهلية .

فلا يزال الناس اليوم عاكفين على اصنام لهم — من اوثان منحوتة ومنجورة ومقبورة ومنصوبة — ولا تزال عبادة الله وحده مغلوطة غريبة ، ولا تزال الفتنة قائمة على قدم وساق ، ولا يزال اله الهوى يعبث ، ولا يزال الاحبار والرهبان والملوك والولاة واصحاب القوة والثروة والزعماء اربابا من دون الله تقرب لها القرايين وينصب لها الجبين . 'وكذلك العالم اليوم رغم اتساعه وتوفر وسائل السفر والانتقال من مكان الى مكان ، واتصال الشعوب والامم بعضها ببعض اضيق بأهله منه بالاسس ، قد ضيقته المادية التي لا تنظر الا الى قدمها ولا تؤمن الا بفائدة صاحبها ، ولا تعرف غير العكوف على الشهوات وعبادة الذات . وقد خنقته الاثرة التي لا تسمح لاثنيين بالعيش في اقليم واسع والوطنية الضيقة التي تنظر الى كل اجنبي شززا وتجحد له كل فضل وتحرمه كل حق ' .

تم ضيق خناق هذه الحياة المادية المسيطرون الذين ———
يحتكرون وسائل الحياة والرزق والقوت ، يضيقون هذه الحياة لمن
شاءوا ويوسعونها لمن شاءوا ، ويسيطون الرزق — زعموا — لمن
شاءوا ويقدرونه لمن شاءوا ، فأصبحت المدن الواسعة اضيق من حجر
ضب وأصبح النام في بلادهم في شبه حجر كحجر السفية واليتيم ،
وضاقت على الناس الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وأصبح
الناس في اغلال واصفاد من المدينة والمملكة مهددين في كل وقت
بمجااعات مصطنعة وحقيقية ، وحروب خارجية وداخلية ، واضرابات
واضطرابات اسبوعية ويومية .

نظم ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ولا تزال في هذا
العصر المقتنور الراقي المثقف اديان تغيب بعقول الناس وتسخرهم
كالحمير والبقر ، وتزين لاتباعها قتل مئات من البشر لاجل بقرة ذبحت
في عيد الاضحى ، او شجرة مقدسة عضدت في قرية من القرى .
وهناك اديان بغير اسم الاديان لا تقل في نفوذها وسلطانها ،
ولا تقل في جورها وعدوانها وعيها بعقول اتباعها وفي عجائبها
عن الاديان القديمة ، وهي النظم السياسية والنظريات الاقتصادية
التي يؤمن بها الناس كدين ورسالة ، وهي اقل سامحة لمن لا يدين
بها واشد قسوة على منافسيها ، واضيق عطنا من الاديان الجاهلية ،
وما هرب اسبانيا الاهلية التي دامت مدة طويلة ، وسفكت فيها دماء
غزيرة ، وما حرب الصين التي قامت بين الجمهوريين والشيوعيين من اهل
الصين ، وحرب (كوريا) التي قامت بين الجنوبيين والشماليين ، الا
نتيجة اختلاف في العقيدة السياسية والنظريات الاقتصادية .
فرسالة العالم الاسلامي هي الدعوة الى الله ورسوله والايمان

باليوم الآخر ، وجائزته الخروج من الظلمات الى النور ، ومن عبادة
الناس الى عبادة الله وحده ، والخروج من ضيق الدنيا الى سعتها ،
ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، وقد ظهر فضل هذه الرسالة
وسهل فهمها في هذا العصر اكثر من كل عصر ، فقد افتضحت
الجاهلية وبدت سواتها للناس واشتد تذمر الناس منها ، فهذا طور
انتقال العالم من قيادة الجاهلية الى قيادة الاسلام ، لو نهض
العالم الاسلامي ، واحتضن هذه الرسالة بكل اخلاص وحماسة وعزيمة ،
ودان بها كالمسالة الوحيدة التي تستطيع ان تنقذ العالم من الانهيار
والانحلال .

الاستعداد الروحي :

ولكن العالم الاسلامي لا يؤدى رسالته بالمظاهر المدنية التي
جاءت بها اوربا على العالم ، ويخفق لغاتها وتقليد اساليب
الحياة التي ليست من نهضة الامم في شيء ، انما يؤدى رسالته
بالروح والقوة المغنوية التي تزداد اوربا كل يوم افلاسا فيها ، ويقتصر
بالايمان والاستهانة بالحياة والمزوف عن الشهوات ، والشوق الى
الشهادة والحنين الى الجنة ، والزهد في حطام الدنيا وتخميل
الاذى في ذات الله صابرا محتسبا قال الله تعالى : (ولا تهنئوا
في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يأتون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون) فقوة المؤمن وسر انتصاره في ايمانه بالآخرة
وزجائه لثواب الله ، فاذا كان العالم الاسلامي لا يرى الا ما تراه اوربا
من المعرّض القريب ، ولا يطمع الا فيما تطمح فيه اوربا من حطام الدنيا
ولا يؤمن الا بما تؤمن به اوربا من المحسوسات والماديات ، كانت اوربا
بقوتها المادية احق بالانتصار والسيادة من العالم الاسلامي الذى

يتخلف عنها في القوة المادية تخلفاً شائناً ولا يفوقها في القوة المعنوية .

لقد اتى على العالم الاسلامي حين من الدهر وهو مستخف بهذه القوة المعنوية لا يحتفل بها ، ولا يحتفظ بالبقية منها ، ولا يفيذ فيها ، حتى نضب معينها في قلبه ، فلما خاض العالم الاسلامي في المعارك التي تحتاج الى الايمان ، والصبر والثبات ، وتحمل الشدائد والنكبات ، وزلزل بعض الزلازل ، ولجأ الى القوة المعنوية الكامنة في نفوس المسلمين ، كانت كسراباً بقيعة يحسبها الظمآن ماءً حتى اذا جاء لم يجد شيئاً ، هنالك عرف انه قد جنى على نفسه جناية عظيمة باهمال هذه القوة الروحية وتضييعها ، وبحث في جعبته فلم يجد شيئاً يسد مكانها ويفني غناها .

وخاض العالم الاسلامي في معارك حاسمة ، وهو يرى ان المسلمين تقوم قيامتهم ، وسوف يهرعون للدفاع عن الاسلام وحماية بلادهم المقدسة ، ويغضبون لله ورسوله وحرماته ، وان الاقطار الاسلامية تشتعل نارا وتتوقد حمية وحماسة ، فاذا الحادث لم يؤثر في العالم الاسلامي التأثير المنتظر ، واذا النظر ضئيل والسخط خافت ، واذا العالم الاسلامي كعادته - في غدواته وروحاته - منهك في لذاته وشهواته ، كان لم يحدث كبير شيء ، فعرف ان الحمية الدينية قد ضعفت في العالم الاسلامي ، وان شعلة الجهاد قد انطفأت او - كانت ، وهنالك عرف الناس ضعف العالم الاسلامي وخذلانه وهوانه على انفسهم .

فالهم الاهم لقادة العالم الاسلامي ، وجمعياته وهيئاته الدينية وللدول الاسلامية غرس الايمان في قلوب المسلمين واشعال العاطفة الدينية ، ونشر الدعوة الى الله ورسوله ، والايمان بالآخرة

على منهاج الدعوة الإسلامية الاولى ، لا تدخر في ذلك وسعا ،
وتستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة ، وطرق النشر
والتعليم ، كتجوال الدعاة في القرى والمدن ، وتنظيم الخطب
والدروس ، ونشر الكتب والمقالات ، ومدارس كتب السيرة ، واخبار
الصحابه ، وكتب المغازي والفتوح الإسلامية ، واخبار ابطال
الاسلام وشهداءه ، ومذاكره ابواب الجهاد ، وفضائل الشهداء
وتستخدم لذلك الراديو والصحافة وكتب الادب ، وجميع القسوى
والوسائل العصرية .

والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظيمتان
تستطيعان ان تشعلا في العالم الاسلامي نار الحماسة والايمان ،
وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على الفسار الجاهلي ، وتجعلان امة
مستسلمة ، منخللة ناعسة ، امة فتية ملتبهة حماسة وغيره .

ان علة علل العالم الاسلامي اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا
والاطمئنان بها ، والارتياح الى الاوضاع الفاسدة والهدوء الزائف
في الحياة ، فلا يقلقه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ،
ولا يهيمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة
النبوية ان وجدا الى القلب سبيلا - يحدث صراع بين الايمان
والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة ،
وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ،
صراع احدثه كل نبي في وقته ، ولا يصلح العالم الا به . هنالك تفوح
روائح الجنة ، وتهب نفحات القرن الاول ، ويولد للاسلام عالم جديد
لا يشبه العالم القديم في شيء .

الاستعداد الصناعي والحربي :

ولكن مهمة العالم الاسلامي لا تنتهي هنا ، فاذا اراد ان يضطلع

برسالة الاسلام ويملك قيادة العالم فعليه بالمقدرة القاطنة ،
والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب ، وان
يستغني عن الغرب في كل موقف من مرافق الحياة ، وفي كل حاجة
من الحاجات ، بقوت ويكسو نفسه ، ويصنع سلاحه ، وينظم شئون
حياته ، ويستخرج كنوز ارضه وينتفع بها ، ويدير حكوماته برجاله وماله
ويمخر بحاره المحيطة به بسفنه واساطيله ، ويحارب العدو ببوارجه
ودباباته واسلحة بلاده ، وتزيد صادراته على وارداته ، ولا يحتاج
الى الاستدانة من الغرب ، ولا يضطر الى ان يلجأ الى راية من راياته
وينضم الى معسكر من معسكراته .

اما ما دام العالم الاسلامي خاضعا للغرب في العلم والسياسة
والصناعة والتجارة ، يمتص الغرب دمه ، ويحفر ارضه فيستخرج منها
ماء الحياة ، وتغزو بضائعه اسواق العالم الاسلامي ويهوي به
كل يوم فتستخرج منها كل شيء ، وما دام العالم الاسلامي يستدوين
من الغرب الاموال ، ويستعير منه الرجال ، ليدروا حكومتهم ،
ويشغلوا الوظائف الخطيرة ويدربوا جيوشه ، ويستورد منه البضائع
ويجلب منه الصنائع ، وينظر اليه كاستان ومرب ، وسيد ورب ، لا يبرم
امرا الا بانئذ ولا يصدر الا عن رايه ، فلا يستطيع ابدا ان يواجه
الغرب فضلا عن ان يناهضه ويغالبه .

هذه هي الناحية العلمية والصناعية التي اخل بها العالم
الاسلامي في الماضي فعوقب بالعبودية الطويلة والحياة الذليلة ،
وابتلوا العالم الاسلامي بالسيادة الاوربية الجائرة التي ساءت العالم
الى النار والدمار والتناحر والانتحار ، فان فرط العالم الاسلامي
مرة ثانية في الاستعداد العلمي والصناعي والاستقلال في شئون حياته
يكتب الشقاء للعالم وطالت حنة الانسانية وبلاؤها .

تبوء الزعامة في العلم والتحقيق :

وقد تنازل العالم الاسلامي — بما فيه العالم العربي — منذ زمن طويل عن مكانته في القيادة العلمية والتوجيه ، والاستقلال الفكري ، واصبح عيالا على الغرب متطفلا على مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها ، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه . واصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين في البحث والتحقيق والدراسة والتأليف ، وهم المنتهى والمراجع والحجة في الاحكام والآراء الاسلامية والنظريات العلمية والتاريخية ، وهم الاسوة في النقض والابرار . وعدد كبير منهم قسوس وارساليون ويهود ومسيحيون متعصبون ، يضمرون للاسلام وصاحب رسالته — صلى الله عليه وسلم — العدا والبغضاء ، وللحضارة الاسلامية السخرية والاستهزاء ، ويخونون في النصوص والنقول ، ويحرفون الكلم عن مواضعه . ومنهم عدد لم يتقن اللغة العربية ولم يبرع فيها ، وهم يخطئون في فهم النصوص وترجمتها اخطاء فاحشة ، وقد تغلغل افكارهم ودعاياتهم فني الاوساط العلمية الحديثة في العالم الاسلامي وتجلت بصورة واضحة في الدعوة الى فصل الدين عن السياسة ، وان الدين قضية شخصية لا شأن له بالمجتمع ، وان الدين عقيدة وعبادة وخلق لا شأن له بالسياسة والحكم ، وفي الدعوة الى تغيير مفهوم الدين واحكام الشريعة الاسلامية على اساس الحضارة الغربية وفلسفتها الى غير ذلك من الافكار التي يدعو اليها تلاميذ المستشرقين والخاضعون لهم في الشرق الاسلامي .

وقد عجز كتاب الشرق المسلمون والمفكرون الشرقيون عن مواجهة الحضارة الغربية وجها لوجه ونقد اسسها وقيمتها نقدا حرا جريئا

فيه الابتكار ، وفيه الاستقلال ، وقد بلغ بعضهم من ضعف التفكير ،
والاغراق في التقليد منزلة رأى فيها ان الحضارة الغربية هي آخر
ما وصل اليه العقل البشرى وانه لا منزلة وراءها ، ومنهم من دعا
الى تطبيق الحضارة الغربية برمتها ، وعلى علاتها في الشرق ، ودعا
بعض الاقطار الاسلامية العربية الى اعتبار نفسها جزءا لا يتجزأ
من القارة الاوربية وادابها فيها واختيار الثقافة اليونانية التي هي
اصل الثقافات الاوربية .

وندر في هذه الطبقة وجود "علاق " يكفر بالحضارة الغربية
وفلسفة حياتها وقيمها ويشرح الحضارة الغربية واسسها التي قامت
عليها في ثقة واعتداد وعلم وبصيرة . ونستثني من هذه الكلية بعض
الافراد الاقدان كالعلامة " محمد اقبال " من المسلمين القدامى ،
والاستاذ " محمداسد " من الاوربيين المهتدين بالاسلام .

ولا بد — اذا اراد العالم الاسلامي ان يقوم على قدميه
ويفكر بعقله — ان يقاوم هذا الخضوع ويكون فيه علماء عماليق وكتاب
جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالنقد والتشريح ، وكتابات
المستشرقين وآراءهم بالجرح والتعديل . ويتبحرون في العلوم
الاسلامية ويتعمقون فيها حتى يفيد منهم كبار المستشرقين في اوربا
وامريكا ويصححون بهم آراءهم واخطاءهم ، ويتوجه رواد العلم
والتحقيق والدراسات العالية الى عواصم العالم العربي وحواضر
العالم الاسلامي ، كما اعتادوا ان يتوجهوا الى عواصم اوربا وامريكا .
فهذه المدن الاسلامية اولى بأن تكون مركزا للثقافة الاسلامية والعلوم
الدينية وآداب اللغة العربية من العواصم الاوربية وجامعات اوربا ، ومن
سقوط الهمة والقناعة بالدون ان تتخلى هذه العواصم الغربية في العلم
والدين عن زعامتها العلمية ومكانتها الرئيسية .

التنظيم العلمي الجديد :

ولا بد للعالم الاسلامي من تنظيم العلم الجديد بما يوافق روحه ورسالته . وقد ساد العالم الاسلامي على العالم القديم برعامة العلمية ، فتسرب بذلك في عقلية العالم وثقافته ، وتغلغل في احشاء الادب والفلسفة ، وظل العالم المتمدن قرونا يفكر بعقله ويكتب بقلمه ويؤلف بلغته ، فكان المؤلفون في ايران وتركستان وافغانستان والهند لا يؤلفون كتابا له شأن الا باللغة العربية ، وكان بعضهم يؤلف الاصل بالعربية ويلغظه بالفارسية كما فعل الفزالي في : " كيمياء السعادة " .

وان كانت هذه الحركة العلمية التي ظهرت في صدر الدولة العباسية متأثرة باليونان والفجيم ، وغير مؤسسة على الفكر الاسلامي النقي والروح الاسلامي ، وان كانت فيها مواضع ضعف من الناحية العلمية والدينية ، ولكنها سادت على العالم بقوتها ونشاطها واضمحلت امامها النظم العلمية القديمة .

وجاءت نهضة اوربا فنسخت هذا النظام القديم باختباراتها ونقدتها العلمي ، ووضعت منهاجا جديدا للعلم والدراسة كان نسخة صادقة لروحها وعقليتها ونفسياتها المادية ، فلا يخرج منه الطالب الا وهو متشبع بهذه الروح ، وخضع العالم مرة ثانية لهذا النظام التعليمي وخضع له العالم الاسلامي بطبيعة الحال — ان كان مصابا بالانحطاط العلمي والشلل الفكري من زمان ، وكان لا يجد العدد والفوت الا في اوربا — فقبل هذا النظام التعليمي على علاته ، فهو النظام السائد اليوم في انحاء العالم الاسلامي .

وكانت نتيجة هذا النظام الطبيعية ؛ صراعا بين النفسية
الاسلامية — ان كانت لاتزال في النفوس لم تقتلها البيئة — وبين
النفسية الجديدة ، وبين وجهة الاخلاق الاسلامية ووجهة الاخلاقية
الاوربية ، وبين الميزان القديم والجديد للاشياء وقيمتها ، وكانت
نتيجة هذا النظام حديث الشك والنفاق في الطبقة المثقفة ، وقلّة
الصبر ونهاية الحياة وترجيح العاجل على الآجل ، الى غير ذلك مما
هو من طبائع المدنية الاوربية .

فان اراد العالم الاسلامي ان يستأنف حياته ، ويتحرر من رق
غيره واذ كان يطمح الى القيادة ، فلا بد ان من الاستقلال
التعليمي ، بل لا بد من الزعامة العلمية وما هي بالامر الهين ، انها
تحتاج الى تفكير عميق ، وحركة التدوين والتأليف الواسعة ، وخبرة
الى درجة التحقيق والنقد بعلوم العصر مع التشبع بروح الاسلام والايمان
الراسخ بأصوله وتعاليمه ، انها مهمة تنوء بالعصبة اولى القوة ،
انما هي من شأن الحكومات الاسلامية ، فتتظم لذلك جمعيات ، وتختار
لها اساتذة بارعين في كل فن فيضعون منهاجا تعليميا يجمع
بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لا تتبدل وبين العلوم
العصرية النافعة والتجربة والاختبار ، ويدنون العلوم العصرية على اسام
الاسلام وبروح الاسلام وفيها كل ما يحتاج اليه النشء الجديد ، مما
ينظمون به حياتهم ويحافظون به على كيانهم ويستغنون به عن الغرب
ويستعدون للحرب ، ويستخرجون به كنوز ارضهم وينتفعون بخيرات
بلادهم ، وينظمون مالية البلاد الاسلامية ويدبرون حكوماتها على
تعاليم الاسلام بحيث يظهر فضل النظام الاسلامي في ادارة البلاد ،

وتنظيم الشؤون المالية على النظم الاوربية ، وتنحل مشاكل اقتصادية
عجزت اوروبا عن حلها .
وبالاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي
والاستقلال التعليمي ينهض العالم الاسلامي ، ويؤدي رسالته
وينقذ العالم من الانهيار الذي يهدده . فليست القيادة بالهزل ،
انما هي جد الجد ، فتحتاج الى جد واجتهاد ، وكفاخ وجهاد
واستعداد اى استعداد .

١ ١ ١ ١

زعامة العالم العربي =====

اهمية العالم العربي :

ان العالم العربي له اهمية كبيرة في خريطة العالم السياسية ، وذلك لانه وطن امم لعبت اكبر دور في التاريخ الانساني ، ولأنه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى : الذهب الاسود الذي هو دم الجسم الصناعي والحربي اليوم ، ولانه صلة بين اوربا وامريكا ، وبين الشرق الاقصى ، ولانه قلب العالم الاسلامي النابض يتجسسه اليه روحيا ودينيا ويدين بحبه وولائه ، ولانه عسى — لا قدر الله — ان يكون ميدان الحرب الثالثة ، ولان فيه الايدي العاملة ، والعقول المفكرة ، والاجسام المقاتلة ، والاسواق التجارية ، والاراضي الزراعية ، ولان فيه مصر ذات النيل السعيد بنتاجها ومحصولها وخصبها وثروتها وزقيها ومدنيتها ، وفيها سورية وفلسطين وجاراتها ، باعتدال مناخها وجمال اقليمها واهميتها الاستراتيجية ، وبلا د الرافدين بشكيمة اهلها و منابع البترول فيها والجزيرة العربية بمركزها الروحي وسلطانها الديني ، واجتماع الحج السنوي الذي لا مثيل له في العالم وآبار البترول الغزيرة . كل ذلك قد جعل العالم العربي محط انظار الغربيين ، وملتقى مطامعهم وميدان تنافس لقيادتهم ، وكان رد فعله ان نشأ في العالم العربي شعور عميق بالقومية العربية ، وكثر التفتن " بالوطن العربي " و " المجد العربي " .

محمد رسول الله روح العالم العربي :

ولكن المسلم ينظر الى العالم العربي بغير العين التي ينظر

بها الاوربي ، وبغير العين الني ينظر بها الوطني العربي ، انسه
ينظر اليه كمهدى الاسلام ومشرق نوره ومعقل الانسانية ، وموضع القيادة
العالمية ، ويعتقد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم العربي
هو روح العالم العربي واساسه وعنوان مجده ، وان العالم العربي بما
فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات — جسم
بلا روح ، وخط بلا وضوح اذا انفصل — لاسمح الله بذلك — عن
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع صلته عن تعاليمه ودينه ،
وان سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الذى ابرز العالم
العربي للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة ، وقبائل متناحرة ،
وشعوبا مستعبدة ، ومواهب ضائعة ، وبلاداً تتسكع في الجهل
والضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفرسانية
ولا يخطر ذلك منهم على بال ، ولا يصدقون بذلك اذا قيل لهم في
حال من الاحوال ، وكانت سرورية التي تكون جزءاً مهماً من العالم
العربي مستعمرة رومية تعاني الملكية المطلقة والحكم الجائر المستبد ،
لا تعرف معنى الحرية والعدل ، وكان العراق مطية لشهوات الدولة
الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والاتاوات الفاحشة . وكانت مصر
قد اتخذها الرومان ناقية حلوى ركوبا ، يجزون صوفها ويظلمونها فسي
علفها ، ثم انها تعاني الاضطهاد الديني مع الاستبداد السياسي ،
فما لبث هذا العالم المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، ان هبت
عليه نفخة من نفحات الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ،
ادرك رسول الله من هذا العالم وهو ضائع هالك واخذ بيده وهو
ساقط متهالك ، فأحياء باذن الله وجعل له نورا يحشي به في الناس ،
وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه ، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية
سفير الاسلام ، ورسول الامن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومُسْهِل

الثقافة والحضارة . كان غوثا للامم ، غيثا للعالم ، هنالك كانت الشام
وكان العراق ، وكانت مصر ، وكان العالم العربي الذي نتحدث عنه ،
فلولا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما
كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم
العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارة وعقلا ، وديانة
وخلقا ، فمن استغنى عن دين الاسلام من شعوب العالم العربي
وحكوماته ، وولى وجهه شطر الغرب او ايام العرب الاولى ، واستلهم
قوانين حياته او سياسته من شرائع الغرب ودساتيره او اسس حياته على
المنصرية او العروبة التي لا شأن لها بالاسلام ، ولم يرض برسول الله
قائدا ورائدا ، واماما وقدوة ، فليد على محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم نعمته ويرجع الى جاهليته الاولى ، حيث الحكم الزوماني
والفارسي ، وحيث الاستعباد والاستبداد ، وحيث الظلم
والاضطهاد ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة ،
وحيث العزلة عن العالم ، والخمول والجمود ، فان هذا التاريخ
المجيد ، وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الادب الزاخر ، وهذه
الدول العربية ، ليست الا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام .

الايمان هو قوة العالم العربي :

فالا سلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم
هو روح العالم العربي وامامه وقائده والايمان هو قوة العالم العربي
التي حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه
اليوم كما كان بالامس ، به يقهر اعداءه ، ويحفظ كيانه ويؤدى رسالته
ان العالم العربي لا يستطيع ان يحارب الصهيونية او عدوا آخر بالمال .

الذى ترضخه بريطانيا او تتصدق به امريكا ، او تعطيه مقابل ما تأخذ من ارضه من الذهب الاسود ، انما يحارب عدوه بالايان والقوة المعنوية ، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعا . انه لا يستطيع ان يحارب اعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت ، ونجسم يحيل الى الدعة والراحة ، وعقل يخاموه الشك وتتنازع فيه الافكار والاهواء ، او بيد مضطربة وقلبا متشككا ضعيفا الايمان وقوة متخاذلة في الميدان فالمهم لامراء العرب وزعمائهم وقادة الجامعة العربية ان يفرسوا الايمان في الشعوب العربية ، وجماهير الامة واولياء الامور ، والجيوش العربية والفلاحين والتجار ، وفي كل طبقة من طبقات الجمهور ، ويشعلوا فيها شغلة الجهاد في سبيل الله ، والتوق الى الجنة ، ويبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف الدنيا ، ويعلموهم كيف يتغلبون على شهوات النفس ومآلوفات الحياة ، وكيف يتحملون الشدائد في سبيل الله ، وكيف يستقبلون الموت بثغر باسم ، وكيف يتهافون عليه تهافت الفراش على النور .

علم الله عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الروم والفرس والامم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة ان تتعرض للخطر وتحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الانسانية البائسة ، ولا تستطيع ان تضحي بشيء من دقائق مدنياتها وتأنقاتها في اللبس والمأكلا وان تنزل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلا عن حاجاتها ، وان لا يوجد فيها افراد يقوون على قهر شهواتهم ، والحد من طموحهم والزهد في فضول الحياة ومطامع الدنيا ، والقناعة بالكفاف . فاختار

لرسالة الاسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام امة تضطلع بأعباء
الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والايتار ، تلك هي الامة العربية
القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والتفرف
واولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ابر الناس قلوبا واعماقهم
علما وقلوبهم تكلفا .

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها من الجهاد في
سبيلها وايتارها على كل ما يقف في وجهها ، والعزوف عن الشهوات
ومطامع الدنيا فكان في ذلك اسوة واماما للعالم كله ، كلمة وفد قريش
وعرض عليه كل ما يفرى الشباب ويروض الطامحين من رئاسة وشرف
ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك في صرامة وصراحة ، وكلمه عنه
وحاول ان يحد من نشاطه في سبيل الدعوة فقال " يا عم والله لاسو
وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى
يظهره الله او اهلك فيه ما تركته " ثم كان اسوة للناس في عصره وبعد
عصره بقيامة بأكر قسط من الجهاد والايتار ، والزهد وشظف العيش
واقل قسط من العيش واسباب الحياة ، فقد اوصد على نفسه الابواب
وسد في وجهه الطرق وتعدى ذلك الى اسرته واهل بيته والتصلين به
فكان اكثر الناس اتصالا به واقربهم اليه اقلهم حظا في الدنيا ،
واعظمهم نصيبا في الجهاد والايتار ، فاذا اراد ان يحرم شيئا بدأ
ذلك بعشيرته وبيته ، واذا سن حقا او فتح بابا لمنفعته قدم الآخرين
وربما حرمه على عشيرته الاقربين . اراد ان يحرم الربا فبدأ بربا عمه
عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، واراد ان يهدر دماء الجاهلية
فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسن الزكاة
وهي منفعة مالية عظيمة مستترة الى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بنسب

هاشم الى آخر الابد ، وكله علي بن ابي طالب يوم الفتح في ان يجمع
لبني هاشم الحجابة مع السقاية فأبى وطلب عثمان بن طلحة وناولوه
مفتاح الكعبة وقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء ، وقال
خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم الا ظالم ، وحمل ازواجه على
الزهد والقناعة وشطف العيش وخيرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق
العيش ، ومفارقه مع السعة والرخاء وتلا عليهن قوله تعالى :
" يا ايها النبي قل لا زواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
ففعالين امتعن واسرحكن سراها جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما " فاخترن الله
والرسول ، وتأتته فاطمة تشكو اليه ما تلقى في يدها من الرحق ويلغها .
انه جاءه رقيق فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ويقول لها انه خير
لها من خادم . وهكذا كان شأنه مع اهل بيته والمتصلين به فالاقرب
ثم الاقرب .

وآمن به رجال من قريش في مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية
اضطرابا عظيما ، وكسدت تجاراتهم ، وحرّم بعضهم رأس ماله الذي
جمعه في حياته ، وحرّم بعضهم اسباب الترف والرخاء واناقة اللباس
التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغالهم
بالدعوة وانصراف الزبائن غنه وحرّم بعضهم نصيبه في ثروة ابيه .
ثم لما هاجر الرسول الى المدينة وتبعه الانصار تأثرت بذلك
بساتينهم ومزارعهم فلما ازادوا ان يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها
لم يسمح لهم بذلك وانذرهم الله به فقال " وانفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " .
وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد
كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والاموال اعظم من نصيب

اي امة في العالم وقد خاطبهم الله بقوله : " قل ان كان آباؤكم و
ابناؤكم و اخوانكم وازواجكم و عشيرتكم و اموال اقترفتموها و تجارة تخشون
كسادها و مساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله و جهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين " وقال :
" ما كان لاهل المدينة و من حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول
الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " لان سعادة البشرية انما كانت
تتوقف على ما يقدمونه من تضحية و ايثار ما يتحملون من خسائر و تكبات
فقال : (و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس
و الثمات " وقال : " احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا و هم
لا يفتنون ؟ " و كان احجام العرب عن هذه الحزمة و ترددهم في ذلك
امتدادا لشقاء الانسانية و استمرارا للاوضاع السيئة في العالم فقال :
" الا تفعلوه تكن فتنة في الارض و فساد كبير " .

وقد وقف العالم في القرن السادس الميلادي على مفترق الطرق
اما ان يتقدم العرب و يعرضوا نفوسهم و اموالهم و اولادهم و كل ما يعز
عليهم للخطر و يزهدها في مطامع الدنيا و يضحوا في سبيل المصلحة
الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم و تستقيم البشرية و تقوم سوق الجنة
و تروج بضاعة الايمان ، و اما ان يوءثروا شهواتهم و مطاعمهم و حظوظهم
الفردية على سعادة البشرية و صلاح العالم فيبقى العالم في حما الضلالة
و الشقاء الى ما شاء الله ، و قد اراد الله بالانسانية خيرا و تشجع العرب
بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الايمان و الايثار و حب
اليهم الدار الآخرة و ثوابها — فقدوا انفسهم فداء للانسانية كلها
و زهدوا في مطامع الدنيا طمعا في ثواب الله و سعادة النوع الانساني
و جاهدوا بأموالهم و انفسهم في سبيل الله ، و ضحوا بكل ما يحرقه عليه

الناس من مطامع وشهوات وآمال واحلام واخلصوا لله العمل والجهاد
فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين .

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول ووقف العالم على
مفترق الطرق مرة ثانية اما ان يتقدم العرب — وهم امة الرسول
وعشيرته — الى الميدان ويغامروا بنفوسهم وامكانياتهم ومطامعهم
ويخاطروا فيما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة ، وفرض متاحة
للعيش واسباب ميسورة فينهض العالم من عثاره وتتبدل الارض غير
الارض . وانا ان يستمروا فيما هم فيه من طمع وطموح ، وتتنافس
في الوظائف والمرتبات وتفكر في كثرة الدخل والايراد وزيادة غلبة
الاملاك وبيع التجارات والحصول على اسباب الترف والتنعم فيبقى
العالم في هذا المستقع الذي يتردى فيه منذ قرون .

ان العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية
عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول البادة والمعدة لا يفكـرون
في غيرها ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلها ولقد كان شباب بعض
الام الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي
اعتنقوها اكبر منهم نفسا ، واوسع منهم فكرا ، بل كان الشاعـر
الجاهل " امرؤ القيس " اعلى منهم همة ، ان قال :

ولو انني اسعى لادني معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل امثالي
ان العالم لا يمكن ان يصل الى السعادة الا على قنطرة مبنـة
جهاد ومتاعب . ان الارض لفي حاجة الى سماء وسماء ارض البشرية
الذي تصلح به وتنبت زرع الاسلام الكريم هي الشهوات والطامع
الفردية التي يضحى بها الشباب العربي في سبيل علم الاسلام وبسط
الامن والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق المؤدية الى جهنم

الى الطريق المؤدية الى الجنة .

انه لثمن قليل جدا لسلعة غالية جدا .

العناية بالفروسية والحياة العسكرية :

من الحقائق المؤلمة ان الشعوب العربية قد فقدت كثيرا من خصائصها العسكرية ، ورزئت في فروسياتها التي كانت معروفة بها في العالم ، فكانت رزية كبيرة وخسارة فادحة ، وكانت سببا من اسباب ضعفها وعجزها في ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، وضعفت الاجسام ونشأ الناس على التمتع ، وقد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربية ، وهجر الناس المصارعة والمناضلة وسباق الخيل وانواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية ، واستبدلوا بها العاب لا تفيدهم شيئا ، فالمهم لرجال التعليم والتربية قادة الشعوب العربية ان يربوا الشبيبة العربية على الفروسية والحياة العسكرية ، وعلى البساطة في المعيشة وخشونة العيش والجلادة وتحمل المشاق والمتاعب ، والبصر على المكروه .

وقد كتب العربي الكبير امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم : " اياكم والتنعيم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعدوا ، واخشوشنوا ، واخشوشبوا ، واخلولقوا ، واعطوا الركب اسنثها ، وانزوا نزوا ، وارموا الافراض " .

وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ارموا بني اسمايل فان اياكم كان راميا " . وقال : " الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي " .

ومن واجب رجال التربية وولاة الامران يحاربوا بكل قوتهم
ما يضعف روح الرجولة والجلادة ويبعث على التخنت والعجز ، من
عادات وادب وصحافة وتعليم ، ويأخذوا على يد الصحافة المأجنة
والادب الخليع الملحد ، الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة
والفسوق ، وعبادة اللذة والشهوات ، ولا يسمحوا لهؤلاء التجار
الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ان يدخلوا في معسكر
محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتم مكارم الاخلاق ، ويفسدوا
على الناشئة الاسلامية فليها واخلاقتها ، ويزينوا لها الفسوق والعصيان
وحب الفحشاء ، بثمن بخس دراهم معدودة ، وقد شهد التاريخ بأن
كل امة اصاب رجالها في رجولتهم وفيرتهم ، ونساؤها في انوثتهن
وامومتهم ، وطفى فيهن التبرج ، ومزاحمة الرجال في كل شيء ، والزهد
في الحياة المنزلية ، وحب اليهن العقم ، اقل نجمها وكسفت شمسها
فأصبحت اثرا بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس ، وان اوروبا لغني
طريقها الى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من هذا المصير
الهائل .

معاربة التبذير والفرق الهائل بين الغني والصلوك :

وقد اعتاد العرب لاسباب كثيرة وتأثير الحضارة الغربية حياة
الترف والدعة والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والاسراف والتبذير
والاستهانة بحال الله في سبيل اللذة والشهوة والفخر والرياسة .
وبجانب هذا الترف والنعيم وحياة البذخ والتبذير ، جوع وعمرى
وفقر فاضح ، يرى الناظر مناظره الشائنة في عواصم البلاد العربية فتدمع
العين ويحزن القلب وينتكدس الرأس حياءً وخجلاً ، فهنا هنالك رجل

عنده فضول الثياب وزائد الطعام والشراب ، يعرف ديف يستهلكه
إذا بدوى لا يجد قوت يومه وكسوة جسمه ، وبينما امرأء العرب
وافنيا وهم على سيارات تبارى الريح وتثير النقع ، إذا بفوج من النساء
والاطفال عليه ثياب سوداء قد اصبحت خيوطا من طول اللبس يعدو
لأجل فلس او قرص ، فما دامت المدن العربية تجمع بين القصور
الشامخة والسيارات الفاخرة ، وبين الاكواخ الحقبية والمباني المتداعية
الضيقة المظلمة ، وما دامت التخمّة والجوع يزخران في مدينة واحدة ،
فالباب مفتوح على مصراعيه للغزو الفكرى والمبادئ المستوردة —
والاضطراب والقلق لا تتقها دعاية ولا قوة ، وإذا لم يسد النظام الاسلامي
في بلاده بجماله واعتداله يحل محله نظام جائر بعسفه وقهره عقابا
من الله كرد فعل عنيف .

التخلص من انواع الاثرة :

لقد اتى على العالم العربي عهد في التاريخ كانت الحياة فيه
تدور حول فرد واحد — وهو شخص الخليفة او الملك — او حول حفنة
من الرجال — هم الوزراء وابناء الملك — وكانت البلاد تعتبر ملكا
شخصيا لذلك الفرد السعيد والامة كلها فوجا من المماليك والعبيد ،
يتحكم في اموالهم واملاكهم ونفوسهم واعراضهم ، ولم تكن الامة التي
كان يحكم عليها الا ظلا لشخصه ولم تكن حياتها الا امتدادا لحياته .
لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها
وآدابها وشعرها وانتاجها ، فاذا استعرض احد تاريخ هذا العهد
او ادب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الامة
او المجتمع ، كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التي
تنبت في ظلها وتمنعها من الشمس والهواء ، كذلك تضمحل هذه

الامة في شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح امة هزيلة لاشخصية
 لها ولا ارادة ، ولا حرية لها ولا كرامة .
 وكان هذا الفرد هو الذي تدور لاجله عجلة الحياة ، فلاجله
 يتعب الفلاح ويشغل التاجر ويجتهد الصانع ويؤلف المؤلف وينظم
 الشاعر ، ولاجله تلد الامهات ، وفي سبيله يموت الرجال وتقاتل
 الجيوش ، بل ولاجله تليظك الارض خزائنها ويقذف البحر نفائسه
 وتستخرج كنوز الارض خيراتها .
 وكانت الامة - وهي صاحبة الانتاج وصاحبة الفضل في هذه
 الرفاهية كلها تعيش عيش الصغار ، او الارقاء المالكين ، قد
 تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر ، وقد تحرم ذلك
 ايضا فتصبر ، وقد تعوت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق في
 التزلف وانتهاز الغرض .
 هذا هو العهد الذي ازدهر في الشرق طويلا وترك رواسب
 في حياة هذه الامة ونفوسها وفي ادبها وشعرها ، واخلاقها واجتماعها
 وخلف آثارا باقية في المكتبة العربية ، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب
 " الف ليلة وليلة " الذي يصور ذلك العهد تصويرا بارعا ، يوم كان
 الخليفة في بغداد او الملك في دمشق او القاهرة ، هو كل شيء ،
 ويطل رواية الحياة ومركز الدائرة . ان هذا العهد الذي يمثل
 كتاب " الف ليلة وليلة " بأساطيره وقصصه ، وكتاب الاغانى بتاريخه
 وادبه ، لم يكن عهدا اسلاميا ، ولا عهدا طبيعيا معقولا ، فلا يرضاه
 الاسلام ولا يقره العقل ، بل انما جاء الاسلام بهدمه والقضاء عليه ، فقد
 كان هذا هو العهد الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه
 الجاهلية ونعى عليه وانكر على ملوكه - ككسرى وقيصر - وعلى اثرتهم
 وترفعهم اشد الانكار

ان هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار في اى مكان ونسي
اي زمان ولا سبيل اليه الا اذا كانت الامة مغلوطة على امرها او مصابة
في عقلها او فاقدة الوعي والشعور او ميتة النفس والروح .

ان هذا الوضع لا يقره عقل ، ومن الذى يسوغ ان يتختم فبر
او بضعة افراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسخة ، ومن
الذى يسوغ ان يعيث ملك او ابناء ملك بالمال عث المجانين ،
والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر
جسمهم ، ومن الذى يسوغ ان يكون حظ طبقة - وهي الكثيرة -
الانتاج وحده والكدح في الحياة والعمل المضني الذى لانهاية له ،
وحظ طبقة - وهي لا تتجاوز عدد الاصابع - الا التلهي بثمرات
تعب الطبقة الاولى من غير شكر وتقدير وفي غير عقل ووعي ، ومن الذى
يسوغ ان يشقى اهل الصناعة واهل الذكاء واهل الاجتهاد واهل
المواهب واهل الصلاح ، وينعم رجال لا يحسنون غير التذير ولا يعرفون
صناعة غير صناعة الفجور وشرب الخمر ؟ ومن الذى يسوغ ان يجفسي
اهل الكفاية واهل النبوغ واهل الامانة ويقصوا كالمجنونين ويجتمع
حول ملك او امير فوج من خساص النفوس وسخاف العقول وفاقدى الضمائر
من لاهم لهم الا ابتزاز الاموال وارضاء الشهوات ، ولا يحسنون فنا
من فنون الدنيا غير التلطي والاطراء والمواءمة ضد الابرياء ، ولا يتصفون
بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياة .

انه وضع شأن لا ينبغي ان يبقى يوما فضلا عن ان يبقى اعواما .

انه ان سبق في عهد من عهود التاريخ وبقي مدة طويلة فقد
كان ذلك على غفلة من الامة او على الرغم منها ، وبسبب ضعف الاسلام
وقوة الحاهلية ، ولكنه خليف بأن ينهار ويتداعى كلما اشرقت شمس

الإسلام واستيقظ الوعي وهبت الأمة تحاسب نفسها وأفرادها .
فالذين لا يزالون يعيشون في عالم " الف ليلة وليلة " إنما —
يعيشون في عالم الأحلام ، إنما يعيشون في بيت مهدد بالخطر لا يدرون متى يمتدح
المنكبوت ، إنما يعيشون في بيت مهدد بالخطر لا يدرون متى يغمر
عليهم السقف من فوقهم فانه بيت قائم على غير أساس متين وعلى غير
دعائم قوية .

الا ان عهد الف ليلة وليلة قد مضى فلا يخدعن أقوام انفسهم
ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تكسرت وتحطمت ، ان الملوكية مصباح
— ان جاز هذا التعبير — قد نفذ زينه واحترقت فتيلته ، فهو
الى انطفاء عاجل ولولم تهب عاصفة .

انه لا محل في الإسلام لاي نوع من انواع الاثرة ، انه لا محل فيه
للاثرة الفردية او العائلية التي نراها في بعض الامم الشرقية والاقطار
الاسلامية ولا محل فيه للاثرة المنظمة بشكل او بآخر والتي نراها
في غير العالم الاسلامي .

ان الاثرة بجميع انواعها ستنتهي وان الانسانية ستثور عليها
وتنتقم منها انتقاما شديدا ، انه لا مستقبل في العالم الا للاستبلاذ
المسح العادل الوسط وان طال اجل هذه " الاثرات " وارجى لها
العنان وتمادت في غيها وطغيانها مدة من الزمان .

ان الاثرة — مهما كان نوعها او شكلها — غير طبيعية في حياة
الامة وانها تتخلص منها في اول فرصة ، انه لا محل لها في الإسلام
ولا محل لها في مجتمع واع بلغ الرشد ولا امل في استمرارها ، فخير
للمسلمين وخير للعرب ان يخلصوا انفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها
قبل ان تفرق فيغرقوا معها .

ايجاد الوعي في الامة :

ان اخوف ما يخاف على امة ويعرضها لكل خطر ويجعلها — فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الامة ، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها الى كل موجة وخضوعها لكل تسلط وسكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم ، وان لا تعقل الامور ولا تضعها في مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والفاش وان تلدغ بجحر مرة بعد مرة ولا تنصحها الحوادث ، ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولي قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والاثرة والانانية ، ولا تزال تضع ثقها فيه وتمكنه من نفسها واموالها واعراضها ومفاتيح ملكها وتنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات فيجترى بذلك السياسسيون المحترفون ، والقادة الخائنون ويأمنون سخط الامة ومحاسبتها — ويتمادون في غيهم ويسترسلون في خياناتهم وعبثهم ثقة ببلاهة الامة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي .

ان الشعوب الاسلامية والبلاد العربية — مع الاسف — ضعيفة الوعي —، اذا تخرجنا ان نقول : فاقدة الوعي — فهي لا تعرف صدقها من عدوها ولا تزال تعاملها معاملة سواء او تعامل العدو احسن مما تعامل الصديق الناصح وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، ولا تزال تلدغ بجحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب ، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضي الزعماء والقادة ، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي الاجتماعي واضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جر عليها ويلا عظيم وشقاء كبير .

فمن اعظم ما تخدم به هذه الامة وتوئم من المهازل والمآسي التي لا تكاد تنتهي هو ايجاد الوعي في طبقاتها ودهائها وتربية الجماهير العقلية والمدنية والسياسية ولا يخفى ان الوعي غير فشو التعليم وزوال الامة وان كانت هذه الاخيرة من انجح وسائلها ،

وليعرف الزعماء السياسيون والقادة ان الامة التي يعوزها الوعي فيسر جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح وان اطرت الزعامة والزعماء وقد ستهم فانها — مادامت ضعيفة في الوعي — عرضة لكل دعايسة وتهريج وسخرية كريشة في فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر في مكان .

استقلال البلاد العربية في تجارتها ومالياتها :

وكذلك لابد للعالم العربي — كالعالم الاسلامي — من الاستقلال في تجارتها وماليته وصناعاته وتعليمه ، لا تلبس شعوبه وجماهيره الا ما تنبته ارضه وتنسج يده ، وتستغني عن الغرب في جميع شئون حياتها ، وفي كل ما تحتاج اليه من كسوة ، وطعام ، وبضائع ، ومهنوعات واسلحة ، وجهاز حربي ، وآلات وماكينات ، وادوية ، فلا تكون كلا على الغرب وعيالا عليه في معيشتها ومطرفة على مآذته .

ان العالم العربي لا يستطيع ان يجارب الغرب — اذا احتاج الى ذلك ودعت اليه الظروف — وهو مدين له في ماله ، عيال عليه في لباسه وبضائعه ، لا يجد قلم يوقع به على ميثاق مع الغرب ، الا بالقلم الذي صنع في الغرب ، ولا يجد ما يقاتل به الغرب ، الا الرصاص الذي افرغ في الغرب ، ان عارا على الامة العربية ان تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها ، وان يجرى ماء الحياة من عروقها وشرايينها الى اجسام غيرها ، وان يدرب جيوشها وكلاء الغرب وضباطه

ويدير بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلا بد للعالم العربي ان يقوم هو نفسه بحاجاته ، وتنظيم التجارة والمالية ، وحركة التوزيع والتصدير ، والصناعة الوطنية ، وتدريب الجيش ، وصنع الآلات والماكينات وتربية الرجال الذين يظلمون بجمع مهمات الدولة ووظائف الحكومة في خبرة ومهارة فنية ، وامانة ونصيحة .

رجاء العالم الاسلامي في العالم العربي :

والعالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي واهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، ويستطيع ان يتقلد زعامة العالم الاسلامي ، ويزاحم اوروبا بعد الاستعداد الكامل وينتصر عليها بايمانه وقوة رسالته ونصر من الله ، ويحول العالم من الشر الى الخير ، ومن النار والدمار الى الهدوء والسلام .

الى قمة القبلية العالمية :

ما اعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب على اثر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نادى به سورة الاسراء وقصة المعراج في لفظة صريحة بليغة وفي اسلوب مبين مشرق . وما اعظم النعمة التي اسفها الله على العرب . نقلهم من جزيرتهم التي يتناحرون فيها الى العالم الفسيح الذي يقودونه بناصيته ، ومن الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها الى الانسانية الواسعة التي يشرفون عليها ويوجهونها ، واصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذي فاجأ العرب وفاجأ العالم يقولون بكل وضوح وشجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة واركمان دولته : " الله ابتعثنا ليخرج بنا من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى لبي عدل الاسلام " .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا اولا الى سعتها ثم اخرجوا
الامم من ضيق الدنيا الى سعتها آخرا ، وهل اضيق من الحياة
القبلية والجنسية ، واوسع من الحياة الانسانية الا قاق ؟ وهل اضيق
من الحياة التي لا يفكر فيها الا في المادة الزائلة والحياة الفانية
ولا يجاهد الا في سبيلها من الحياة الايمانية الروحانية التي لانهاية
لها ولا تحديد ؟ .

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، ومن ضيق الحياة فيها ،
ومن ضيق التفكير في مساقلها ومصالحها ، ومن ضيق التناحر على
سيادتها ، ومن ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل
وعيشها الذليل ، الى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية
والعلمية والسياسية ، ليس الدانوب الفاض والنيل السعيد والفرات
العذب والسند الطويل الا سواقي حقيرة وترعا صغيرة فيسه ،
وليست جبال الالب والبرانس وعقاب لبنان وقمم هماليا الا تلالا متواضعة
وسدودا صغيرة ، وليست البلاد الواسعة كالهند والصين وتركستان
الا احياء ضيقة وحارات صغيرة ، ونقطا مغمورة في هذا العالم ،
وليسبت هذه الارض كلها — اذا نظر اليها من ارتقى الى قمة هذه
السيادة — الا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق في السماء ،
وليسبت الامم الكبيرة — مع ثقافتها وحضاراتها وآدابها — الا اسرا
صغيرة في امة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على اساس العقيدة الواحدة ، والايمان
العميق والصلة الروحية القوية ، وكان اوسع عالم عرفه التاريخ ، وكانت
الشعوب التي تكون هذا العالم اقوى اسرة عرفها التاريخ . تنصهر
فيها الثقافات المختلفة ، والعبقريات المختلفة ، فتتكون منها ثقافة

واحدة هي الثقافة الاسلامية ، التي لم تزل تظهر في نوابع الاسلام
الذين لا يحصيهم عدد وفي المآثر الاسلامية - بين علمية وعلمية
التي لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت - ولا تزال - قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق
اشرف قيادة واعظمها واقواها في تاريخ الزعامة والقيادة ، وقد اكرم
الله بها العرب لما اخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية وتغافوا في سبيلها
فأحبهم الناس في العالم حبا لم يعرف له نظير ، وقلدهم في كل
شيء تقليدا لم يعرف له نظير ، وخضعت للغتهم اللغات ، ولثقافتهم
الثقافات ، ولحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هي لغة العلم
والتأليف في العالم المتعدن من اقاص الى اقاص ، وهي اللغة
المقدسة الحبيبة التي يورثها الناس على لغاتهم التي نشأوا عليها ،
ويؤلفون فيها اعظم مؤلفاتهم واحب مؤلفاتهم ، ويتقنونها كأبنائها
واحسن ، وينبغ فيها ادباء ومؤلفون يخضع لهم المثقفون في العالم
العربي ، ويقر بفضلهم وامانتهم ادباء العرب ونقادهم .

وكانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد الناس
ويتظرفون بتقليدها ، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات
الآخري ويطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات - اســــــــــــــــم
" الجاهلية " و " العجمية " وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها .

وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون
في ثورة عليها ، وفي التخلص منها ، كما هي عادة المفتوحين والامم
المغلوبة على امرها في كل عهد ، لان صلتهم بهذه القيادة ليست صلة
المفتوح بالفتح او المحكوم بالحاكم او الرقيق بالسيد القاهر ، انما هي
صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، وعلى الاكثر انما هي

صلة التابع بالتبوع الذي سبقه بمعرفة الحق والايمان بالدعوة والتفاني في سبيلها ، فلا محل للثورة ، ولا محل للتذمر ، ولا محل لنكسران الجميل ، انما اللائق ان يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج السنتهم بالشكر والدعاء ، وان يقولوا : " ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم "

وهكذا كان ، فقد ظلت هذه الامم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعي الى دار السلام ، والقائد الى الجنة والمعلم للحضارة ، والاستاذ في الادب .
هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية ، واصلتها سورة الاسراء ، وهي القيادة التي يجب ان يحرص عليها العرب اشد الحرص ، ويعضوا عليها بالتواجد ، ويسمعوا اليها بكل ما اتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء والابناء ، ولا يجوز لهم — في شريعة العقل والدين والخيرة — ان يتخلوا عنها في زمن من الزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، وليس في غيرها عوض عنها وكفاية ، وهي القيادة التي تشمل جميع انواع القيادة والسيادة ، وهي تسيطر على القلوب والارواح ، اكثر من سيطرتها على الاجسام والشباح
ان الطريق الى هذه القيادة مهيأة مهيورة للعرب ، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الاول " الاخلاص للدعوة الاسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهاج العيشة الاسلامي على جميع مناهج الحياة " .

وبذلك — من غير قصد وازادة لنيل هذه القيادة وتبويبها — تخضع لهم الامم الاسلامية في انحاء العالم ، وتتهالك على حبهم واجلالهم



مطبعة ابن حيان دمشق

صدر بإشراف لجنة الإنجاز
سعر المبيع للطلاب (١٥٠) ل.س